سلسلة جواهر التاريخ

قراءة جديدة لحروب الردة

علي الكوراني العاملي

الطبعة الثانية - ١٤٣٨





قراءة جديدة لحروب الردة

بقلم

علي الكوراني العاملي

الطبعة الثانية ١٤٣٨هـ - ٢٠١٧ م

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، وأفضل الصلاة وأتم السلام ، على سيدنا ونبينا محمد وآله الطيبين الطاهرين ، لاسيما أولهم عليٍّ أمير المؤمنين ، بطل الإسلام ، وعضد رسول الله صلى الله عليه وآله ، وقامع أعدائه ، ومفرج الكرب عن وجهه ، وفاتح الحصون ، وحافظ الإسلام وأمته من بعده ، وقائد الغر المحجلين الى جنات النعيم .

وبعد ، فقد كان علي عليه السلام العمود الفقري في معارك النبي صلى الله عليه وآله وانتصاراته ، وعندما أبعدوه عن الخلافة واعتزل ، فرحت القبائل الطامعة في السلطة ، وقرر تحالفهم بقيادة المتنبىء طليحة احتلال عاصمة النبي صلى الله عليه وآله ، فغزا المدينة بعشرين ألف مقاتل بعد وفاة النبي صلى الله عليه وآله بستين يوماً !

هنا نهض علي عليه السلام وهو الأسد المجروح ، دفاعاً عن الإسلام وأهله ، وإن كان لايعترف بنظام الحكم ، فوضع خطة لدفع الهجوم ، ورتب حراسة المدينة ، وفاجأ المهاجمين ، فقتل قائدهم «حِبال» وغيره من قادتهم ، وردهم

خائبين مهزومين . ثم طاردهم عليه السلام مع المسلمين الى معسكرهم في ذي القَصَّة (أي الجَصة) على بعد عشرين كيلو متراً عن المدينة ، وشجَّع أبا بكر لحرب المتنبئين ، وأولهم طليحة في حائل ، ثم مسيلمة في اليمامة ، وهي مدينة الرياض الفعلية .

قال عليه السلام في رسالته الى أهل مصر ، لما ولى عليهم مالك الأشتر:

« أما بعد فإن الله سبحانه بعث محمداً صلى الله عليه وآله نذيراً للعالمين ، ومهيمناً على المرسلين ، فلما مضى صلى الله عليه وآله تنازع المسلمون الأمر من بعده ، فوالله ما كان يلقى في روعي ولا يخطر ببالي أن العرب تزعج هذا الأمر من بعده صلى الله عليه وآله عن أهل بيته ، ولا أنهم مُنَحُّوهُ عني من بعده ، فما راعني إلا انثيال الناس على أبي بكر يبايعونه ، فأمسكت يدي حتى رأيت راجعة الناس قد رجعت عن الإسلام ، يدعون إلى محق دين محمد صلى الله عليه وآله ، فخشيت إن لم أنصر الإسلام وأهله أن أرى فيه ثلماً أو هدماً ، تكون المصيبة به علَيَّ أعظم من فوت ولايتكم ، التي إنما هي متاع أيام قلائل ، يزول منها ما كان كما يزول السراب ، أو كما يتقشع السحاب . فنهضت في تلك الأحداث حتى زاح الباطل وزهق ، واطمأن الدين وتنهنه » . (نهج البلاغة:٣/١١٨، والغارات للثقفي:١/٣٠٧، والامامة والسياسة:١/ ١٣٣ ، ومصادر أخرى).

وتعبير: ما كان يُلقى في روعي، تعبير مجازي للأمر الغريب المفاجئ . وتنهنه: سكن.

وأخذ أبو بكر يستشير الإمام عليه السلام في تدبير الحرب ضد القبائل الطامعة في دولة الإسلام ، فأرسل عليٌّ عليه السلام تلاميذه الفرسان ، وأولهم عدي بن حاتم الطائي رضي الله عنه ، لتوعية القبائل ، ومقاومة طليحة .

ثم أرسل عليه السلام نخبة من أصحابه لحرب مسيلمة ، كعمار بن ياسر، وأبي دجانة ، وثابت بن قيس ، رضي الله عنهم ، فنهضوا في تلك الأحداث والمعارك ، وحققوا النصر للإسلام ، وهزموا المرتدين .

ثم استشاره أبو بكر في غزو الروم: «قال أبو بكر: ماذا ترى يا أبا الحسن؟ فقال: أرى أنك إن سرت إليهم بنفسك ، أو بعثت إليهم ، نُصرت عليهم إن شاء الله . فقال: بشرك الله بخير ». (تاريخ دمشق:٢/ ٦٤) .

وقد أثرت نهضة علي عليه السلام في نفس أبي بكر ، فكان يعتذر اليه عن تقدمه عليه في الخلافة ، ويؤكد له بأنه سيعيدها اليه بعد وفاته !

قال عليه السلام كما في الخصال للصدوق/ ٣٤٣: « فإن القائم بعد النبي صلى الله عليه وآله كان يلقاني معتذراً في كل أيامه ، ويلوم غيره فيما ارتكبه من أخذ حقي ونقض بيعتي، وسألني تحليله ، فكنت أقول: تنقضي أيامه ، ثم يرجع إليَّ حقي الذي جعله الله لي عفواً هنيئاً ، من غير أن أحدث في الإسلام مع حدوثه وقرب عهده بالجاهلية حدثاً ، في طلب حقي بمنازعة ، لعل فلاناً يقول فيها نعم وفلاناً يقول لا، فيؤول ذلك من القول إلى الفعل . وجماعةٌ من خواص أصحاب محمد صلى الله عليه وآله أعرفهم بالنصح لله ولرسوله صلى الله عليه وآله ولكتابه ودينه ، يأتوني عوداً وبدءاً وعلانية وسراً ، فيدعوني إلى أخذ حقي ، ويبذلون أنفسهم في نصرتي

ليؤدوا إلى بذلك بيعتي في أعناقهم ، فأقول رويداً وصبراً لعل الله يأتيني بذلك عفواً بلا منازعة ولا إراقة الدماء ، فقد ارتاب كثير من الناس بعد وفاة النبي ﷺ وطمع في الأمر بعده من ليس له بأهل ، فقال كل قوم: منا أمير ، وما طمع القائلون في ذلك إلا لتناول غيري الأمر!

فلما دنت وفاة القائم وانقضت أيامه ، صير الأمر بعده لصاحبه ، فكانت هذه أخت أختها ، ومحلها مني مثل محلها ».

وبعد وفاة أبي بكر كان عمر يشاور الإمام عليه السلام في الحرب ، فكان يدبر أمورها ، ويختار لها القادة والفرسان ، ويحقق النصر للمسلمين .

وعندما جمع الفرس جيشاً من مئة وخمسين ألف جندي لشن هجوم كاسح على المدينة ، بعث عمار بن ياسر وكان والي الكوفة ، رسالة الى عمر بن الخطاب يخبره ، فخاف عمر وأخذته الرعدة ، واستشار علياً عليه السلام ، فطمأنه وأعطاه الخطة ، واختار لها قائدين هما النعمان بن مقرن وحذيفة رضي الله عنهما ، فاستبشر عمر وشكره ، وأطلق يده في تدبير معركة نهاوند ، وهي أكبر معركة مع الفرس ، فحقق فيها النصر .

وكذلك في معركة اليرموك بعث علي عليه السلام مالك الأشتر، وعمرو بن معدي كرب، وهاشم المرقال ، ومجموعة أبطال ، فقطفوا النصر كما أخبر عليه السلام .

وكذلك في فتح مصر، فقد فتحت صلحاً بـدون أي معركـة ، وشـارك في فتحها عدد من كبار الصحابة من تلاميذ عـليعليه السلام كعبـادة بـن الصـامت ، وأبي ذر الغفاري ، ومالك الأشتر ، والمقداد بن عمرو .

ثم عندما هاجم الروم مصر في زمن عثمان ، قاد تلميذا عليعليه السلام :محمد بـن أبي بكر ومحمد بن حذيفة، معركة ذات الصواري في دفع هجوم الروم عنها

وقد نسبت السلطة هذه الفتـوح لقادتهـا ، كخالـد بـن الوليـد ، وعمـرو العاص ، وأبي موسى الأشعري ، والخلفاء من ورائهم ، مع أن الفضل فيها نظرياً وميدانياً لعليعليه السلام وتلاميذه وفرسانه .

لذلك كان عليعليه السلام يشكو قريشاً فيقول ، كما في شرح النهج: ٢٠/ ٢٩٨:

« اللهم إني أستعديك على قريش، فإنهم أضـمروا لرسـولكصلى الله عليه وآله ضروبـاً من الشر والغدر فعجزوا عنها ، وحِلْتُ بينهم وبينها ، فكانـت الوجبـةُ بي والدائرةُ عليَّ...ولـولا أن قريشـاً جعلـت إسـمهصلى الله عليه وآله ذريعـة إلى الرياسـة ، وسُلَّماً إلى العز والإمرة لما عَبَدت الله بعد موته يوماً واحـداً ، ولارتـدَّت في حافرتها ، وعاد قارحها جذعاً ، وبازلها بكراً !

ثم فتح الله عليها الفتوح فأثْرَتْ بعد الفاقة ، وتمولت بعد الجَهد والمخمصة فحسن في عيونها من الإسلام ما كان سَمِجاً ، وثبت في قلـوب كثـير منهـا من الدين ماكان مضطرباً ، وقالت: لولا أنه حق لما كان كذا !

ثم نسبت تلك الفتوح إلى آراء ولاتها ، وحسن تدبير الأمراء القائمين بها، فتأكد عند الناس نباهة قوم وخمول آخرين ، فكنا نحن ممن خَمِل ذكرُه ، وخَبَتْ نارُه ، وانقطع صوته وصِيتُه ، حتى أكل الدهر علينا وشرب ، ومضت السنون والأحقاب بما فيها ، ومات كثير ممن يعرف ، ونشأ كثير ممن لايعرف »!

يقول بذلك عليه السلام إنه هو الذي رد هجوم المرتدين عن المدينة ، ودفع الخليفة الى حروب الردة ، والى هذه الفتوح ، ودبر إدارتها ، وهيأ أبطالها ، لكن إعلام السلطة نسبها الى الخليفة ، ومن عيَّنهم من قادتها الرسميين .

ومن الواضح أن ذلك لايعني مسؤولية الإمام عليه السلام عن المظالم التي رافقت الفتوحات ، وصدرت من قادة وولاةٍ لم يعينهم .

لذلك كنا بحاجة الى بحث حروب الردة ، وبيان دور أمير المؤمنين عليه السلام فيها وهو مدخل لدراسة الفتوحات الإسلامية وبيان دوره عليه السلام وتلاميذه فيها.

وستجد في هذا البحث أن المحدثين أكثر إعمالاً لأهوائهم من المؤرخين ، وأن حروب الردة والفتوحات تحتاج الى قراءة جديدة ، لكشف واقعها .

كتبه: علي الكَوْراني العاملي

قم المشرفة في الثاني من جمادى الثانية ١٤٣٢

الفصل الأول:

دور علي عليه السلام في حروب الردة

(١) كانت الردة خطراً من عهد النبي صلى الله عليه وآله

أول من حاول الردة والتخلص من حكم النبي صلى الله عليه وآله قريش بعد فتح مكة ، فقد كانت ترى أن النبي صلى الله عليه وآله أخضعها وفتح عاصمتها عنوةً ، وأجبرها على خلع سلاحها ، والدخول في الإسلام .

وقد بحثنا في كتاب آيات الغدير محاولتها الإستقلال بقيادة سهيل بن عمرو ، وكيف عطلت عمل حاكم مكة أُسَيْد بن عتَّاب الذي عينه النبي صلى الله عليه وآله ، وبعث سهيل رسالة الى النبي صلى الله عليه وآله طالباً أن يعامل النبي صلى الله عليه وآله قريشاً كدولة ، ثم جاء الى المدينة يطالب بذلك ، فأيده أبو بكر وعمر !

وقد أجابهم النبي صلى الله عليه وآله جواباً قاطعاً وهددهم بعلي عليه السلام : «فقال: ما أراكم تنتهون يامعشر قريش ، حتى يبعث الله عليكم من يضرب رقابكم على هذا». أي على الإسلام ، وهو تصريح بأنهم لم يسلموا ! (الحاكم:٢/ ١٢٥،وأبو داود:١/ ٦١١).

وكذلك هدد النبي صلى الله عليه وآله ثقيفاً وقبائل أخرى بعلي عليه السلام وأخبرهم أنه سيقاتل بعده على تأويل القرآن ، كما قاتل هو على تنزيله . (آيات الغدير للمؤلف/ ١٤٨).

كما أمر النبي صلى الله عليه وآله علياً عليه السلام أن يعلن تهديده لقريش ومن ينوي الردة ، وهو موقف وقائي لمنعهم من التفكير بالردة !

قال ابن عباس: « إن علياً كان يقول في حياة رسول الله صلى الله عليه وآله : إن الله عز وجل يقول: **أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ** ، والله لا ننقلب على أعقابنا بعد إذ هدانا الله تعالى . والله لئن مات أو قتل لأقاتلن على ما قاتل عليه حتى أموت . لا والله . إني لأخوه ووليه وابن عمه ووارثه ، فمن أحق به مني» !

(الحاكم:٣/١٢٦، والنسائي:٥/ ١٢٥، والمحاملي/١٦٣، والطبراني الكبير:١/ ١٠٧ ومجمع الزوائد:٩/ ١٣٤، وصححوه. والإحتجاج:١/ ٢٩١، وأمالي الطوسي/ ٥٠٢).

(٢) كان هدف ردة القبائل محو الإسلام !

قال ابن واضح اليعقوبي (٢/ ١٢٨) يصف الردة بعد وفاة النبي صلى الله عليه وآله :

« وتنبأ جماعة من العرب ، وارتد جماعة ووضعوا التيجان على رؤوسهم ، وامتنع قوم من دفع الزكاة إلى أبي بكر. وكان ممن تنبأ طليحة بن خويلد الأسدي بنواحيه ، وكان أنصاره غطفان وفزارة ، ورئيسهم عيينة بن حصن الفزاري . والأسود العنسي باليمن . ومسيلمة بن حبيب الحنفي باليمامة . وسجاح بنت الحارث التميمية ، ثم تزوجت بمسيلمة . وكان الأشعث بن قيس مؤذنها » .

وقال الطوسي في المبسوط (٧/ ٢٦٧): « أهل الردة بعد رسول الله صلى الله عليه وآله ضربان: منهم قوم كفروا بعد إسلامهم ، مثل مسيلمة ، وطليحة ، والعنسي وأصحابهم ، وكانوا مرتدين بالخروج من الملة بلا خلاف .

والضرب الثاني: قوم منعوا الزكاة مع مقامهم على الإسلام وتمسكهم به، فسموا كلهم أهل الردة، وهؤلاء ليسوا أهل ردة عندنا وعند الأكثر».

وقال الزمخشري في الكشاف:١/ ٦٢٠:« وقيل بل كان أهل الردة إحدى عشرة فرقة، ثلاث في عهد رسول الله صلى الله عليه وآله: بنو مدلج ورئيسهم ذو الخمار وهو الأسود العنسي، وكان كاهناً تنبأ باليمن واستولى على بلاده وأخرج عمال رسول الله صلى الله عليه وآله، فكتب رسول الله إلى معاذ بن جبل والى سادات اليمن، فأهلكه الله على يدي فيروز الديلمي، بيَّته فقتله، وأخبر رسول الله صلى الله عليه وآله بقتله ليلة قتل، فَسُرَّ المسلمون، وقبض رسول الله صلى الله عليه وآله من الغد، وأتى خبره في آخر شهر ربيع الأول.

وبنو حنيفة قوم مسيلمة، تنبأ وكتب إلى رسول الله صلى الله عليه وآله...

وبنو أسد، قوم طليحة بن خويلد...

وسبع في عهد أبي بكر: فزارة قوم عيينة بن حصن، وغطفان قوم قُرَّة بن سلمة القشيري، وبنو سليم، قوم الفجاءة بن عبد ياليل، وبنو يربوع قوم مالك بن نويرة. وبعض تميم، قوم سجاح بنت المنذر المتنبئة، التي زوجت نفسها مسيلمة الكذاب...وكندة قوم الأشعث بن قيس. وبنو بكر بن وائل بالبحرين قوم الحطم بن زيد. وكفى الله أمرهم على يدي أبي بكر.

وفرقة واحدة في عهد عمر: غسان قوم جبلة بن الأيهم نَصَّرَتْهُ اللطمة (لطمه عمر) وسيَّرته إلى بلاد الروم بعد إسلامه». والينابيع الفقهية: ٩/ ١٤٣.

أقول: هذا التعداد للمرتدين غير دقيق ، فبعضهم أشيع عنهم أنهم ارتدوا لأنهم اعترضوا على خلافة أبي بكر فسماهم مرتدين ، كبني يربوع من بني تميم ، الذين كان رئيسهم مالك بن نويرة رحمه الله صحابياً جليلاً شهد له النبي صلى الله عليه وآله بالجنة . فقد جاء مالك الى المدينة فتفاجأ عندما رأى أبا بكر على منبر النبي صلى الله عليه وآله ، فاعترض عليه وسأله: أين عليٌّ الذي أوصانا النبي صلى الله عليه وآله بطاعته من بعده ؟فأجابه أبو بكر بأنك كنت غائباً لا تعرف ماذا حدث ، ورد عليه مالك واتهمه، فأمر أبو بكر خالد بن الوليد أن يخرجه من المسجد واتهمه بالردة .

وعندما أرسل أبو بكر خالداً لقتال طليحة ، أمره أن يقتل مالك بن نويرة حتى لايفتق على خلافته فتقاً ويحشد معه بني تميم ، فذهب خالد واحتال على مالك وقتله غدراً ، وأخذ زوجته !

وقد اعترض عليه عدد من الصحابة كانوا معه ، مثل عبد الله بن عمر وأبي قتادة الأنصاري، فأصر على فعله ولم يسمع كلامهم . كما انتقده عمر ، وطالب أبا بكر أن يقتص منه لأنه قتل مسلماً ، وعدا على زوجته !

وكذلك بدأت حركة قبائل كندة في حضرموت ، فعندما توفي النبي صلى الله عليه وآله دعاهم عاملهم لبيد بن زياد البياضي الى بيعة أبي بكر: « فقال له الحارث: أخبرني لم نَحَّيْتُم عنها أهل بيته صلى الله عليه وآله وهم أحق الناس بها ، لأن الله عز وجل يقول: **وَأُوْلُواْ الأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللهِ** . فقال له زياد بن لبيد: إن المهاجرين والأنصار أَنْظَرُ لأنفسهم منك .فقال له الحارث بن معاوية:لا

والله ! ما أزلتموها عن أهلها إلا حسداً منكم لهم ، وما يستقر في قلبي أن رسول الله صلى الله عليه وآله خرج من الدنيا ولم ينصب للناس علماً يتبعونه ! فارحل عنا أيها الرجل فإنك تدعو إلى غير رضا ، ثم أنشأ الحارث بن معاوية يقول:

كان الرسول هو المطاع فقد مضى   صلى عليه الله لم يستخلف !

قال: فوثب عرفجة بن عبد الله الذهلي فقال: صدق والله الحارث بن معاوية ! أخرجوا هذا الرجل عنكم ، فما صاحبه بأهل للخلافة ولا يستحقها بوجه من الوجوه ، وما المهاجرون والأنصار بأنظر لهذه الأمة من نبيها محمد صلى الله عليه وآله ». (فتوح ابن الأعثم: ١/ ٤٨).

فقد بدأت حركة كندة ضد أبي بكر بسبب رفضهم لخلافته ، ولم تكن ردة عن الإسلام ، ثم دخل في حركتهم رئيسهم الأشعث بن قيس فجعلها ردة ومفاوضة مع أبي بكر لأخذ امتيازات ، وقد أخذ ما يريد !

قال ابن حبان في الثقات:٢/ ١٨١ : « فلما قدم الأشعث على أبى بكر قال أبو بكر: فما تأمرني أن أصنع فيك فإنك فعلت ما علمت ؟ قال الأشعث: تمن على وتفكني من الحديد وتزوجني أختك ، فإنى قد راجعت وأسلمت . قال أبو بكر: قد فعلت ، فزوجه أخته (أم) فروة بنت أبي قحافة ».

لكن استغلال شعار الردة لتصفية المعارضين للسقيفة ، لا ينفي وجود حركة ردة في قبائل العرب . وسببها أن عدداً من القبائل تصوروا أن نبوة قريش انتهت بوفاة النبي صلى الله عليه وآله ، وأن الفرصة جاءتهم ليعلنوا نبوتهم ، ويتحركوا ويحققوا مكاسب قبلية ، كما حققت قريش من نبوتها بزعمهم !

لقد كانت الردة وادعاء النبوة فورة طمع مـن قبائـل لم يـدخل الإيـمان في قلوبها ، فهي تطمع أن تفرض سيطرتها بادعاء النبوة ، كما قـال تعـالى: قَالَتِ الأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الآيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ .

قال في تاريخ دمشق:٢٥/ ١٥٦: «فلما مات رسول الله ﷺ قام عيينة بن حصـن في غطفان فقال: ما أعرف حدود غطفان منذ انقطع ما بيننا وبين بني أسد ، وإني لمجدد الحلف الذي كان بيننا في القـديم ومتـابع طليحـة . ووالله لأن نتبع نبياً من الحليفين أحب إلينا من أن نتبع نبياً من قريش. وقد مات محمد وبقي طليحة ! فطابقوه على ذلك » !

ويقصد بالحليفين: غطفاناً وأسداً . وهو كقول أبي جهل: نبيٌّ من بني هاشم ! لا والله حتى يكون نبي من مخزوم !

واندفعت القبائل وهاجمت المدينة ، لكنهـا اكتشـفت أن دولـة المسـلمين قوية ، وأنهم ثابتون على نبوة نبيهم ﷺ ، وفاجأهم الفـارس الـذي رأوه في حنين يقطف رؤوس أصحاب الرايات ، فقصـد قائـدهم في ظـلام الليـل وجندله ! فتراجعوا منهزمين بخفة !

وبعض المرتـدين احتاجـت شـوكتهم الى اسـتعمال القـوة مـن المسـلمين المحليين . وبعضها احتاجت الى إرسال قوة من عاصمة الخلافة كطليحـة ، أو إرسال جيش كبير ، وخوض معركة صعبة معهم ، كمسيلمة الكذاب .

وقد وصف علي عليه السلام ردة القبائل بعد النبي صلى الله عليه وآله، فقال في رسالته الى أهل مصر: «فأمسكت يدي حتى رأيت راجعة الناس قد رجعت عن الإسلام، يدعون إلى محق دين محمد صلى الله عليه وآله»! (نهج البلاغة:٣/ ١١٩).

وأهم حركات الردة ثلاث:

حركة الأسود العنسي: الذي ادعى النبوة في اليمن وقتل عامل النبي صلى الله عليه وآله وسيطر على صنعاء، وقد أنهى النبي صلى الله عليه وآله حركته في حياته، وجاءه الوحي وهو في مرض وفاته صلى الله عليه وآله بقتل الأسود العنسي، وأخبر المسلمين بذلك.

والثانية حركة طليحة الأسدي: الذي جمع عدة قبائل وهاجم المدينة، فنهض أمير المؤمنين علي عليه السلام والصحابة لمواجهته. وأرسل له أبو بكر عدي بن حاتم، ثم أرسل قوة بقيادة خالد بن الوليد، ولكن خالداً وصل بجيشه الى قرب معسكره في بُزَّاخَة، فوجد جثة الفارسين اللذين أرسلهما للإستطلاع، وهما ثابت بن أقرم وعكاشة بن محصن، فخاف خالد ورجع قاصداً عدي بن حاتم الطائي، الذي كان ناشطاً في إقناع بني طيئ وحلفائهم بترك طليحة.

وقد نجح عديٌّ في مسعاه، وانضم الى خالد في جيش من طيئ وبجيلة، وقصدوا طليحة، وتولى عديٌّ والأنصار قتال طليحة، ولم يشترك خالد في المعركة، فانهزم طليحة وهرب الى الشام، وتفرق أتباعه، وانتهت حركته.

والثالثة حركة مسيلمة الكذاب: وهي أهم حركات الردة والتنبؤ، فقد جمع حوله قبيلته بني حنيفة ، ومعهم غيرهم ، وكان مركزه اليمامة وهي مدينة الرياض الفعلية نفسها أو قربها ، ومكان المعركة يسمى عَقْرُبَاء ، وتسمى اليوم الجبيلة ، وتبعد نحو ٤٠ كيلو متراً عن الرياض .

وكان قائد المسلمين الرسمي فيها خالد بن الوليد ، لكنه لم يقاتل بنفسه أبداً ، واستمرت المعركة يومين ، واستشهد فيها من المسلمين نحو ألف ومئتين ، وقتل من أتباع مسيلمة واحدٌ وعشرون ألفاً ، وقتل مسيلمة .

۞ ۞

(٣) أبو بكر وعمر يفقدان المقومات العسكرية

تضرب الأمثال عند العرب والعالم بشجاعة علي بن أبي طالب عليه السلام وبطولته ، ويليه أفراد معدودون من الصحابة لكن مع فارق كبير .

أما الباقون فكان أحدهم إذا حميَ الوطيس يحفظ نفسه في الصفوف الخلفية ، أو يهرب مُوَلِّياً من المعركة ، تاركاً النبي صلى الله عليه وآله لسيوف أعدائه !

وقد وصفتهم فاطمة الزهراء عليها السلام فقالت كما في بلاغات النساء/١٣: « وكنتم على شفا حفرة من النار ، مُذقة الشارب ، ونُهزة الطامع، وقَبْسَة العَجْلان ، وموطئ الأقدام ، تشربون الطَّرَق ، وتقتاتون الورق ، أذلة خاسئين ، تخافون أن يتخطفكم الناس من حولكم !

فأنقذكم الله بابي بعد اللُّتَيَّا والتي ، وبعد ما مُنِيَ ببُهم الرجال ، وذؤبان العرب ، ومَرَدَة أهل الكتاب ، كلما حَشَوْا ناراً للحرب أطفأها ، ونَجَمَ قرنٌ للضلال ، وفَغَرت فاغرة من المشركين ، قذف بأخيه في لهواتها، فلاينكفئ حتى يطأ صِماخها بأخمصه ، ويخمد لهبها بحده ، مكدوداً في ذات الله ، قريباً من رسول الله ، سيداً في أولياء الله ، وأنتم في بَلَهْنِيَةٍ وادعون آمنون..

حتى إذا اختار الله لنبيه صلى الله عليه وآله دار أنبيائه ، ظهرت حسيكة النفاق ، وسمل جلباب الدين ، ونطق كاظم الغاوين ، ونبغ خامل الآفلين ، وهدر فنيق المبطلين..الخ.».

وكما اتفق المسلمون على شجاعة علي عليه السلام ، فقد اتفقوا على أن أبا بكر وعمر لم يشتركا في أي معركة من معارك النبي صلى الله عليه وآله ، ولم يضربا ضربةً بسيف ، ولا طعنا طعنةً برمح ! بل كانا عندما تبرز الأبطال ويزحف الصفان ، يتأخران الى الصفوف الخلفية يحفظان حياتهما ، أو يوليان الدبُر ويهربان !

قال في مناقب آل أبي طالب:١/ ٣٤١: « المعروفون بالجهاد: عليٌّ ، وحمزة ، وجعفر ، وعبيدة بن الحارث ، والزبير ، وطلحة ، وأبو دجانة ، وسعد بن أبي وقاص ، والبراء بن عازب ، وسعد بن معاذ ، ومحمد بن مسلمة . وقد أجمعت الأمة على أن هؤلاء لا يقاسون بعلي عليه السلام في شوكته وكثرة جهاده . فأما أبو بكر وعمر فقد تصفحنا كتب المغازي فما وجدنا لهما فيه أثراً البتة ».

وروى سليم بن قيس في كتابه/ ٢٤٧، قول علي عليه السلام يصف أبا بكر وعمر وعثمان: « ألا إن العجب كل العجب من جُهال هذه الأمة وضُلالها ، وقادتها وساقتها إلى النار ، لأنهم قد سمعوا رسول الله صلى الله عليه وآله يقول عوداً وبدءً: ما ولَّت أمة رجلاً قط أمرها وفيهم أعلم منه ، إلا لم يزل أمرهم يذهب سفالاً حتى يرجعوا إلى ما تركوا !

فولوا أمرهم قبلي ثلاثة رهط ، ما منهم رجل جمع القرآن ، ولا يدعي أن له علماً بكتاب الله ولا سنة نبيه . وقد علموا يقيناً أني أعلمهم بكتاب الله وسنة نبيه ، وأفقههم وأقرأهم لكتاب الله ، وأقضاهم بحكم الله .

وأنه ليس رجل من الثلاثة له سابقة مع رسول الله صلى الله عليه وآله ، ولا غَناء معه في جميع مشاهده ، فلا رمى بسهم ، ولا طعن برمح ، ولا ضرب بسيف ، جبناً ولؤماً ، ورغبةً في البقاء . وقد علموا أن رسول الله صلى الله عليه وآله قاتل بنفسه فقتل أبيَّ بن خلف ، وقتل مسجع بن عوف ، وكان من أشجع الناس وأشدهم لقاء ، وأحقهم بذلك .

وقد علموا يقيناً أنه لم يكن فيهم أحد يقوم مقامي ، ولا يبارز الأبطال ولا يفتح الحصون غيري ، ولا نزلت برسول الله صلى الله عليه وآله شديدة قط ، ولا كَرَبَهُ أمرٌ ولا ضاق مستصعب من الأمر ، إلا قال: أين أخي علي ، أين سيفي ، أين رمحي ، أين المفرج غمي عن وجهي ! فيقدمني فأتقدم فأفديه بنفسي ، ويكشف الله بيدي الكرب عن وجهه . ولله عز وجل ولرسوله بذلك المَنُّ والطول حيث خصني بذلك ووفقني له .

لم يكن لأبي بكر وعمر أي سابقة في الدين . وإن بعض من سميت ما كان ذا بلاء ولا سابقة ولا مبارزة قرن ، ولا فتح ولا نصر ، غير مرة واحدة ، ثم فرَّ ومنح عدوه دُبُرَه ، ورجع يُجَبِّن أصحابه ويجبنونه ، وقد فرَّ مراراً ! فإذا كان عند الرخاء والغنيمة تكلم وتغير(أظهر الغيرة) وأمر ونهى » !

الى آخر كلامه عليه السلام وهو طويل ، ملئ بالحجج .

ثم نلاحظ أن الله تعالى أنزل السكينة على النبي صلى الله عليه وآله والمؤمنين في حُنين فقال: **ثُمَّ وَلَّيْتُم مُدْبِرِينَ ، ثُمَّ أَنْزَلَ اللهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ** . بينما أنزلها في الهجرة على النبي صلى الله عليه وآله وحده ، ولم ينزلها على صاحبه ، مع أنه كان حزيناً . **قال تعالى: فَأَنْزَلَ اللهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ..ولم يقل: عليهما.**

وفي معركة بدر: قال الله عز وجل عن فريق من الصحابة: **كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَارِهُونَ. يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَ مَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا**

يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنْظُرُونَ. وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ اللهُ أَنْ يُحِقَّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ .

قال مسلم في صحيحه(٥/ ١٧٠): «شاور حين بلغه إقبال أبي سفيان ، قال فتكلم أبو بكر فأعرض عنه ، ثم تكلم عمر فأعرض عنه » !

وفي الدر المنثور: ٣/ ١٦٥: «فقال عمر بن الخطاب: يارسول الله إنها قريش وعزها ! والله ما ذلت منذ عزت ، ولا آمنت منذ كفرت ، والله لتقاتلنك ، فتأهب لذلك أهبته واعدد له عدته » !

أي إرجع واستعد لقتالها في المستقبل! فهو ينصح النبي صلى الله عليه وآله بالرجوع وعدم قتال قريش ! كالذين **يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنْظُرُونَ** .

وروى البخاري (٥/ ١٨٧) قول المقداد: «يا رسول الله إنا لا نقول لك كما قالت بنو إسرائيل لموسى: **فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ** ، ولكن إمض ونحن معك . فكأنه سُرِّيَ عن رسول الله صلى الله عليه وآله». **ومعنى إعراضه صلى الله عليه وآله عن الشيخين وسروره بقول المقداد: أنه أفضل منهما وأشجع ؟!**

وقد ثبت عن أبي بكر وعمر أنهما لم يقاتلا في بدر، وقد اعتذروا عن أبي بكر بأن النبي صلى الله عليه وآله استبقاه معه في العريش ، ليستشيره في إدارة المعركة !

لكنهم رووا أن النبي صلى الله عليه وآله خرج من الخيمة المزعومة وقاتل قتالاً شديداً ، ولم يكن معه أبو بكر ولا عمر ، فأين كانا ؟!

قال علي عليه السلام: «لقد رأيتني يوم بدر ونحن نلوذ بالنبي صلى الله عليه وآله ، وهو أقربنا إلى العدو وكان من أشد الناس يومئذ بأساً » ! ومجمع الزوائد:٩/ ١٢. وقد صححوه.

أما عمر فاعترف بأنه رأى العاص بن سعيد بن العاص في بدر فهرب منه: « رأيته يبحث للقتال كما يبحث الثور بقرنه ، فإذا شدقاه قد أزبدا كالوزغ فهبته وزُغت عنه! فقال إلى أين يا ابن الخطاب».(ابن هشام: ٢/ ٤٦٤).

ثم أنزل الله في بدر: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحْفًا فَلا تُوَلُّوهُمُ الأَدْبَارَ. وَمَنْ يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلامُتَحَرِّفًا لِقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَى فِئَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِنَ اللهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ. (الأنفال: ١٥-١٦).

ومعناه أنه كان في بدر فرارٌ من المبارزة ، وفرارٌ الى الصفوف الخلفية ! وهو فرارٌ تام الشروط والأركان ، مستوجبٌ لغضب الرحمن .

وفي أُحُد: زعموا أن عمر هرب وأبا بكر لم يهرب ، **فقال في الطبقات: ٢/ ٤٢:** «وثبت معه عصابة من أصحابه أربعة عشر رجلاً ، سبعة من المهاجرين فيهم أبو بكر الصديق ، وسبعة من الأنصار» .

لكنهم كذَّبوا هذه الرواية فقال أبو بكر إنه من أول من رجع من الفرار يوم أُحُد! **ففي الطبقات** (٣/ ١٥٥): «عن عائشه قالت: حدثني أبو بكر قال: كنت في أول من فاء الى رسول الله صلى الله عليه وآله يوم أحد ».

يقصد أنه كان في الأوائل الذين عادوا من الفرار ، وقد عادوا بعد الظهر ، بعد أن انسحب المشركون وغادروا ، وبعد أن صلى النبي صلى الله عليه وآله على الشهداء !

أما عمر فقد تحدث عن هروبه ووصف نفسه ، **ففي تفسير الطبري (٤/ ١٩٣):** «خطب عمر يوم الجمعة فقرأ آل عمران..قال: لما كان يوم أحد..ففررت

حتى صعدت الجبل ، فلقد رأيتني أنـزو كـأنني أروى ، والنـاس يقولـون: قتل محمد». والأروى: **العنز الجبلية التي تتسلق الصخور !**

وقال ابن إسحاق(٣/ ٣٠٩) أن أنس بن النضر: «انتهـى إلى عمـر بـن الخطـاب وطلحة بن عبيـد الله ، في رجـال مـن المهـاجرين والأنصـار ، وقـد ألقـوا بأيديهم (انهاروا) فقال: ما يجلسكم؟قالوا: قتل رسول الله ! قال:فـما تظنـون بالحياة بعده ! قوموا فموتوا على ما مات عليه رسول اللهﷺ! ثـم اسـتقبل القوم فقاتل حتى قتل ». **ولم يؤثر كلامه في الصحابة وبقوا على الصخرة !**

وفي تفسير الطبري:٤/ ١٥١: « قال أهل المرض والإرتياب والنفـاق حـين فـرَّ الناس عن النبيﷺ: قد قتل محمد فالحقوا بدينكم الأول »!

وفي الدر المنثور:٢/ ٨٠ ، **أن أحدهم قال أحدهم**: « والذي نفسي بيده لئن كـان قتل النبيﷺلنعطينهم بأيدينا ، إنهم لعشـائرنا وإخواننـا! وقـالوا: لـو أن محمداً كان نبيـاً لم يهـزم ولكنـه قـد قتـل! فترخصـوا في الفـرار حينئـذ » ! **وأصحاب هذا الموقف وهذه الردة قرشيون ، لقولهم إنهم لعشائرنا !**

وفي معركة الخندق: أخذ الصحابة يستأذنون النبـيﷺليتفقـدوا بيـوتهم ، فكانوا يذهبون ولايعودون ! وبعضهم هرب بلا استئذان !

قال حذيفة كما رواه الحاكم:٣/ ٣١: «إن الناس تفرقوا عن رسـول اللهﷺليلـة الأحزاب ، فلم يبق معه إلا اثنا عشر رجلاً » !

وهذا فرار مخفي ، وقد فضحه الله تعالى بقوله: وَلَقَدْ كَانُوا عَاهَدُوا اللهَ مِـنْ قَبْـلُ لا يُوَلُّونَ الأَدْبَارَ وَكَانَ عَهْدُ اللهِ مَسْئُولاً. ومعناه: أنهم ولوهم الأدبار ، بترك الخندق !

قال عبد الله بن عمر: « بعثني خالي عثمان بن مظعون لآتيه بلحاف ، فأتيت النبي فاستأذنته وهو بالخندق فأذن لي ، وقال: من لقيت فقل لهم إن رسول الله يأمركم أن ترجعوا ، وكان ذلك في برد شديد ، فخرجت ولقيت الناس فقلت لهم: إن رسول الله يأمركم أن ترجعوا .قال: فلا والله ماعطف عليَّ منهم اثنان ، أو واحد» ! (الطبراني في الأوسط:٥/ ٢٧٥، وصححه مجمع الزوائد:٦/ ١٣٥).

ووصفت عائشة (أحمد:٦/ ١٤١) اختباء جماعة من الصحابة في حديقة ، منهم عمر وطلحة، وكانا يتخوفان من الفرار العام ، فيفتي طلحة بأنه جائز ، لأنه فرارٌ الى الله تعالى !

ورووا أنه بعد أن قتل علي عليه السلام عمرو بن ود ، أمر النبي صلى الله عليه وآله عمر بن الخطاب أن يبرز الى ضرار بن الخطاب ، فنكص عنه ! (تفسيرالقمي:٢/ ١٨٢).

بينما روى الجميع قول النبي صلى الله عليه وآله :« لَمُبارزة علي بن أبي طالب لعمرو بن عبد وُدٍّ يومَ الخندق ، أفضل من أعمال أمتي إلى يوم القيامة». (الحاكم:٣/ ٣٢).

وفي معركة خيبر: روى النسائي:٥/ ١٠٨: «دعا أبا بكر فعقد له لواءً ثم بعثه فسار بالناس فانهزم ، حتى إذا بلغ رجع! فدعا عمر فعقد له لواءً ، فسار ثم رجع منهزماً بالناس! فقال رسول الله: لأعطين الراية رجلاً يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله ، يفتح الله له ليس بفرار». والزوائد:٩/ ١٢٤وصححه.

وفي رواية عن سعد بن أبي وقاص أنه قال: « فغضب رسول الله ﷺ وقال: لأعطين الراية غداً رجلاً يحبه الله ورسوله ويحب الله ورسوله ، كرار غير فرار ، لا يرجع حتى يفتح الله على يديه». (أمالي المفيد/ ٥٦).

وفي غزوة ذات السلاسل: رجع أبو بكر وعمر منهزمين ، فأرسل النبي ﷺ علياً فانتصر ، ونزلت سورة العاديات . (الإرشاد:١/ ١٥٠).

وفي حنين: فرَّ أبو بكر وعمر مع الفارين ، وتركوا رسول الله ﷺ لسيوف عشرين ألف مقاتل من هوازن ، وثبت معه بنو هاشم فقط وفقط !

قال الله تعالى: لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُمْ مُدْبِرِينَ . ثُمَّ أَنْزَلَ اللهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ..

وروي أن أبا بكر عانهم، أي أصابهم بالعين ! وفي سيرة ابن كثير(٣/ ٦١٠): «وقال أبو بكر الصديق: لن نغلب اليوم من قلة ، فانهزموا ، فكان أول من أنهزم بنو سليم ، ثم أهل مكة ، ثم بقية الناس ».

وقال المفيد في الإفصاح/ ٦٨:«وكان أبو بكر هو الذي أعجبته في ذلك اليوم كثرة الناس فقال لانغلب اليوم من قلة .ثم كان أول المنهزمين ومن ولى من القوم الدبر ، فقال الله تعالى: وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ . فاختص من التوبيخ به لمقاله بما لم يتوجه إلى غيره ، وشارك الباقين في الذم على نقض العهد والميثاق». وستعرف خوف عمر ، وإصراره على عدم قتال المرتدين .

(٤) وعندما داهمهم الخطر أحسُّوا بالحاجة الى علي عليه السلام

أثبتت حروب النبي صلى الله عليه وآله لقبائل العرب أنه قوة عسكرية لا تُقهر، فهو من بني عبد المطلب الشجعان الذين لايعرفون ما هو الفرار . والوحي يأتيه . ومعه فرسان أبطال ، أولهم وأعظمهم ابن عمه علي بن أبي طالب عليه السلام، الذي دوى صيته في أرجاء الجزيرة ، لما جندل أبطال قريش في بدر وأحد ، وقتل في وقعة الأحزاب بطل العرب الذي لا يبارى عمرو بن ود .

ثم اقتحم أكبر حصون خيبر بعد أن حاصره المسلمون شهراً وعجزوا عن فتحه ، وكان عليه السلام غائباً فجاء واقتحمه وجندل بطل اليهود مرحباً ، وقلع باب الحصن ودخله ، وقتل فرسانه ، ففتحه وحده ثم التحق به المسلمون !

قال ابن هشام في السيرة:٣/ ٧٩٧: «بعث أبا بكر الصديق برايته..الى بعض حصون خيبر فقاتل فرجع ولم يك فتح وقد جهد ! ثم بعث الغد عمر بن الخطاب ، فقاتل ثم رجع ولم يك فتح وقد جهد !

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله : لأعطين الراية غداً رجلاً يحب الله ورسوله ، يفتح الله على يديه ليس بفرار ! قال: يقول سلمة: فدعا رسول الله صلى الله عليه وآله علياً رضوان الله عليه وهو أرمد فتفل في عينه ، ثم قال: خذ هذه الراية فامض بها حتى يفتح الله عليك . قال: يقول سلمة: فخرج والله بها يأنح ، يهرول هرولة ، وإنا لخلفه نتبع أثره.. فما رجع حتى فتح الله على يديه ».

وفي معركة حنين ، حيث حشدت هـوازن عشـرين ألـف مقاتـل ، وكـان جيش النبي صلى الله عليه وآله اثني عشر ألفاً ، ففاجأته هوازن بكمين كبير فهرب الجيش كله ، وثبت النبي صلى الله عليه وآله وبنـو هاشـم ، فـوكَّلهم علـيٌّ عليه السلام بحمايـة النبـي صلى الله عليه وآله ، وغاص في جيش هوازن يقطف رؤوس قادته فقط ، حتـى جنـدل أربعـين من حملة الرايات ، فوقعت فيهم الهزيمة ، واستعاد النبي صلى الله عليه وآله الكفة ، وحقق النصر المؤزر .

فبهذه القوة ، التي دوى صـيتها في الـدنيا ، كانـت قبائـل العـرب تهـاب النبي صلى الله عليه وآله !

وبهذه القوة ، كان النبي صلى الله عليه وآله يهددها ، وتقدم أنه هدد قريشاً بأنها إن لم تنته عن شيطنتها ، فسيبعث لها علياً عليه السلام ليؤدبها ، وكذلك هدد ثقيفاً بعلي عليه السلام .

كما أمر علياً عليه السلام أن يعلن تهديده لمن يفكر بـالردة بعـد وفاتـه صلى الله عليه وآله ، فـأعلن ذلك .

قال ابن عباس: « إن علياً كـان يقـول في حيـاة رسـول الله صلى الله عليه وآله : إن الله عـز وجل يقول: أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ . والله لانقلب على أعقابنـا بعد إذ هدانا الله تعالى . والله لئن مات أو قتل لأقاتلن عـلى مـا قاتـل عليـه حتى أموت . لاوالله . إني لأخوه ووليه وابن عمه ووارثه ، فمـن أحـق بـه مني »! (الحاكم:٣/ ١٢٦).

فأصل قوة المسلمين بعلي عليه السلام . وخوف قبائل العرب من عـلي عليه السلام . وعقـدة قريش وثأرها عند النبي صلى الله عليه وآله والأنصار ، يتركز على علي عليه السلام !

« قال ابن عمر لعلي عليه السلام: كيف تحبك قريش وقد قتلت في يوم بدر واحد من ساداتهم سبعين سيداً ، تشرب أنوفهم الماء قبل شفاهم ».

والأنف الطويل عند العرب صفة جمال ، ولعله علامة أبناء إبراهيم عليه السلام.

وقال أمير المؤمنين عليه السلام:

ما تركتْ بدرٌ لنا مذيقا ولا لنا من خلفنا طريقا .

وسئل الإمام زين العابدين عليه السلام وابن عباس أيضاً: « لم أبغضت قريش علياً ؟ قال: لأنه أورد أولهم النار ، وقلد آخرهم العار ».(مناقب آل أبي طالب:٣/ ٢١).

وقال في شرح نهج البلاغة:١٣/ ٢٩٩: « ولست ألوم العرب ، لا سيما قريشاً في بغضها له وانحرافها عنه ، فإنه وتَرَها وسَفَك دماءها ، وكشف القناع في منابذتها ، ونفوس العرب وأكبادهم كما تعلم . وليس الإسلام بمانع من بقاء الأحقاد في النفوس ، كما نشاهده اليوم عياناً ، والناس كالناس الأُوَل والطبائع واحدة . فاحسب أنك كنت من سنتين أو ثلاث جاهلياً أو من بعض الروم ، وقد قتل واحد من المسلمين ابنك أو أخاك ثم أسلمت . أكان إسلامك يُذهب عنك ما تجده من بغض ذلك القاتل وشنآنه ، كلا إن ذلك لغير ذاهب .

هذا إذا كان الإسلام صحيحاً ، والعقيدة محققة ، لا كإسلام كثير من العرب ، فبعضهم تقليداً ، وبعضهم للطمع والكسب ، وبعضهم خوفاً من السيف ، وبعضهم على طريق الحمية والإنتصار ، أو لعداوة قوم آخرين ، من أضداد الإسلام وأعدائه !

واعلم أن كل دم أراقه رسول الله صلى الله عليه وآله بسيف علي عليه السلام وبسيف غيره ، فإن العرب بعد وفاته عَصَبَتْ تلك الدماء بعلي بن أبي طالب عليه السلام وحده ! لأنه لم يكن في رهطه من يستحق في شرعهم وسنتهم وعادتهم أن تُعصب به تلك الدماء إلا بعليٍّ وحده ، وهذه عادة العرب إذا قتل منها قتلى طالبت بتلك الدماء القاتل ، فإن مات أو تعذرت عليها مطالبته ، طالبت بها أمثل الناس من أهله . لمَّا قَتل قوم من بنى تميم أخاً لعمرو بن هند ، قال بعضهم يحرض عمرواً عليهم:

من مُبلغٌ عمراً بأن ... المرءَ لم يخلق صَبَارهْ (حجارة)

وحوادثُ الأيام لا يبقى ... لها إلا الحجارهْ

ها إن عَجْزَةَ أمَّةٍ ... بالسفح أسفل من أوارهْ

تَسفى الرياح خلال كَشْحَيْهِ وقد سلبوا إزارهْ

فاقتل زرارة لا أرى ... في القوم أمثلَ من زرارهْ

فأمره أن يقتل زرارة بن عدس رئيس بنى تميم ، ولم يكن قاتلاً أخا الملك ولا حاضراً قتله ! ومن نظر في أيام العرب ووقائعها ومقاتلها عرف ما ذكرناه » !

وكان بغض قريش لعلي عليه السلام لقتله أبطالها في بدر ، حجتها لعزله عن الخلافة ومخالفة نبيها صلى الله عليه وآله وربها عز وجل فيه ، وإبعاد بني هاشم عن أي منصب ، وبيعة أبي بكر مرشح الطلقاء .

لكن لم يمض شهران على وفاة النبي صلى الله عليه وآله حتى تحركت قبائل العرب ضد قريش ونبيها صلى الله عليه وآله وخليفته ، فأحست قريش بحاجتها الماسَّة الى علي عليه السلام .

لقد تسارعت القبائل في الغستجابة لادعاء طليحة بن خويلد النبوة ! والإنضمام الى قواته ، فانضم بنو فزارة بقيادة عيينة بن حصن ، الذي قال إن نبياً من حلفائهم بني أسد أحب اليه من نبي قريش .

وانضمت بطون من طيئ ، وخزاعة ، وغيرها في ألوف مؤلفة ، حتى ضاقت بأعدادهم سُمَيْراء وبُزَّاخَة وهي مناطق قرب حائل ، فاتخذوا معسكراً آخر في ذي القَصَّة قرب المدينة ، وأرسل طليحة ابن اخيه لقيادته وغزو المدينة !

وقد أتقن طليحة توقيت مهاجمة المدينة ، فاختار فترة تنحية قريش بطلها علي بن أبي طالب عليه السلام عن الحكم ، فتخيل أنه قد اعتزل النظام وانتهت أسطورته ! وفترة إرسال أبي بكر جيش أسامة الى مؤتة البعيدة لحرب الروم حسب أمر النبي صلى الله عليه وآله ، فخفَّت قوة المسلمين في المدينة الى أدنى مستوى !

وفي تلك الفرصة الذهبية أرسل طليحة وفداً من أنصاره ، من بني أسد ، وبني فزارة ، وبني حنيفة ، وطيئ ، وغيرهم ، الى أبي بكر يطلبون منه إسقاط الزكاة عنهم ، أي الضرائب التي هي رمز دخولهم في الدولة ، فإن لم يقبل هاجموا المدينة واحتلوها ، وأعلنوا نبوة طليحة وإلغاء نبوة محمد صلى الله عليه وآله !

كانت هذه الحادثة بعد ستين يوماً من وفاة النبي صلى الله عليه وآله ، وكان لها وقع شديد على الصحابة ، خاصة على قريش ونظامها الجديد ، وغطى ذلك على فرحتهم بأنهم أخذوا دولة محمد صلى الله عليه وآله من أهل بيته عليهم السلام ، وعزلوهم !

وظهر هنا تفكير قريش التجاري الخائف ، في موقف عمر بن الخطاب الذي أصرَّ على أبي بكر أن يقبل بشروط القبائل، ليكفوا عن مهاجمة المدينة!

لكن كان واضحاً أن قبول أبي بكر بشروطهم ، ليس إلا بداية خضوع لمطالبهم التي لاتنتهي إلا بسيطرتهم التامة على المدينة ، وإنهاء الإسلام !
فما داموا أعلنوا نبوة نبيهم طليحة مع نبوة قريش أو بدلها، فستكون بدلها!

وكان أبو بكر أبعد نظراً من عمر ، وأشجع منه ، وأرق منه أيضاً ، فقرر أن يصالح علياًعليه السلام ، ويمد اليه يده ، لأن العرب لا تخاف إلا منه !
وأن يشاوره في أمر المرتدين ويستعين به عليهم ، وهو يعرف أن رأيه لا محالة رد مطالبهم وقتالهم ، كما كان رأيه إنفاذ جيش أسامة .
فشاور علياًعليه السلام وأخذ برأيه ، وخالف عمر ، بل وبخه بشدة ، كما يأتي !

كما أن علياًعليه السلام لم ينتظر أن يشاوره أبو بكر ، فأرسل لهم محذراً من تباطؤهم في حرب أتباع المتنبئين ، وأنه سيخرج بمن أطاعه إذا لم يخرجوا هم !

۞ ۞

(٥) أبو بكر يحاول مصالحة علي عليه السلام ويستشيره

نلاحظ موقفين لَيِّنين لأبي بكر تجاه العترة الطاهرة عليهم السلام في أول خلافته ، أحدهما عندما كان على منبر النبي صلى الله عليه وآله فأتاه الحسن بن علي عليه السلام وكان غلاماً دون العاشرة فجرَّ ثوبه قائلاً: « إنزل عن منبر أبي ، واذهب الى منبر أبيك»!

والثاني عندما قال عليٌّ لفاطمة عليها السلام: « إن أبا بكر أرق من صاحبه ، فائتـه عندما يكون عمر غائباً ، فذهبت اليه »، فكتب لها مرسوماً بإعادة فدك !

كما نلاحظ موقفين مهمين خالف فيهما أبو بكر عمر وأخذ برأي علي عليه السلام في إرساله جيش أسامة ، ثم في رد طلب المرتدين أتباع طليحة الأسدي .

فقد روى ابن سعد في ترجمة الإمام الحسن عليه السلام من طبقاته/ ٦٨: «عن عروة أن أبا بكر خطب يوماً فجاء الحسن فصعد إليه المنبر فقال: إنزل عن منبر أبي! فقال أبو بكر: صدقت ، والله إنه لمنبر أبيك لا منبر أبى ، فبعث على إلى أبى بكر إنه غلام حدث وإنا لم نأمره.فقال أبو بكر: صدقت ، إنا لم نتهمك».

ورووا مثله عن الحسين عليه السلام أنه قال لعمر: « إنزل عن منبر أبي ، واذهب إلى منبر أبيك. فقال: إن أبي لم يكن له منبر! فأقعدني معه، فلما نزل قال: أي بنيَّ مَن علمك هذا؟قلت: ماعلمنيه أحد. قال: أي بني وهل أنبت على رؤوسنا الشعر إلا أنتم ! ووضع يده على رأسه ، وقال: أي بني ! لو جعلت تأتينا وتغشانا».

ونلاحظ أن موقف عمر اللين مع الإمام الحسين عليه السلام ، جاء تقليداً منه لموقف أبي بكر المشابه مع الإمام الحسن عليه السلام .

كما نلاحظ أن عمر أسند إنبات الشعر الى محمد وعترته صلى الله عليه وآله ، وهذا برأي الوهابية شرك ! وهو عندنا توحيد لأن الله تعالى قال: **وَمَا نَقَمُوا إِلا أَنْ أَغْنَاهُمُ اللهُ وَرَسُولُهُ مِنْ فَضْلِهِ** ! فنسب الرزق الى الرسول صلى الله عليه وآله ، فمثله نسبة عمر إنبات الشعر الى أهل بيت النبي عليهم السلام . والمعنى أن الله تعالى أغنى المسلمين وأكرمهم، وأنبت شعر رؤوسهم بواسطة آل محمد وبركتهم عليهم السلام .

ونشير هنا الى أن علماءهم اتفقوا على تصحيح النص، وأن بعض رواياته بلفظ: **«وهل أنبت الشعر على رؤوسنا إلا الله ثم أنتم»**

لكن أكثر مصادرهم بلفظ: **«إلا أنتم» كمعرفة الثقات للعجلي:١/ ٣٠٢، وتاريخ الذهبي:٥/ ١٠٠، وغيرها. وفي بعضها بلفظ: «الله ثم أنتم» كالإصابة:٢/ ٦٩، وسير الذهبي:٣/ ٢٨٥، وتهذيب التهذيب:٢ / ٣٤٦ .**

ومعنى اللفظين واحد ، فالفعل يسند الى الله تعالى حقيقة ، ويسند اليهم عليهم السلام مجازاً ، لأن الله جعلهم سبباً في عطائه .

كما روى الطبري في دلائل الامامة/ ١١٩، حوار الزهراء عليها السلام مع أبي بكر في إرثها ، وفيه: « زعمتَ أن النبوة لاتورث وإنما يورث ما دونها ، فما لي أمنع إرث أبي؟ أأنزل الله في كتابه: إلا فاطمة بنت محمد . فدلني عليه أقنع به...

قال: ولم يكن عمر حاضراً ، فكتب لها أبو بكر إلى عامله برد فدك كتاباً ، فأخرجته في يدها، فاستقبلها عمر، فأخذه منها وتفل فيه ومزقه ، وقال: لقد خرف ابن أبي قحافة وظلم! فقالت له: مالك لاأمهلك الله وقتلك ..».

وفي الإختصاص/ ١٨٥: «قال عليٌّ لها: إئت أبا بكر وحده فإنه أرقُّ من الآخر وقولي له: ادعيت مجلس أبي وأنك خليفته وجلست مجلسه ، ولو كانت فدك لك ثم استوهبتها منك ، لوجب ردها عليَّ .

فلما أتته وقالت له ذلك ، قال: صدقت . قال: فدعا بكتاب فكتبه لها برد فدك .فقال: فخرجت والكتاب معها ، فلقيها عمر فقال: يا بنت محمد ما هذا الكتاب الذي معك ؟ فقالت: كتاب كتب لي أبو بكر برد فدك ، فقال: هلميه إلي ، فأبت أن تدفعه إليه ، فرفسها برجله وكانت حاملة بابن إسمه المحسن ، فأسقطت المحسن من بطنها ، ثم لطمها فكأني أنظر إلى قرط في أذنها..ثم أخذ الكتاب فخرقه ! فمضت ، ومكثت خمسة وسبعين يوماً مريضة مما ضربها عمر » .

أقول: خاف أبو بكر من عمر أن يكتب لها ثانية ! وقد رووا عنه شبيه ذلك وأنه كتب مرسوماً بأرض لزعيمين من نجد وأشهد عليه ، فذهبا الى عمر ليشهد لهما فوجداه يدهن بعيراً له بالقطران ، فقال: إقرآه فقرآه، فغضب وأخذه ومزقه! ورجعا الى أبي بكر فقالا له: أأنت الخليفة أم عمر؟ قال: هو إن شاء ، لانجيز إلا ما أجازه عمر! ولما حضر عمر قال له:قد كنت قلت لك: إنك أقوى على هذا الأمر مني ، ولكنك غلبتني» ! (تاريخ دمشق:٩/ ١٩٥، ومبسوط السرخسي:٣/ ٩).

على أن هذا الموقف من أبي بكر كان سياسةً ، لأنه كان يخالف عمر أحياناً ويصر على مخالفته ، وقد يوبخه ويشد بلحيته !

بينما يلين له أحياناً ويطيعه ، حتى يقول إنه هو الخليفة لو شاء ! ولا يتسع المجال لبحث أوجه العلاقة بينهما .

على أي حال ، واصل أبو بكر الليونة مع علي عليه السلام حتى وصل الأمر الى تكرار اعتذاره منه لأنه أخذ الخلافة ، ووعده بأنه سيستخلفه .

وقد تقدم قول علي عليه السلام: « فإن القائم بعد النبي صلى الله عليه وآله كان يلقاني معتذراً في كل أيامه ، ويلوم غيره ما ارتكبه من أخذ حقي» !

وقال عليه السلام في خطبته الشقشقية: «فيا عجباً ، بينا هو يستقيلها في حياته ، إذ عقدها لآخر بعد وفاته ، لشدَّ ما تشطَّرا ضرعيها»! (نهج البلاغة:١/٣٦) .

والمعنى: أنهما من زمن طويل كانا يعملان ويتقاسمان حليب الناقة !

لكن أبا بكر شعر بالحاجة الى علي عليه السلام لما ضاقت عليه الأمور وتحرك طليحة نحو المدينة بألوف المقاتلين ، وعسكروا في ذي القَصَّة على مرحلة من المدينة ، وجاء وفدهم يطلب منه إسقاط الزكاة عنهم وإلا هاجموا المدينة! فخاف هو وعمر ، وقال له عمر: إقبل من طليحة ما يريد فلا طاقة لك بحربه ! لكن أبا بكر كان يشعر أن تنازله للقبائل يزيد في طمعهم ، ويحرك عليه اعتراض المسلمين ، فيعتبرون أنه انحرف عن سنة النبي صلى الله عليه وآله .

لذلك كان يتمنى أن يوجد حوله فرسان قادة ، خاصة علي عليه السلام !

وجاءت المفاجأة لأبي بكر من علي عليه السلام نفسه ! فقد أحس الإمام عليه السلام بالخطر على الإسلام ، وهو أم الصبي وليس أماً مستأجراً ، لذلك نهض في تلك الأحداث وأدارها وخاضها، حتى اطمأن الإسلام وتنهنه .

قال عليه السلام كما في نهج البلاغة:٣/ ١١٨، والغارات للثقفي:١/ ٣٠٧، والامامة والسياسة: ١/ ١٣٣ : «من كتاب له عليه السلام الى أهل مصر مع مالك الأشتر لما ولاه إمارتها: أما بعد فإن الله سبحانه بعث محمداً صلى الله عليه وآله نذيراً للعالمين ومهيمناً على المرسلين، فلما مضى صلى الله عليه وآله تنازع المسلمون الأمر من بعده، فوالله ما كان يلقى في روعي ولا يخطر ببالي أن العرب تزعج هذا الأمر من بعده صلى الله عليه وآله عن أهل بيته ، ولا أنهم منحوه عني من بعده ، فما راعني إلا انثيال الناس على فلان (أبي بكر) يبايعونه ، فأمسكت يدي حتى رأيت راجعة الناس قد رجعت عن الإسلام ، يدعون إلى محق دين محمد صلى الله عليه وآله ، فخشيت إن لم أنصر الإسلام وأهله ، أن أرى فيه ثلماً أو هدماً ، تكون المصيبة به عليَّ أعظم من فوت ولايتكم ، التي إنما هي متاع أيام قلائل ، يزول منها ما كان كما يزول السراب ، أو كما يتقشع السحاب . فنهضت في تلك الأحداث ، حتى زاح الباطل وزهق ، واطمأن الدين وتنهنه ». **وتعبير: ما كان يلقى في روعي، مجازي للأمر المفاجئ غير المنطقي . ومعنى تنهنه: سكن واطمأن.**

وفي كشف المحجة/ ١٧٦ : « حتى رأيت راجعة من الناس قد رجعت من الإسلام ، تدعو الى محق دين محمد صلى الله عليه وآله ، وملة إبراهيم عليه السلام ».

ومقصوده عليه السلام : حركة طليحة في حائل ، وحركة مسيلمة في اليمامة ، وحركة الأسود العنسي في اليمن .

ومعنى دعوتهم الى مَحْقِ دين محمد صلى الله عليه وآله وملة إبراهيم عليه السلام، أنهم يريدون إزالة الإسلام، وحتى الحج الى الكعبة الذي بقي عند العرب من ملة إبراهيم عليه السلام!

لأن دعوة المرتدين كانت الى نبوة مقابل نبوة قريش كما زعموا . وكانوا يعبؤون أتباعهم بعداء قريش التي هي سادنة البيت، والتي بُعث منها النبي صلى الله عليه وآله .

وكانت بعض القبائل ومنها طيئ لاتحج الى الكعبة، ولعلهم كانوا مرتبطين بهرقل عن طريق الغساسنة، وأما العنسي فعن طريق الحبشة .

ورواه بعضهم كابن قتيبة في الإمامة:١/ ١٣٤، والثقفي في الغارات:١/ ٣٠٦، بلفظ: «فأمسكت يدي ورأيت أني أحق بمقام محمد صلى الله عليه وآله في الناس، ممن تولى الأمور عليَّ . فلبثت بذلك ما شاء الله، حتى رأيت راجعةً من الناس رجعت عن الإسلام.. فمشيت عند ذلك إلى أبي بكر فبايعته، ونهضت معه في تلك الأحداث، حتى زهق الباطل، وكانت كلمة الله هي العليا وإن رغم الكافرون . فتولى أبو بكر تلك الأمور، فيسر وسدد، وقارب واقتصد، فصحبته مناصحاً، وأطعته فيما أطاع الله فيه جاهداً».

وكلمة (فبايعته) لاتصح على أصولنا، لأنه عليه السلام كان بايعه مكرهاً، ولايجوز له أن يبايعه مختاراً، وستعرف موقفه عليه السلام من نظام الحكم بعد النبي صلى الله عليه وآله .

فالصحيح: تألفته بدل بايعته، كما رواه في المسترشد/ ٩٧، و/ ٤١١، ودلائل الإمامة: ١/ ٨٣، في منشور أمير المؤمنين عليه السلام الذي كتبه ليُقرأ على المسلمين في بلادهم وهو من صفحات، قال عليه السلام: « ورأيت الناس قد امتنعوا بقعودي عن الخروج إليهم، فمشيت عند ذلك إلى أبي بكر فتألفته، ولولا أني فعلت

ذلك لباد الإسلام ! ثم نهضت في تلك الأحداث حتى انزاح الباطل ، وكانت كلمة الله هي العليا ، ولو كره المشركون » .

وكلمته الأخيرة عليه السلام لها دلالة بليغة ، ومعناها أنه لو لم ينهض عليه السلام ويقاوم جيش طليحة المهاجم لسيطر على المدينة ، وقتل أبا بكر وأصحاب النبي صلى الله عليه وآله ، وأنهى وجود الإسلام من أساسه !

وروى البلاذري في أنساب الأشراف:١/ ٥٨٨:« عن عبد الله بن جعفر ، عن أبي عون قال: لما ارتدت العرب مشى عثمان إلى عليّ فقال: يا ابن عم ، إنه لا يخرج أحد الى هذا العدو وأنت لم تبايع، فلم يزل به حتى مشى إلى أبي بكر. فقام أبو بكر إليه فاعتنقا وبكى كل واحد إلى صاحبه . فبايعه فسُرَّ المسلمون ، وجدّ الناس في القتال ، وقطعت البعوث ».

۞ ۞

(٦) أبو بكر يستشير عمر وعلياً عليه السلام في مواجهة خليحة؟

برزت مشكلة عسكرية في الأسبوع الأول من خلافة أبي بكر، فقد اختلف الصحابة: هل يرسل أبو بكر جيش أسامة، كما أكد النبي صلى الله عليه وآله في مرضه، أم يلغيه؟

روى الطبري في تاريخه (٢/ ٤٦٢) وغيره، عن الحسن البصري قال: «ضرب رسول الله صلى الله عليه وآله قبل وفاته بعثاً على أهل المدينة ومن حولهم، وفيهم عمر بن الخطاب، وأمَّر عليهم أسامة بن زيد، فلم يجاوز آخرهم الخندق حتى قبض رسول الله صلى الله عليه وآله فوقف أسامة بالناس ثم قال لعمر: إرجع إلى خليفة رسول الله صلى الله عليه وآله فاستأذنه أن يأذن لي أن أرجع بالناس، فإن معي وجوه الناس وحدَّهم، ولا آمن على خليفة رسول الله وثِقْلِ رسول الله وأثقال المسلمين أن يتخطفهم المشركون. وقالت الأنصار فإن أبى إلا أن نمضي فأبلغه عنا واطلب إليه أن يولي أمرنا رجلاً أقدم سناً من أسامة.

فخرج عمر بأمر أسامة، وأتى أبا بكر فأخبره بما قال أسامة. فقال أبو بكر: لو خطفتني الكلاب والذئاب لم أردَّ قضاءً قضى به رسول الله صلى الله عليه وآله. قال: فإن الأنصار أمروني أن أبلغك، وإنهم يطلبون إليك أن تولى أمرهم رجلاً أقدم سناً من أسامة.

<u>فوثب أبو بكر وكان جالساً، فأخذ بلحية عمر، فقال له: ثكلتك أمُّكَ وعُدِمَتْكَ يا ابن الخطاب! استعمله رسول الله صلى الله عليه وآله وتأمرني أن أنزعه»!</u>

ومعناه أن عمر تخوف من هجوم المشركين على المدينة وليس فيها قوة كافية . لكن أبا بكر اختار تنفيذ أمر النبي صلى الله عليه وآله حتى لايقال خالف سنته ، وسيَّر الجيش وكان ثلاثة آلاف مقاتل، فيهم ألف فرس. (الفصول المهمة للسيد شرف الدين/ ١٠٣).

كما خالف أبو بكر عمر ولم يأخذ برأيه في حرب المرتدين ، فعندما اقترب جيش طليحة الأسدي من المدينة ، تخوف عمر من هزيمة المسلمين إذا هاجمهم طليحة ، فأشار على أبي بكر أن يقبل بمطلبهم الأول وهو إسقاط الزكاة عنهم ، فقال له: « تألَّف الناس وارفق بهم ، فإنهم بمنزلة الوحش . فقال له: رجوت نصرك وجئتني بخذلانك؟ جَبَّارٌ في الجاهلية خَوَّارٌ في الإسلام ! ماذا عسيت أن أتألفهم ، بشعر مفتعل ، أو بسحر مفترى ، هيهات هيهات ، مضى النبي صلى الله عليه وآله وانقطع الوحي . والله لأجاهدنهم ما استمسك السيف في يدي ، وإن منعوني عقالاً ». (كنز العمال:٦/ ٥٢٧).

ولم ينف عمر ما اتهمه به أبو بكر من الخوف والخوَر ! لكن البخاري رواها مخففةً فقال في صحيحه:٨/ ١٤٠: «لما توفي رسول الله صلى الله عليه وآله واستُخلف أبو بكر بعده ، وكفر من كفر من العرب ، قال عمر لأبي بكر: كيف تقاتل الناس وقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله: أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله ، فمن قال لا إله إلا الله عصم مني ماله ونفسه إلا بحقها وحسابه على الله؟ فقال:والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة ، فإن الزكاة حق المال . والله لو منعوني عقالاً كانوا يؤدونه إلى رسول الله ، لقاتلتهم على منعه ».

وأخذ أبو بكر برأي علي عليه السلام فكان جوابه الذي رواه البخاري للوفد بعد أن شاور الصحابة وقرر أن يأخذ برأي علي عليه السلام: «وتشاوروا في أهل الردة فاستقر رأي أبي بكر على القتال». (تفسير القرطبي:١٦/ ٣٧).

وروى مسدد في مسنده كما في كنز العمال (٦/ ٥٣١): «استشارعلياً في أهل الردة فقال: إن الله جمع الصلاة والزكاة، ولا أرى أن تفرق، فعند ذلك قال أبو بكر: لو منعوني عقالاً لقاتلتهم عليه».

وفي الرياض النضرة للطبري:١/ ١٢٩: «شاوره أبو بكر في قتال أهل الردة بعد أن شاور الصحابة فاختلفوا عليه، فقال: ما تقول يا أبا الحسن؟فقال: إن تركت شيئاً مما أخذ رسول الله صلى الله عليه وآله منهم، فأنت على خلاف سنة رسول الله صلى الله عليه وآله! فقال: أما لئن قلت ذلك، لأقاتلنهم ولو منعوني عقالاً. أخرجه ابن السمان». وذخائر العقبى لأحمد الطبري/ ٩٧، وجواهر المطالب للدمشقي:١/ ٢٦١

ومما يلفتنا في دفع هجوم القبائل عن المدينة، ومطاردة المهاجمين الى خارجها، أن الذين استنفروا هم: عليٌّ عليه السلام، وأبو بكر، والزبير، وعبد الله بن مسعود، وطلحة، والنعمان بن مقرن وإخوته. ولا تجد ذكراً لعمر، ولا خالد، ولا سعد والمغيرة بن شعبة، وعمرو العاص، وآخرين من المتحمسين للسقيفة!

وهو يدل على أن علياً عليه السلام وجماعته، هم الذين تصدوا لرد المهاجمين.

✿ ✿

الفصل الثاني:

خليحة أخطر المتنبئين وأحسنهم عاقبة !

(١) شخصية خليحة الأسدي

طليحة بن خويلد ، بن نوفل ، بن نضلة ، الفقعسي الأسدي ، من بني دودان بن أسد بن خزيمة . كان مع المشركين في حرب الأحزاب .

«وكان يعدل فيها يقولون بألف فارس ، وهو الذي ادعى النبوة ، فاتبعه بنو أسد ، وأتاه عيينة بن حصن في سبع مائة من فزارة فصار معه.. يكنى أبا حِبَال وكان ببُزَّاخَة ، وبُزَّاخَة ماء لبني أسد ». (أنساب الأشراف:١١/ ١٥٧).

واشتهر مع طليحة أخوه سلمة ، وسُمِّيَا الطُّلَيْحَتَان ، وابن أخيه حِبَال بن سلمة ، بكسر الحاء ، وهو الذي أرسله طليحة الى النبيﷺ فدعا عليه أن يقتل ، فقاد في الردة الهجوم على المدينة ، وقتل ولم يقولوا من قتله !

ونصت المصادر على أن حِبالاً هو ابن أخ طليحة ، وليس أخاه كما ذكر البعض ، ولا ابنه كما تصور ابن كثير .

وقد ذكره طليحة في شعره ، وأنه ثأر له بقتل ثابت وعكاشة ، ويدل شعره على أن اسمه حِبَال بكسر الحاء . قال طليحة:

« نصبت لهم صدر الحمالة إنها   معاودة قبل الكماة نزالي
فيوماً تراها في الجلال مصونةً   ويوما تراها غير ذات جلال
ويوماً تُضيءُ المشرفية نحرها   ويوماً تراها في ظلال عوال
فما ظنكم بالقوم إذ تقتلونهم   أليسوا وإن لم يسلموا برجال
عشية غادرت ابن أقرم ثاوياً   وعكَّاشة الغنْمي عنه بحال
فإن تك أذوادٌ أخذنَ ونسوةٌ   فلَمْ تَذْهَبُوا فِرْغاً بقَتْلِ حِبَالِ»

(تاريخ دمشق:٢٥/ ١٦٦). وفرغاً: أي سالمين بدون قصاص لقتله . (الزبيدي:١٢/ ٥١).

(٢) بنو أسد بن خزيمة

عندما يطلق بنو أسد فالمتبادر أسد خزيمة ، مقابل أسد عبد العزى ، الذين هم قبيلة قرشية صغيرة ينتمي اليها الزبير بن العوام وبنوه .

بينما أسد خزيمة قبيلة كبيرة تسكن في هضبة نجد ، وتمتد مساكنها الى داخل العراق . وقد سكن بطن منها وهم بنو غاضرة قرب كربلاء ، وسميت الغاضرية والغاضريات باسمهم .

وكان ثقلهم من الأساس في حائل التي تقع في أول نجد ، وتبعد عن المدينة باتجاه العراق٤٥٠ كيلو متراً . وعاصمتهم بُزَّاخَة بضم الباء التي وقعت فيها المعركة ، وهي تبعد عن حائل نحو٤٠ كيلو متراً ، وسُمَيْراء وتبعد عن حائل١٦٠ كم .وفي أيام الفتوح الإسلامية سكن معظم بني أسد في العراق.

أما الأبرق والأبيرق الذي تجمع فيه جيش طليحة ، فيبعد عن المدينة من جهة جدة نحو ١٥٠ كم. وأما ذو القَصَّة الذي اتخذوه معسكراً لغزو المدينة ، فهو على بريد أي نحو ٢٠ كيلو متر من المدينة نحو نجد.(تاريخ الطبري:٢/ ٤٧٩)

وقال ابن الأثير:٢/ ٣٤٩: «ذو القَصَّة بفتح القاف والصاد المهملة ، وذو حُسى بضم الحاء المهملة والسين المهملة المفتوحة . ودَبا بفتح الدال المهملة وبالباء الموحدة . وبُزَّاخَة بضم الباء الموحدة وبالزاي والخاء المعجمة ».

«والحَسَى وذُو حُسَى ، مَقْصورانِ: مَوْضِعانِ ». (الزبيدي:١٩/ ٣٢٠).

(٣) استجاب لطليحة أكثر بني أسد

استجاب لطليحة قسم من بني أسد . ويفهم من قول اليعقوبي في تاريخه (٢/ ١٢٩) أن أنصاره من غطفان كانوا أكثر من بني أسد ، قال: «وكان ممن تنبأ طليحة بن خويلد الأسدي بنواحيه ، وكان أنصاره غطفان ، ورئيسهم عيينة بن حصن الفزاري » .

وذكر في الإصابة (٢/ ٢٥٢) أن زفر بن يزيد بن حذيفة الأسدي ، من رؤساء بني أسد ، قاوم طليحة الذي ادعى النبوة ، وخطب في قومه ، وقال:

أسفي على أسد أضل سبيلهم   بعد النبي طليحةُ الكذاب .

(٤) كان طليحة من شبابه طامحاً للنبوة !

كان طليحة متحركاً من زمن النبي صلى الله عليه وآله، فبعد معركة أُحُد جمع هو وأخوه سلمة أنصاراً ليغزوا المدينة ، كما روى الواقدي وابن عساكر (٢٥/ ١٥٠): « قالوا نسير إلى محمد في عقر داره ، ونصيب من أطرافه ، فإن لهم سرحاً يرعى بجوانب المدينة ، ونخرج على متون الخيل فقد أربعنا خيلنا ، ونخرج على النجائب المجنونة ، فإن أصبنا نهباً لم نُدْرَك ، وإن لاقينا جمعهم كنا قد أخذنا للحرب عدتها ، معنا خيل ولا خيل معهم ، ومعنا نجائب أمثال الخيل . والقوم مُنْكَبُون قد وقعت بهم قريش حديثاً ، فهم لايستَبِلُّون دهراً .

فقام رجل منهم يقال له قيس بن الحارث بن عمير فقال: يا قوم والله ما هذا برأي ، ما لنا قبلهم وتر ، وما هم نُهبةٌ لمنتهب . إن دارنا لبعيدة من يثرب ، وما لنا جمع كجمع قريش ، مكثت قريش دهراً تسير في العرب تستنصرها ولهم وترٌ يطلبونه ، ثم ساروا حتى قد امتطوا الإبل وقادوا الخيل ، وحملوا السلاح ، مع العدد الكبير ثلاثة آلاف مقاتل سوى أبائهم . وإنما جهدكم أن تخرجوا في ثلاث مائة رجل إن كملوا ، فتغررون بأنفسكم وتخرجون من بلدكم ، ولا آمن أن تكون الدائرة عليكم !

فكاد ذلك أن يشككهم في المسير.. فلما كان هلال المحرم على رأس خمسة وثلاثين شهراً من الهجرة ، دعاه (أبا سلمة) رسول الله صلى الله عليه وآله فقال: أخرج في

هذه السرية فقد استعملتك عليها ، وعقد له لواء وقال لـه: سِرْ حتـى تـرد أرض بني أسد ، فأغر عليهم قبـل أن تلاقـى عليـك جمـوعهم ، وأوصـاه بتقوى الله ومن معه من المسلمين خيراً...

فخرج في أصحابه وخرج معهم الطائي دليلاً فأغذوا للسير ، ونكب بهـم عن سنن الطريق ، وعارض الطريق وسار بهم دليلاً لـيلاً ونهـاراً ، فسـبقا الأخبار ، وانتهوا إلى أدنى قطن ماء من مياه بني أسد ، هو الذي كان عليـه جمعهم فيجدون سرحاً ، فأغاروا على سرحهم فضموه ، وأخذا رعـاء لهـم مماليك ثلاثة ، وأفلت سائرهم ، فجاءوا جمعهم فخبروهم الخبر وحذروهم جمع أبي سلمة ، وكبروه عندهم .

فتفرق الجمع في كل وجه ، وورد أبو سلمة الماء فيجد الجمع قـد تفـرق ، فعسكر وفرق أصحابه في طلب النعم والشاء ، فجعلهم ثلاث فرق: فرقـة أقامت معه وفرقتان أغارتا في ناحيتين شتى ، وأوعز إليهما أن لا يمعنـوا في الطلـب ، وأن لا يبيتـوا إلا عنـده إن سـلموا ، وأمـرهم أن لا يفترقـوا ، واستعمل على كل فرقة عاملاً منهم ، فأتوا إليه جميعاً سـالمين ، قـد أصـابوا إبلاً وشاءً ولم يلقوا أحداً . فانحدر أبو سلمة بذلك كله إلى المدينة راجعاً ».

وفي أنساب الأشراف:١/ ٣٧٤: (سرية أبى سلمة بن عبد الأسد ، إلى بني أسد في المحرم سنة أربع. وكانوا جمعوا جمعاً عظيماً ، وعليهم طليحة بن خويلـد

وأخوه سلمة بن خويلد ، يريدون غزو المدينة. فبلغ (أبو سلمة) قطناً وهو جبل فلم يلق كيداً، وذلك أن الأعراب تفرقوا، وأصاب نعماً استاقها».

(٥) أغار طليحة على المدينة من زمن النبي صلى الله عليه وآله

لم يعتبر طليحة بحملة أبي سلمة ، بل ادعى النبوة وأرسل الى النبي صلى الله عليه وآله يطلب منه عقد صلح معه ، ليكون ذلك اعترافاً به من النبي صلى الله عليه وآله !

قال الطبري:٢/ ٤٣١:« وقع بنا الخبر بوجع النبي صلى الله عليه وآله ثم بلغنا أن مسيلمة قد غلب على اليمامة ، وأن الأسود قد غلب على اليمن ، فلم يلبث إلا قليلاً حتى ادعى طليحة النبوة وعسكر بسميراء، واتبعه العَوَام واستكثف أمره . وبعث حِبَال ابن أخيه إلى النبي صلى الله عليه وآله يدعوه إلى الموادعة ويخبره خبره ، وقال حِبَال إن الذي يأتيه ذو النون ، فقال: لقد سمى ملكاً ، فقال حِبَال: أنا ابن خويلد! فقال النبي صلى الله عليه وآله قتلك الله وحرمك الشهادة ». وتاريخ دمشق: ٢٥/ ١٥٤.

(٦) ثم جاء طليحة مسلماً الى النبي صلى الله عليه وآله

عندما انتصر النبي صلى الله عليه وآله على قريش واليهود ، أخذت وفود العرب تأتيه فجاءه وفد بني أسد ، وفيهم طليحة !

ففي تاريخ دمشق:٢٥/ ١٤٩: «قدم عشرة رهط من بني أسد بن خزيمة ، على رسول الله صلى الله عليه وآله في أول سنة تسع، فيهم حضرمي من بني عامر ، وضرار بن الأزور ، ووابصة بن معبد ، وقتادة بن القائف ، وسلمة بن حبش ،

وطليحة بن خويلد ، ونقادة بن عبد الله بن خلف ، فقال حضرمي بن عامر: أتيناك نتدرع الليل البهيم في سنة شهباء ، لم تبعث إلينا بعثاً .

فنزل فيهم قوله تعالى: قَالَتِ الأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الآيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ..يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لاتَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلامَكُمْ بَلِ اللهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ».

(٧) كان طليحة خطيباً شاعراً

قال الجاحظ في البيان والتبيين/ ١٩٠: «ومن خطبائهم الأسود الكذاب بن كعب العنسي . وكان طليحة خطيباً وشاعراً وسجاعاً كاهناً ناسباً . وكان مسيلمة الكذاب بعيداً من ذلك كله ».

أقول: تدل النصوص على أن طليحة كان ذكياً لماحاً ، لكن هوى التعصب القبلي المسيطر في الجزيرة غلبه فادعى النبوة ، ثم أدرك بسرعة أنه يسير في خيال ، وأن نبوة نبيناﷺ صادقة وليست كذباً كنبوءته ، فقرر الإنسحاب والفرار من المعركة ، ثم ندم وتاب وأخذ يعمل ليقبله الخليفة والمسلمون .

وكان شعر طليحة أحسن من سجعه: « وكان مما سجع لهم طليحة...والحمام واليمام ، والصُّرَد والصَّوام ، قد ضمن قبلكم أعوام ، ليبلغن ملكنا العراق والشام . والقرد والنيرب ، ليقتلن النيدب ، إذا صرَّ أخوكم الجندب . والله لا نُسحب ، ولا نزال نضرب ، حتى ينتج أهل يثرب..

لما أرز أهل الغمر إلى البزاحة ، قام فيهم طليحة قال: أمرت أن تصنعوا رحى ذات عرى ، يرمي الله بها من رمى ، يهوى عليه من هوى .

ثم عبأ جنوده وقال: إبعثوا فارسين ، على فرسين أدهمين ، من بني نصر بن قعين ، يأتيانكم بعين ».(تاريخ دمشق:٢٥/ ١٦٥). **والصرد طائر ، والقرد هنا السحابة ، والنيرب الداهية ، والنيدب الرجل القوي .**

وفي أنساب الأشراف:١١/ ١٦٠، و١٥٧: «وكان من سجع طليحة: إن الله لا يصنع بتعفير وجوهكم وقبح أدباركم شيئاً ، فاذكروه أعفَّةً قياماً ، فإن الرَّغْوَة فوق الصريح. وكان منه قوله: الملك الجبار نصفه ثلج ونصفه نار . ومنه: والسائرات خبباً ، والراكبين عصباً ، على قلائص صهب وحمر ، لأجمعنّ شملاً ولأبددنَّ شملاً..

وأتاه عيينة بن حصن فقال: إنا كنا مع محمد فكان جبريل يأتيه بخبر السماء ، فهل أتاك جبريل؟فقال: نعم قد أتاني فقال لي: إن لك رحىً كرحاه ، ويوماً لاتنساه . فقال عيينة: أرى والله أن لك يوماً لا تنساه ، فانهزم عيينة فأسر، وانهزم أصحاب طليحة ، وتفرقوا عنه » .

(٨) استغل طليحة فشل اغتياله لتحشيد أنصاره

«كان قد تنبأ في حياة رسول الله صلى الله عليه وآله فوجه إليه النبي ضرار بن الأزور عاملاً على بني أسد ، وأمرهم بالقيام على من ارتد ، فضعف أمر طليحة حتى لم يبق إلا أخذه ، فضربه بسيف فلم يصنع فيه شيئاً ، فظهر بين الناس (شاع) أن السلاح لا يعمل فيه ، فكثر جمعه ! ومات النبي صلى الله عليه وآله وهم على ذلك

فكان طليحة يقول: إن جبرئيل يأتيني، وسجَع للناس الأكاذيب ، وكان يأمرهم بترك السجود في الصلاة ويقول: إن الله لا يصنع بتعفر وجوهكم ، وتقبيح أدباركم شيئاً . أذكروا الله أعفة قياماً . إلى غير ذلك ، وتبعه كثير من العرب عصبيةً،فلهذا كان أكثر أتباعه من أسد وغطفان وطيء ، فسارت فزارة وغطفان إلى جنوب طيبة ، وأقامت طيء على حدود أراضيهم ، وأسد بسميراء ، واجتمعت عبس وثعلبة بن سعد ومرة ، بالأبرق من الربذة ، واجتمع إليهم ناس من بني كنانة ».(وتاريخ دمشق٢٥/ ١٥٦).

«فأرسل النبيﷺ ضرار بن الأزور ، فقدم على سنان بن أبي سنان ، وعلى قضاعي ، ثم أتى بني ورقاء من بني الصيداء.. بكتاب النبيﷺ وأمره إلى عوف بن فلان فأجابه وقبل أمره ، وكان بنو ورقاء يسامون بني فقعس ، فشغب على طليحة وراسلوا كل مسلم ثبت على إسلامه ، وكان الإسلام يومئذ في بني مالك فاشياً ثابتاً ، وكان السعدان والحنزب قد تنازعوا في أمر طليحة ، وعسكر المسلمون بواردات ، واجتمعوا إلى سنان وقضاعي وضرار وعوف .

وعسكر الكافرون بسميراء ليجتمعوا إلى طليحة ، وأطرق طليحة ونظر في أمره . واجتمع ملأ عوف وسنان وقضاعي على أن دسوا لطليحة مخنف بن السليل الهالكي، وكان بهمة (شجاعاً) وكان قد أسلم فحسن إسلامه. وقالوا شأنك وطليحة ففعل ، فلما وقع إليهم أرسل إليه فأعطاه سيفه فشحذه له ، ثم قام به إليه وعنده رجال من قومه ، فنام عليه فطبق به عليه هامته فما خَصَهُ وخرَّ طليحة مغشياً عليه .

وأخذوه فقتلوه . فلما أفاق طليحة قال: هذا عمل ضرار وعوف ، فأما سنان وقضاعي فإنهما تابعان لهما في هذا . وقال طليحة في ذلك:

وأقسمت لا يلوي بي الموت حيلةٌ ... وباقي عُمْرٍ دونه وسرارُ

وأنفكُّ عن عوف الخنا وأرُوعُهُ ... ويشرب منها بالمرار ضرارُ

فأجابه ضرار:

أقسمت لا تنفكُّ حردانَ خائفاً ... وإن برحت بالمسلمين دِثار

وأنفكُّ حتى أقرعَ التُّرك طالعاً ... وتُقطع قربى بيننا وجوار

وشاعت تلك الضربة في أسد وغطفان ، وقالوا: لا يحيك في طليحة (لايؤثر فيه السلاح) ونمي الخبر إلى المدينة ، ومدت غطفان وأسد أعناقهم، وصار فتنة لهم..فلما اجتمعت غطفان على المطابقة لطليحة ، هرب ضرار وقضاعي وسنان ومن كان قام بشئ من أمر النبي صلى الله عليه وآله في بني أسد ، إلى أبي بكر ، وارفضَّ من كان معهم ». (تاريخ دمشق: ٢٥/ ١٥٤، و١٥٦).

أقول: معنى ذلك أن عمال النبي صلى الله عليه وآله في مناطق بني أسد وغطفان ، كان لهم أنصار ، وكان جماعة طليحة قلة ، لكنه اخترع من فشل محاولة اغتياله أكذوبة أن السلاح لايعمل فيه ، فكثر أنصاره وهاجوا ، فاضطر عمال النبي صلى الله عليه وآله أن يهربوا ، واضطهد طليحة أنصارهم الثابتين على الإسلام ، وقتَّل منهم عدداً .

وتتعجب من أن بعض زعماء القبائل سارعوا الى تأييد نبوة طليحة ، ولم يطلبوا منه معجزةً دليلاً عليها ، وأرسل له بعضهم إيمانه به ولم يره ، وحتى كلامه الذي زعم وحيٌّ كان ركيكاً ! مما يدل على أن النبوة عندهم حركة سياسية ، يأملون بها الربح الدنيوي كما ربحت قريش بتصورهم!

ففي معجم البلدان للحموي:١/ ٢٤١: «لما ظهر طليحة المتنبي ونزل بسميراء ، أرسل إليه مهلهل بن زيد الخيل الطائي: إن معي حداً لغوث ، فإن دهمهم أمر فنحن بالأكناف بجبال فيد ، وهي أكناف سلمى، قال أبو عبيدة: الأكناف: جبلا طئ ، سلمى أجأ والفرادخ ».

وقام عيينة بن حصن رئيس فزارة خطيباً بعد وفاة النبي ﷺ فقال كما تاريخ دمشق:٢٥/ ١٥٦:« إني لمجدد الحلف الذي كان بيننا في القديم ومتابع طليحة ووالله لأن نتبع نبياً من الحليفين أحب إلينا من أن نتبع نبياً من قريش! وقد مات محمد ، وبقي طليحة . فطابقوه على ذلك ، ففعل وفعلوا ».

وقال الطبري:٢/ ٤٧٥: «مات رسول الله ﷺ واجتمعت أسد وغطفان وطيئ على طليحة ، إلاما كان من خواص أقوام في القبائل الثلاث . فاجتمعت أسد بسميراء (قرب حائل) وفزارة ومن يليهم من غطفان بجنوب طِيبة ، وطئ على حدود أرضهم ، واجتمعت ثعلبة بن سعد ومن يليهم من مرة وعبس بالأبرق من الربذة . وتأشب إليهم ناس من بنى كنانة ، فلم تحملهم البلاد فافترقوا فرقتين ، فأقامت فرقة منهم بالأبرق ، وسارت الأخرى إلى ذي القَصَّة ، وأمدهم طليحة بحِبَال (ابن أخيه) فكان حِبَال على أهل ذي القَصَّة ، من بنى أسد ومن تأشب من ليث والديل ومدلج ، وكان على مرة بالأبرق عوف بن فلان بن سنان ، وعلى ثعلبة وعبس الحارث بن فلان ، أحد بنى سبيع . وقد بعثوا وفوداً فقدموا المدينة فنزلوا على وجوه الناس».

(٩) هجوم طليحة على المدينة !

في تاريخ الطبري(٢/ ٤٧٥): « مات رسول الله صلى الله عليه وآله واجتمعت أسد وغطفان وطيئ على طليحة...الى أن قالت الرواية: وقد بعثوا وفوداً ، فقدموا المدينة فنزلوا على وجوه الناس فأنزلوهم ما خلا عباساً ، فتحملوا بهم على أبى بكر على أن يقيموا الصلاة ، وعلى أن لا يؤتوا الزكاة ، فعزم الله لأبي بكر على الحق وقال: لو منعوني عقالاً لجاهدتهم عليه . وكان عقل الصدقة (رباطها وقد يشمل نفقة حفظها) على أهل الصدقة مع الصدقة ، فردهم .

فرجع وفد المرتدة إليهم ، فأخبروا عشائرهم بقلة أهل المدينة وأطمعوهم فيها. وجعل أبو بكر بعدما خرج الوفد على أنقاب المدينة نفراً: علياً والزبير وطلحة وعبد الله بن مسعود ، وأخذ (ألزم) أهل المدينة بحضور المسجد .

فما لبثوا إلا ثلاثاً حتى طرقوا المدينة غارة مع الليل، وخلفوا بعضهم بذى حسي ليكونوا لهم ردءً ، فوافوا الغُوار(المغيرون) ليلاً الأنقاب وعليها المقاتلة ودونهم أقوام يدرجون ، فنهنهوهم (أوقفوا تقدمهم) وأرسلوا إلى أبي بكر بالخبر ، فأرسل إليهم أبو بكر أن الزموا أماكنكم ففعلوا .

وخرج في أهل المسجد على النواضح إليهم ، فأنفش العدو (انهزموا في فوضى) فأتبعهم المسلمون على إبلهم ، حتى بلغوا ذا حسي ، فخرج عليهم الردء بأنحاء (فاجأتهم الحماية الخلفية بِقرب) قد نفخوها وجعلوا فيها الحبال ، ثم دهدهوها بأرجلهم في وجوه الإبل ، فتدهده كل نِحْيٍ في طوله ، فنفرت إبل المسلمين وهم عليها ، ولا تنفر من شئ نفارها من الأنحاء ، فعاجت

بهم مايملكونها حتى دخلت بهم المدينة ، فلم يصرع مسلم ولم يصب .

فظن القوم بالمسلمين الوهن ، وبعثوا إلى أهل ذي القَصَّة بالخبر ، فقدموا عليهم اعتماداً في الذين أخبروهم ، وهم لايشعرون لأمر الله عز وجل الذي أراده وأحب أن يبلغه فيهم .

فبات أبو بكر ليلته يتهيأ فعبأ الناس ، ثم خرج على تعبية من أعجاز ليلته يمشي ، وعلى ميمنته النعمان بن مقرن ، وعلى ميسرته عبد الله بن مقرن ، وعلى الساقة سويد بن مقرن معه الركاب ، فما طلع الفجر إلا وهم والعدو في صعيد واحد ، فما سمعوا للمسلمين همساً ولاحساً ، حتى وضعوا فيهم السيوف ، فاقتتلوا في أعجاز ليلتهم ، فما ذرَّ قرن الشمس حتى ولوهم الأدبار ، وغلبوهم على عامة ظهرهم ، وقتل حِبَال .

وأتبعهم أبو بكر حتى نزل بذى القَصَّة ، وكان أول الفتح ، ووضع بها النعمان بن مقرن في عدد ، ورجع إلى المدينة .

فذل بها المشركون ، فوثب بنو ذبيان وعبس على من فيهم من المسلمين فقتلوهم كل قتلة ، وفعل من وراءهم فعلهم .

وقدم أسامة بعد ذلك بأيام لشهرين وأيام ، فاستخلفه أبو بكر على المدينة وقال له ولجنده: أريحوا وأريحوا ظهركم ، ثم خرج في الذين خرج إلى ذي القَصَّة ، والذين كانوا على الأنقاب على ذلك الظهر ، فقال له المسلمون: ننشدك الله يا خليفة رسول الله أن تُعَرِّض نفسك ، فإنك إن تصب لم يكن للناس نظام ومقامك أشد على العدو ، فابعث رجلاً فإن أصيب أمَّرت

آخر . فقال: لا والله لا أفعل وأواسينكم بنفسي ـ.فخـرج في تعبيتـه إلى ذي حسي وذي القَصَّة ، والنعمان وعبد الله وسويد على ما كـانوا عليـه ، حتـى نزل على أهل الربذة بالأبرق ، فاقتتلوا فهـزم الله الحـارث وعوفـاً ، وأخـذ الحطيئة أسيراً... ولما فُضَّت عبس وذبيـان أَرَزوا (هربـوا) إلى طليحـة ، وقـد نزل طليحة على بُزَّاخَة ».

وفي تاريخ الطبري:٢/ ٤٧٥: «وقدمت عليه وفود بنى أسد وغطفان وهـوازن وطيئ ، وتلقـت وفـود قضـاعة أسـامة بـن زيـد ، فحوَزهـا إلى أبي بكـر ، فاجتمعوا بالمدينة ، فنزلوا على وجوه المسلمين..الخ.».

(١٠) نسبت قريش رد الهجوم الى ولاتها !

إن النص المتقدم أعلاه هو النص الوحيد ، الذي وصل الينا عـن هجـوم طليحة على المدينة ، وقد نقلته عامة المصادر . (لاحظ ابن عساكر:٢٥/ ١٥٩).

وهذا يدلك على أنه يوجد واقـع يريـد رواة السـلطة إخفـاءه ! فكيـف لا يكون في هذا الحدث الكبير إلا نص واحد وفيه إبهامٌ وتهافت ، فهو يقـول إن جيش طليحة كان ألوفاً الى حد أنه لم تحملهم منطقـة واحـدة ، فعسـكر قسم منهم في الأبيرق على بعد نحو١٥٠كيلو متراً عن المدينة ، بقائدين هما: عوف المري والحارث السبيعي . وعسكر قسم منه في ذي القَصَّة عـلى بعـد نحو٢٠ كيلو متراً عن المدينة ، وقائده حِبَال ابن أخ طليحة .

وقد أرسلوا وفدهم بشروطهم الى المدينة ، فرفضها أبو بكر ، فرجع الوفد وطمَّع قائدهم «حِبال» بغزو المدينة ، لأنها شبه خالية من القوات ، فجيش أسامة لم يَعُد ، وبطلهم علي بن أبي طالب عليه السلام مبعدٌ ومعتزل .

فهاجم حبال المدينة بآلاف من جيشه بعد ثلاثة أيام ، فماذا حدث ؟

لاتقول الرواية شيئاً مفهوماً ! لا عن عدد المهاجمين ، ولا من أي مدخل أو نقب للمدينة جاؤوا ؟ ولا كيف كانت الحرب معهم؟

لقد اقتصرت على أن أبا بكر وليس علياً عليه السلام رتب على أنقاب المدينة أي مداخلها ، أربعة قادة ، فكم مقاتل كان مع كل واحد منهم ؟

ثم تقول الرواية إن المدافعين «نهنهوهم» أي أوقفوا حركتهم ولم تقل كيف! وأرسلوا خبراً لأبي بكر ليلاً بأن المهاجمين وصلوا فقال لهم: إبقوا في أمكنتكم! فبقوا في أمكنتهم ، فهل بقي المهاجمون أم ذهبوا ؟

فخرج أبو بكر ليلاً على النواضح أي على نوق السقي في أهل المسجد أي المصلين معه ، ولاحقوا المهاجمين وهم هاربون أمامهم ، حتى وصلوا الى ذي حُسَى ، أي على مسافة بضع كيلو مترات من المدينة ، ففاجأهم كمين طليحة ، وكانوا هيؤوا القرب المنفوخة «الأنحاء» فدحرجها الكامنون من مرتفع وحباها بأيديهم ، فطار عقل نواضح أبي بكر ، وعادت كالمجنونة الى المدينة لايستطيع راكبوها إيقافها ، والحمد لله أنه لم يسقط الخليفة ، ولا غيره عن ناقته!

فنام أبو بكر والمسلمون في المدينة ، وبقوا فيها اليوم الثاني الى الليل!

ولا خبر عن المهاجمين ! فإن كانوا في ذي حسى فلماذا لم يلحقوا المسلمين عندما نفرت نوقهم من عِدة قِرب ؟ ولماذا لم يعادوا هجومهم على المدينة ، بل لماذا هربوا بعد أن وصلوا الى المدينة في الليلة السابقة ؟!

«فبات أبو بكر ليلته يتهيأ فعبأ الناس ، ثم خرج على تعبية من أعجاز ليلته يمشى، وعلى ميمنته النعمان بن مقرن ، وعلى ميسرته عبد الله بن مقرن ، وعلى الساقة سويد بن مقرن معه الركاب ، فما طلع الفجر إلا وهم والعدو في صعيد واحد ، فما سمعوا للمسلمين همساً ولا حسَاً حتى وضعوا فيهم السيوف فاقتتلوا في أعجاز ليلتهم ، فما ذرَّ قرن الشمس حتى ولوهم الأدبار ، وغلبوهم على عامة ظهرهم ، وقتل حِبَال ». انتهى.

فالرواية تقول إن المسلمين تأخروا في المدينة ليلة ويوماً ، فلم يأت جيش العدو ، لا ألوف طليحة ولا أصحاب القرب !

ثم ذهب المسلمون على استعداد ، فمشوا ليلة الى قبيل الفجر حتى وصلوا الى ذي حُسَى ، مع أنها نفس المسافة التي قطعوها في الليلة الماضية بساعة أو ساعتين ، ونفرت فيهم النوق ، فرجعوا وباتوا في المدينة !

والرواية تقول إن أصحاب القِرب وهم ردء أي كمين خلفي ، أرسلوا الى جماعتهم في ذي القَصَّة أن المسلمين ضعفاء فتعالوا، فأتوهم الى ذي حُسى ، فأين كانت الألوف التي هاجمت المدينة قبل ليلتين ؟ولماذا لم يهاجموا المدينة بعد أن هرب من كمينهم الخليفة وجنوده ؟!

ثم تقول الرواية إن أبا بكر والمسلمين ذهبوا في الليلة الثانية ففاجؤوهم وقاتلوهم وقتلوا منهم كثيراً وقتلوا قائدهم حِبَال ، فانهزموا .

فكيف يفاجؤونهم وفيهم كمين وهم على تعبئة . « فما ذرَّ قرن الشمس حتى ولوهم الأدبار، وغلبوهم على عامة ظهرهم ، وقتل حِبَال».

وتضيف الرواية أن أبا بكر رجع الى المدينة ، فبلغه أن القبائل ثارت على المسلمين في أبرق الربذة البعيد عن المدينة ، فقتلوهم ، فقصدهم أبو بكر وقاتلهم وقتل كثيراً منهم ، وقتل قائديهم عوفاً المري والحارث السبيعي ، فانهزموا وذهبوا الى طليحة في سميراء وبُزَّاخَة ، قرب حائل .

ومعنى ذلك أن المسلمين خاضوا ثلاثة معارك:أولها لدفع المهاجمين للمدينة والثانية في ذي حسى قرب المدينة ، والثالثة في أبرق الربذة عن المدينة. وقتلوا قادة جيش طليحة الثلاثة ، وهربت فلولهم الى حائل .

والسؤال هنا: لماذا لم يصلنا إلا هذه الرواية فقط؟ ولماذا لم يصفوا هذه المعارك الثلاث ، ولا قالوا من الذي قتل هؤلاء القادة الثلاثة ، خاصة القائد العام حِبَال ؟!

هذا الإجتزاء والإضطراب ، يشير الى أن الأحداث جرت بشكل آخر !

كما تناقضت روايتهم في أن هذه المعارك قبل رجوع أسامة ، أو بعده ؟

فرواية الطبري تقول إن معركة الأبرق البعيدة كانت قبل رجوع أسامة ، ومعركة ذي حُسَى بعد رجوعه ، ولم يشترك فيها أسامة وجيشه ، بل قادها أبو بكر بنفسه واستفاد من دواب جيش أسامة .

تقول رواية الطبري:٢/ ٤٧٥: « وانتظر بمصادمتهم قدوم أسامة وكان أول من صادم عبس وذبيان ، عاجلوه فقاتلهم قبل رجوع أسامة ».

فهذه الرواية تجعل معركة عبس وذبيان قبل مجئ أسامة !

وتقول رواية أخرى: « وقدم أسامة بعد ذلك بأيام لشهرين وأيام ، فاستخلفه أبو بكر على المدينة وقال له ولجنده: أريحوا وأريحوا ظهركم ، ثم خرج في الذين خرج إلى ذي القَصَّة والذين كانوا على الأنقاب على ذلك الظهر ». أي أن ذهابه الى ذي القصة والذي كان قبل أبرق الربذة ومعركته المزعومة مع عبس وذبيان ، كان بعد مجئ أسامة !

وتقول رواية أخرى: «فأول حرب كانت في الردة بعد وفاة النبي صلى الله عليه وآله حرب العنسي ، وقد كانت حرب العنسي باليمن ، ثم حرب خارجة بن حصن ، ومنظور بن زبان بن سيار في غطفان ، والمسلمون غارُّون ، فانحاز أبو بكر إلى أجمة فاستتر بها ، ثم هزم الله المشركين ».

وتقول رواية خليفة بن خياط/ ٦٤، وهي أكثر اتزاناً: «عن الزهري قال: خرج أبو بكر إلى ذي القَصَّة لعشر خلون من جمادى الأولى ، بعد قدوم أسامة بن زيد فنزلها. وهي على بريدين وأميال من المدينة من ناحية طريق العراق، واستخلف على المدينة سنان الضمري ، وعلى حرس أنقاب المدينة عبد الله بن مسعود ».

فلماذا هذا التناقض والتهافت في حدث عظيم وقع في ظرف حساس ، بعد وفاة النبي صلى الله عليه وآله بستين يوماً ؟!

الجواب: ننصحك أن لاتبحث عن أجوبة لأسئلتك ، لأنك لن تجدها ! بل كلما بحثت عن مفردة في التوقيت أو الأحداث أو الأشخاص ، لا تجد إلا مزيداً من التضارب والتهافت ، فتزداد ضياعاً !

والسبب في ذلك أنك أمام نصر مؤزر لاتريد رواية السلطة أن تذكر أبطاله ولا أحداثه التي تكشف عنهم ، وتريد أن تُجَيِّرُهُ باسم الخليفة الشجاع أبي بكر ، الذي كان يشارك في حروب النبي صلى الله عليه وآله في أول الصفوف حتى تبدأ الحرب فتراه في آخر الصفوف ، ولم يضرب ضربة بسيف ولاطعنة رمح ، وولى الدبر في بدر ، وأحد ، والخندق ، وخيبر ، وحنين!

ولا يمكن للراوي أن ينسب النصر الى الحاكم ، إلا بأن يطمس أبطاله وأحداثه ، فيخلط الأحداث ، وتفقد روايته تسلسلها ومنطقيتها .

والقضية كما ستعرف أن أبا بكر لم يخرج الى حرب جيش طليحة أبداً ، وأن الذي تصدى له ، وقتل قائده وهزمه شر هزيمة ، هو علي عليه السلام !

(١١) نموذج آخر من خمسهم التاريخ بغضاً بعلي عليه السلام

ولهذه الحادثة نظائر كثيرة منها غزوة للنبي صلى الله عليه وآله نزلت فيها سورة العاديات ، فطمسها رواة السلطة لأن بطلها علي عليه السلام ، ولأن فلاناً وفلاناً هزما فيها ! وقد بحثنا ذلك في السيرة النبوية عند أهل البيت عليهم السلام .

ومنها فعالياته عليه السلام في غزوة الحديبية ، فإنك تقرأ في سورة الفتح عن مواجهة المسلمين لقريش، قوله تعالى: **وَهُو الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنْ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا...** فترى ظفراً عسكرياً للمسلمين، حتى أفتى الفقهاء بأن مكة مفتوحة عنوة . **قال في الخلاف:٥/ ٥٢٨ ، عن الآية:** «وهذا صريح في الفتح ».

لكن رواة السلطة أخفوه ، لأن بطله علي عليه السلام ! أو نسبوه مجملاً الى محمد بن مسلمة أو ابن الأكوع، وحتى الى خالد الذي كان قائداً في جيش المشركين!

فمن الذي رد خيل عكرمة بن أبي جهل وكانوا خمس مئة فارس ، وهزمهم حتى أدخلهم حيطان مكة ؟ قالت روايتهم (الكشاف:٣/ ٥٤٧) في تفسير: **مِنْ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ**: «فبعث رسول الله من هزمه وأدخله حيطان مكة ، ثم عاد في الثانية حتى أدخله حيطان مكة ، ثم عاد في الثالثة فهزمه حتى أدخله حيطان مكة فأنزل الله: **وهُوَ الَّذي كفَّ أيديهم** ».

وقد روى الترمذي وصححه (٥ / ٦٢) أن قريشاً بعثت ليلاً ثمانين رجلاً من شياطينها الفاتكين ، فهبطوا على رسول الله صلى الله عليه وآله وأصحابه من جبل التنعيم

عند صلاة الصبح ، وهم يريدون أن يقتلوه ، فأُخذوا أخذاً (إمساكاً وأسراً) ، فأعتقهم رسول الله فأنزل الله: **وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُم بِبَطْنِ مَكَّةَ مِن بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ.. الآية..** وورواه عبد بن حميد/ ٣٦٣، والطبري في تفسيره:٢٦ / ١٢٢، وتاريخه:٢/ ٢٧٨، وغيره من المفسرين .

ورواه ابن هشام:٣ / ٧٧٩ ، وقال: «وقد كانوا رموا في عسكر رسول الله صلى الله عليه وآله بالحجارة والنبل! ثم دعا عمر بن الخطاب ليبعثه إلى مكة فيبلغ عنه أشراف قريش ما جاء له ، فقال: يا رسول الله ، إني أخاف قريشاً على نفسي ، وليس بمكة من بنى عدي بن كعب أحد يمنعني ».

فمن الذي قاد هذه العمليات النظيفة ، وأسرهم جميعاً بدون سفك دم ، رعاية لحرمة الكعبة ومكة ؟ وعليٌّ عليه السلام كان صاحب لواء رسول الله صلى الله عليه وآله وقائد الجيش الذي يُعَيِّن الحراسات ، ويسيِّر الدوريات ، ويسهر على سير الأمور ؟!

ومن الذي أسر مجموعات أخرى طالب بها سهيل بن عمرو ، مفاوض قريش وجعلها من شروط الصلح فقال: «يامحمد ! إن هذا الذي كان من حبس أصحابك ، وما كان من قتال من قاتلك ، لم يكن من رأي ذوي رأينا بل كنا له كارهين حين بلغنا ، ولم نعلم به وكان من سفهائنا ، فابعث إلينا بأصحابنا الذين أسرت أول مرة ، والذين أسرت آخر مرة . قال: إني غير مرسلهم حتى ترسلوا أصحابي .قال: أنصفتنا ». (الإمتاع: ١/ ٢٨٩).

فمَن غيرُ علي عليه السلام أسر مجموعة من اثني عشر فارساً ، رداً على قتلهم المسلم الذي صعد الربوة التي في مقابلهم ؟ (تفسير الطبري: ٢٦/ ١٢٢) .

ولماذا أخذ النبي صلى الله عليه وآله بعضد علي عليه السلام في الحديبية وقال ورفع بها صوته: «هذا أمير البررة قاتل الفجرة . منصور من نصره ، مخذول من خذله. مد بها صوته». (رواه الحافظ في تاريخ بغداد:٢/ ٣٧٧، و: ٣/ ١٨١، و: ٤/ ٤٤١) وتضمنت بعض رواياته قول النبي صلى الله عليه وآله: « أنا مدينة العلم وعلي بابها ، فمن أراد البيت فليأت الباب! ورواه ابن عساكر في تاريخ دمشق:٤٢/ ٢٢٦ ، و٢٨٢، والحاكم: ٣/ ١٢٩، وصححه علماؤهم ، ومنهم الخطيب التبريزي في الإكمال/ ١١١).

أقول: إن صاحب هذه العمليات في غزوة الحديبية ، هو صاحب أخواتها في غزوة بني النضير: «ولما توجه رسول الله صلى الله عليه وآله إلى بني النضير عمل على حصارهم فضرب قبته في أقصى بني خطمة من البطحاء ، فلما أقبل الليل رماه رجل من بني النضير بسهم فأصاب القبة، فأمر النبي صلى الله عليه وآله أن تُحول قبته إلى السفح ، وأحاط به المهاجرون والأنصار. فلما اختلط الظلام فقدوا أمير المؤمنين عليه السلام فقال الناس: يا رسول الله لا نرى علياً ؟ فقال صلى الله عليه وآله: أراه في بعض ما يصلح شأنكم ! فلم يلبث أن جاء برأس اليهودي الذي رمى النبي صلى الله عليه وآله وكان يقال له عزورا ، فطرحه بين يدي النبي صلى الله عليه وآله فقال له النبي صلى الله عليه وآله: كيف صنعت؟ فقال: إني رأيت هذا الخبيث جريئاً شجاعاً ، فكمنت له وقلت ما أجرأه أن يخرج إذا اختلط الظلام يطلب منا غِرة ، فأقبل مصلتاً سيفه في تسعة نفر من أصحابه اليهود ، فشددت عليه فقتلته وأفلت أصحابه ، ولم يبرحوا قريباً ، فابعث معي نفراً فإني أرجو أن أظفر بهم ! فبعث رسول الله معه عشرة فيهم أبو دجانة سماك بن خرشة وسهل بن حنيف ، فأدركوهم قبل أن يلجوا الحصن فقتلوهم وجاؤوا

برؤوسهم إلى النبي فأمر أن تطرح في بعض آبار بني حطمة ، وكان ذلك سبب فتح حصون بني النضير». (الإرشاد: ١/ ٩٢، والمناقب: ٢/ ٣٣٢).

فقال حسان بن ثابت في علي عليه السلام : (النبي وأهل بيته عليهم السلام في الشعر العربي:١/ ٣٧٨):

لله أيُّ كريهــة أبليتَهــا ... ببني قريظةَ والنفوسُ تَطلَّعُ

أردى رئيسهم وآبَ بتسعة ... طوراً يشلُّهُم وطوراً يدفعُ).

(١٢) سلام الله على المظلوم علي بن أبي طالب

فقد رووا أنه نهض لرد جيش طليحة عن المدينة ، وكان على أحد أنقابها ، ثم جعلوه مأموراً من أبي بكر كغيره ، ثم جعلوه مرافقاً لأبي بكر الى ذي القَصَّة ، وذكروا مقتل القائد حِبَال ولم يذكروا أنه قتله!

وكأن شاعرهم استحى فذكر علياً مع(البطل) أبي بكر ذكراً خجولاً فقال:

غَداة سَعى أبو بَكرٍ إلَيهِم ... كما يسعى لموتَته جُلالُ

أراح على نواهقها علياً ... ومَجَّ لهنَّ مُهجَتَهُ حِبالُ

(تاريخ خليفة/ ١٠٢)

ولا يمكن لعاقل أن يقبل أن المرتدين هاجموا المدينة وانهزموا بدون معركة! والصورة المعقولة لما حدث: أن أنصار طليحة جاؤوا من نجد ، من جهة مكة وعسكروا في ذي القَصَّة ، وهو مكان فيه ماء قرب المدينة من جهة نجد ، يبعد عن المدينة بريداً (الطبري:٢/ ٤٧٩) أي نحو عشرين كيلو متراً فالمسافة بينه وبين المدينة ثلاث أو أربع ساعات .

وجاء وفدهم الى المدينة يطلب القبول بشروط «نبيهم» طليحة وإلا فالحرب ، ومكثوا فيها أياماً ، فرفض أبو بكر شروطهم ، فرجعوا الى ذي القَصة ، وأخبروا قائدهم حِبَال بضعف القوة المدافعة عن المدينة ، لقعود علي عليه السلام ، وغياب جيش أسامة ، وشجعوه على الغارة عليها .

ولا بد أن قائدهم حِبال كان يتساءل عن موقف عليٍّ عليه السلام لأن أهم شيء عنده أن يبقى معتزلاً ، فأخبروه أن موقفه كان رفض مطالبهم وأنه هو الذي دفع أبا بكر لمقاومتهم ، بينما كان موقف عمر وآخرين ليناً .

فكان حِبال بين شك ويقين من مواجهة علي عليه السلام ، فتحرك بفرسانه بسرعة بعد ظهر اليوم الثاني لرجوع الوفد ، ووصل الى ذي حُسَى وهو مكان فيه أودية صغيرة ، يضطر الخارج من المدينة الى سلوكها ، فوضع حِبال كميناً في الجبل ، قد أعدُّوا القرب لينفخوها ويدحرجوها ، فينفرون بها خيل العدو وإبله ، فيمنعون المسلمين من مطاردة جيش حِبال إذا هرب !

وفي المقابل عرف علي عليه السلام من أين سيأتون فكمن لهم مع فرسان انتخبهم في مكان مناسب كما كمن لأبطال بني قريظة ، وتلقاهم فارس خيبر ، ولم يمهلهم حتى جندل قائدهم ومن حوله فعلا صراخهم والركيض!

إنه يكفي للباحث أن يعرف أن علياً كان موجوداً حتى يقدر ما حدث !

ويكفيه أن يقول علي عليه السلام : «فنهضت في تلك الأحداث » ويقول: «ولولا أني فعلت ذلك لباد الإسلام » ، ليقدر ماذا فعل علي عليه السلام !

فإن من يعرف الفكر العسكري لعليعليه السلام، وجرأته الفريدة في توجيه الضربة الى رأس العدو ، يقول: لا بد أن علياًعليه السلام بعد أن أقنع أبا بكر باتخاذ الموقف الشرعي من طليحة ، أرسل من يستطلع وضعهم في ذي القَصَّة ، وهيأ مجموعات الحراس على المدينة ، وأخذ هو النقب أو المدخل الذي ينتظر أن يدخلوا منه ، وقد يكون جاءه الخبر بتحركهم بقيادة قائدهم حِبال فذهب ليلاً وحده أو انتخب معه مجموعة شجعان ، وكمن لهم كما كمن لمجموعة فرسان بني النضير ، وقبل أن يصلوا الى مدخل المدينة انقضَّ عليهم أسد الله وأسد رسولهصلى الله عليه وآله وقصد قائدهم وشق طريقه وهو يضرب من أمامه وعن يمينه وشماله ، حتى وصل الى حامل الراية حِبَال فضربه ضربةً علوية وجندله ، فانذعر أصحابه وولوا مدبرين !

فبهذا يمكنك أن تفهم رواية الطبري: «فما لبثوا إلا ثلاثاً حتى طرقوا المدينة غارة مع الليل، وخلفوا بعضهم بذى حسي ليكونوا لهم ردءًا ، فوافوا الغُوَّار ليلاً الأنقاب وعليها المقاتلة ودونهم أقوام يدرجون (استطلاع) فنهنهوهم وأرسلوا إلى أبى بكر بالخبر ، فأرسل إليهم أبو بكر أن الزموا أماكنكم ففعلوا ».

فلا يمكن قبول رجوع المهاجمين بدون أن يصلوا الى مدخل المدينة وحراسها ، إلا بأنهم تلقوا ضربة وأخذهم الرعب !

كما لايمكن تفسير إخلائهم معسكرهم ذا القَصَّة ، إلا بأن قائدهم قتل فانفرط عقدهم ورجع بعضهم الى طليحة ، وبعضهم الى قبائلهم ، وبعضهم الى معسكر الأبرق قرب الربذة .

أما قصة الذين ذهبوا في تلك الليلة الى ذي حُسَى ، فقد يكونون مجموعة من المدافعين عن المدينة رأوا جيش طليحة وصل الى مشارفها ، وكانوا ينتظرون تقدمه والإشتباك معه ، ثم رأوا أن صوته انقطع فجأة ، واختفى أثر القوم ، فتقدموا فرأوهم انهزموا ، فتبعوهم الى وادي ذي حُسَى ، فدحرج عليهم الكمين القِرب المنفوخة ، فنفرت إبلهم وعادوا الى المدينة .

وفي اليوم الثاني جاء الخبر للمسلمين بأن الكمين ذهب ، وأن جيش طليحة انهزم ، وأنهم أخلوا معسكر ذي القَصَّة ، فذهب علي عليه السلام وأبو بكر والمسلمون الى ذي القَصَّة واتخذوه معسكراً ، لحراسة المدينة ، وجعلوا قائده النعمان بن مقرن المزني ، وهو فارس يعتمد عليه علي عليه السلام ، وقد اختاره فيما بعد قائداً لمعركة نهاوند ، وهي أكبر معركة في فتح فارس .

إن ما حدث في الجيش المهاجم للمدينة يشبه ما حدث لجيش هوازن يوم حنين عندما هرب المسلمون كما قال تعالى: **وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الأرض بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُمْ مُدْبِرِينَ** . فولوا كلهم مدبرين ولم يبق مع النبي صلى الله عليه وآله إلا علي وتسعة من بني هاشم .

فاطمأن عليٌّ عليه السلام الى حمايتهم للنبي صلى الله عليه وآله وغاص في وسط هوازن يقطف رؤوس حملة الرايات ، حتى قتل منهم نحو أربعين ، فكان يضرب كل واحد منهم بما يناسبه ، على رقبته فيطيح برأسه ، أو في وسطه فيقطه قطاً ، أوعلى رأسه فيقدُّه الى أنفه ، في ضربة واحدة مبتكرة لم يعهد المسلمون من

يضرب بأختها بعد رسول الله صلى الله عليه وآله ! فوقعت الهزيمة في جيش هوازن ، حتى أن حامل راية ثقيف أسند رايته الى شجرة ، وهرب الى الطائف !

وقد افتقد العباس علياً عليه السلام فسأل ابنه الفضل: أين هو؟ فدله على مكانه هناك في المعركة فرأى العباس لمعان سيفه ، فقال: « برٌّ، ابنُ برّ ، فداه عمٌّ وخال » ! ولما رجع المسلمون رأوا النصر على وجه النبي صلى الله عليه وآله ، ورأوا علياً عليه السلام ما زال يجرُّ المكتفين ويضعهم عند النبي صلى الله عليه وآله !

قال ابن هشام في سيرته:٤/ ٨٩٦: « فوالله ما رجعت راجعة الناس من هزيمتهم ، حتى وجدوا الأسارى مكتَّفين عند رسول الله صلى الله عليه وآله »! والدرر لابن عبد البر/ ٢٢٧ ، وراجع: أمالي الطوسي/ ٥٧٥.

لكن رواة قريش الظالمين ، لا يقولون من الذي قتل حملة الرايات الأربعين في حنين ، وأسر الأسرى منهم وكتَّفهم ، وجرهم كالعجول ، وصفطهم عند أقدام رسول الله صلى الله عليه وآله ، وقطف بذلك النصر قبل رجوع الفارِّين الخائرين !

والكلام في رد هجوم جيش طليحة ، نفس الكلام ، والمظلوم نفس المظلوم !

سلام الله عليك يا علي. أنت تعمل وتضحي ، وغيرك يأكلها باردة ، ويظلمك !

۞ ۞

(١٣) مكذوبات لإثبات شجاعة أبي بكر !

اخترع رواة السلطة قصصاً لإثبات شجاعة أبي بكـر ، فزعمـوا أنـه قاتـل المهاجمين في ذي حُسَى وفي ذي القَصة وهزمهم ، ثم قصد أبرق الربذة على بعد١٥٠كيلو متراً عن المدينة ، وقاتل بقية جيش طليحة وهزمهم !

وأنه واجه الخطر في كل ذلك وكان مضحياً ، واضعاً روحه على كفه . مع أن المعروف عن أبي بكر عكس ذلك ، في كل حروب النبي صلى الله عليه وآله ! فهـل كـان النبي صلى الله عليه وآله مانعاً من ظهور شجاعته ، وموته سبباً في تفجرها ؟!

قالت رواية الطبري الآنفة: «ثم خرج في الذين خرج إلى ذي القَصة، والذين كانوا على الأنقاب على ذلك الظهر، فقال له المسلمون: ننشدك الله يا خليفة رسـول الله أن تُعَـرِّض نفسـك ، فإنـك إن تصـب لم يكـن للنـاس نظـام ، ومقامك أشد على العدو ، فابعث رجلاً ، فإن أصيب أمَّرت آخـر . فقـال: لا والله لا أفعل ، وأواسينكم بنفسي!

فخرج في تعبيته إلى ذي حسي وذي القَصة ، والـنعمان وعبـد الله وسـويد على ما كانوا عليه ، حتى نزل على أهل الربذة بالأبرق ، فـاقتتلوا فهـزم الله الحارث وعوفاً وأخذ الحطيئة أسـيراً... ولمـا فُضَّـت عـبس وذبيـان أَرَزوا (هربوا) إلى طليحة ، وقد نزل طليحة على بُزَّاخَة ».

وقد أخذ المؤرخون أتباع الخلافة هذه الرواية ونشروها ، ونسجوا على منوالها ، فصرت تجد في مصادرهم أن أبا بكر خرج وقاتل المرتدين ، في ذي حُسى ، وذي القَصة ، ثم في أبرق الربذة !

وأغمضوا عيونهم عن رواية رسمية هي عندهم أصح منها ، عن الزهري عن عائشة ، قالت: « خرج أبي شاهراً سيفه ، راكباً على راحلته إلى ذي القصة ، فجاء علي بن أبي طالب وأخذ بزمام راحلته فقال: إلى أين يا خليفة رسول الله صلى الله عليه وآله ؟ أقول لك ماقال لك رسول الله صلى الله عليه وآله يوم أحد: شم سيفك ولاتفجعنا بنفسك ، فوالله لئن أصبنا بك لا يكون للإسلام بعدك نظام أبداً فرجع ، وأمضى الجيش». (تاريخ دمشق:٣٠/ ٣١٦، وابن كثير في النهاية:٦/ ٣٤٦ ، ورواه في كنز العمال(٥/ ٦٦٥، عن ابن عمر).

تقول عائشة إن أباها تهيأ وتعبأ ، وأعدَّ واستعد ، وأخرج سيفه من غمده ورفعه في الهواء ، وركب فرسه أو ناقته ، وتحرك وخطى خطوات ، لكن علياً غفر الله له جاء ووقف أمام ناقته ، وترجَّاه أن لايذهب ، ففكر أبو بكر بين جهاد المرتدين وبين احترام علي بن أبي طالب ، فرجح أن يحترم علياً ويأخذ برأيه ، فرجع ، وأرسل الجيش مع قائد آخر هو النعمان بن مقرن !

كما توجد عندهم رواية للزهري صحيحة (تاريخ دمشق:٢٥/ ١٦٣) تقول إن أبا بكر تحرك أمتاراً ، ورجع من تلقاء نفسه ، لأنه خاف على المدينة !

«عن الزهري قال: لما استخلف الله أبا بكر ، فارتد من ارتد من العرب عن الإسلام، خرج أبو بكر غازياً حتى إذا بلغ نقعاً من نحو البقيع ، خاف على المدينة فرجع، وأمر خالد بن الوليد سيف الله وندب معه الناس» .

وغفر الله للزهري ، فقد رد كلام عائشة ، وقال إن أبا بكر غيَّر رأيه ورجع من تلقاء نفسه ، لكن لا بأس ، لأن أفكاره وتصرفاته لله تعالى ، فقد رجع من أجل حفظ الإسلام ومدينة رسول الله ﷺ .

إن رواية عائشة ، ورواية عبد الله بن عمر ، ورواية الزهري ، وكلها صحيحة عندهم ، وهؤلاء أئمة عندهم ، تكفينا لرد أصل خروج أبي بكر الى ذي حسى ، أو ذي القَصَّة ، فضلاً عن قتاله للمرتدين فيهما ، أو في الأبرق قرب الربذة ، على بعد أكثر من ١٥٠ كيلو متراً عن المدينة!

اللهم إلا أن يكون أبو بكر ذهب بعد ذلك الى ذي القَصة ، بعد أن اطمأن بانسحاب جيش طليحة منها ، ثم عاد الى المدينة .

أما معركة الأبرق فلايوجد سندٌ مقبول لأصل وجودها ! فالروايات التي تزعم أن أبا بكر قادها ، تردُّها رواية الثلاثي عائشة وابن عمر والزهري .
والرواية التي تقول إنه أرسل اليها خالداً في طريقه الى طليحة ، يردُّها أن الطريق الى طليحة في حائل بعكس أبرق الربذة ، فحائل من جهة العراق وأبرق الربذة من جهة مكة وعلى بعد نحو ٢٠٠ كيلومتراً عن المدينة !
ولو سلمنا أن خالداً ذهب باتجاه مكة الى الأبرق ثم رجع وذهب الى حائل فأين وصف معركته مع قبيلتي عبس وذبيان ؟!

إن غاية ما وجدنا عنها قول الطبري: « فاقتتلوا فهزم الله الحارث وعوفاً، وأخذ الحطيئة أسيراً ».

والحطيئة شاعر مخضرم مشهور، ولو أسر في المعركة لأتيَ به الى المدينة وكانت له أخبار، كما كانت له أخبار عندما أسره زيد الخيل الطائي في الجاهلية وجزَّ ناصيته. وعندما حبسه عمر لهجائه الزبرقان بقوله:

دع المكارمَ لا ترحلْ لبُغْيتها ... واقعدْ فإنك أنت الطاعمُ الكاسي

فشكاه الزبرقان فقال له عمر: « ما أسمع هجاء ولكنها معاتبة جميلة. فقال الزبرقان..سل حسان بن ثابت..فسأله عمر فقال: لم يهجه، ولكن سلح عليه ! فأمر به عمر فجعل في نقير في بئر، ثم ألقى عليه حفصة (قُفَّة ينزح بها وحل البئر) فقال الحطيئة:

ماذا تقول لأفراخ بذي مرخ ... حمر الحواصل لا ماء ولا شجر

ألقيت كاسبهم في قعر مظلمة ... فاغفر عليك سلام الله يا عمر

قال فأخرجه ». (تاريخ المدينة لابن شبة:٣/ ٧٨٦).

وأسْرُ الحطيئة المزعوم في عهد أبي بكر، لم يذكره أحد في أخباره التي تتبعها الرواة، ولا قال فيها شعراً على عادته حتى في صغار الأحداث التي تقع له.

ويظهر أن الراوي حرف رواية أن أخ الحطيئة كان في جيش طليحة الذي أغار على المدينة (تاريخ دمشق:٢٥/ ١٦٠) أو رواية القبض على الحطيئة بعد ذلك ثم إطلاقه، لأنه شجع المانعين للزكاة ولم يرتد، فقد نسب اليه قوله:

أطعنا رسول الله ما كان بيننا فَيَا لِعبادِ الله ما لأبي بكر

يورثنا بكراً إذا مات بعده وتلك لعمر الله قاصمة الظهر

فهلا رددتم وفدنا بزمانه وهلا خشيتم مسَّ راغبة البكر

وإن التي سألوكم فمنعتم لكالتمر أو أحلى إليَّ من التمر)

وكذا لامصداقية لرواية الطبري التي قالت: «وكان على مُرَّة بالأبرق عوف بن فلان بن سنان، وعلى ثعلبة وعبس الحارث بن فلان، أحد بني سبيع. وقد بعثوا وفوداً فقدموا المدينة».

فلا يوجد ما يشير ذهاب جيش اليهم في أبرق، ولا الى مقتل رئيس ذبيان عوف بن سعد بن ذبيان، ولا عوف آخر، ولا ما يشير الى مقتل الحارث بن خارجة السبيعي، ولا مَن قتلهما !

وكل ما ذكره الرواة أن عبساً وذبياناً، ومن تأشب معهم في الأبرق «أرزوا» بعد فشل الهجوم على المدينة الى طليحة، أي هربوا، ونصت على أن طليحة طلب مجيئهم وكل أنصاره الى بُزَّاخَة، لأنه يعرف أن جيش المسلمين سيأتيه بعد فشل هجومه على المدينة، ومقتل ابن أخيه حِبال.
قالت رواية الطبري: «لما أَرَزَتْ (هربت) عبس وذبيان ولفها إلى البُزَّاخَة، أرسل طليحة إلى جديلة والغوث أن ينضموا إليه».

والنتيجة: أن الأمر المؤكد أن القبائل أرسلت وفداً الى المدينة، ثم هاجمتها في اليوم الثالث، وقتل قائدها وعدد معه، فارتدت مهزومة، وأخلت معسكرها في ذي القَصَّة، وذهبت فلولها الى قبائلها، أو الى نبيها طليحة الكذاب !

وعلى أثر هزيمتها في المدينة أخلت معسكرها في الأبرق ، فقد طلب منها (نبيها) طليحة ومن غيرها من القبائل المؤمنة به ، أن توافيه الى بُزَّاخَة !

والنتيجة أن علياًعليه السلام نهض في تلك الأحداث وهو البطل المميز في التخطيط والتنفيذ ، وقد قال: لو لم أنهض لباد الإسلام وأهله !

ومعناه أنه لا يريد الحديث عن تفصيل عمله ، فقد احتسبه هو وأصحابه الفرسان عند الله تعالى ، وجعلوه صدقة سر .

ولعلهعليه السلام كتمه لأنه لم يرد أن يجعل عليه المزيد من ثارات العرب بعد ثاراتها عنده في حروبه مع رسول اللهصلى الله عليه وآله ! فادعت السلطة ذلك ، وتبجحت به !

۞ ۞

(١٤) غياب عمر و جماعته عن الدفاع عن المدينة

نلاحظ غياب عمر بن الخطاب عن الدفاع ، ويظهر أنه غاب لما رفض أبو بكر الأخذ برأيه بالخضوع لمطالب المرتدين ، وأخذ برأي علي عليه السلام بقتالهم ، وسيطر جوُّ المقاومة والحرب على المدينة ، فحضَر عليٌّ عليه السلام وفرسانه ، وغاب عمر وأنصار السقيفة البارزين ، كأبي عبيدة بن الجراح ، وعبد الرحمن بن عوف ، وسعد بن أبي وقاص ، وغيرهم ، حتى أنك لا تسمع لهم في ذلك ذكراً !

كما نلاحظ أن علياً عليه السلام عمل بنفسه وليس بأمر بكر أو تحت إمرته ، وقد قال عليه السلام إنه دفع هجوم المرتدين كان من «تدبيره» لنصرة الإسلام ، لا لنصرة النظام القرشي ، لأن موقفه أن لا يقبل تأميراً من غيره ، لأن الله ورسوله صلى الله عليه وآله أمَّراه على المسلمين ، فلا يجوز له أن يقبل تأميراً من أحد .

قال ابن أبي الحديد (١٧/ ١٥٤) في شرح قوله عليه السلام ، فنهضت في تلك الأحداث.. **(هذا هو الحديث الذي أشار عليه السلام إلى أنه نهض فيه أيام أبى بكر . وكأنه جواب عن قول قائل إنه عمل لأبي بكر وجاهد بين يدي أبى بكر ، فبين عذره في ذلك وقال إنه لم يكن كما ظنه القائل ، ولكنه من باب دفع الضرر عن النفس والدين ، فإنه واجب سواء كان للناس إمام أو لم يكن) .**

وقال عليعليه السلام: «ثم نسبت (قريش) تلك الفتوح إلى آراء ولاتها وحسن تدبير الأمراء القائمين بها، فتأكد عند الناس نباهة قوم وخمول آخرين... ومضت السنون والأحقاب بما فيها، وومات كثير ممن يعرف، ونشأ كثير ممن لا يعرف»! (شرح النهج: ٢٠/ ٢٩٨).

(١٥) عدِي بن حاتم هزم طليحة والإسم لخالد !

شجَّع عليٌّعليه السلام المسلمين لمقاومة هجوم طليحة على المدينة، وخرج بنفسه وفرسانه فقتل قائدهم وعدداً من نخبتهم، فانكفأ المهاجمون وانهزموا .

فكان الفعل لهعليه السلام والإسم لأبي بكر !

وكذلك كانت معركة بُزَّاخَة مع طليحة، فقد كان الفعل فيها لعدي بن حاتم الطائي رضي الله عنه، والإسم لخالد بن الوليد وأبي بكر .

روى الطبري: ٢/ ٤٨٣، عن هشام بن عروة، المتعصب لخالد بن الوليد، قال: «لما أرزت (هربت) عبس وذبيان ولفها إلى البُزَّاخَة، أرسل طليحة إلى جديلة والغوث أن ينضموا إليه، فتعجل إليه أناس من الحيين، وأمروا قومهم باللحاق بهم، فقدموا على طليحة .

وبعث أبو بكر عدياً قبل توجيه خالد من ذي القَصَّة إلى قومه وقال: أدركهم لا يؤكلوا ! فخرج إليهم، فَفَتَلَهُمْ في الذروة والغارب . وخرج خالد في أثره...».

أقول: عدي بن حاتم الطائي، من شيعة علي عليه السلام، وقد حضر دانباً من أحداث السقيفة ورواه، ويبدو أن أبا بكر أرسله بإرشاد عليٍّ عليه السلام ليقوم بإقناع الناس بترك طليحة، لأنه رئيس قبائل طيئ وابن المنطقة، وقد التحق بطليحة قسم من طيئ، وكذا حلفاؤهم قبيلة جديلة.

وقد روى الطبري(٢/ ٤٨٦) وصف دخول القبائل في دين طليحة، بعد أن فشلت محاولة اغتياله من المسلمين، ونبا السيف عن عنقه، فقال: «فما زال المسلمون في نماء والمشركون في نقصان، حتى همَّ ضرار بالمسير إلى طليحة، فلم يبق إلا أخذه سلماً، إلا ضربة كان ضربها بالجراز(سيف عريض) فنبا عنه، فشاعت في الناس، فأتى المسلمون وهم على ذلك بخبر موت نبيهم صلى الله عليه وآله وقال ناس من الناس لتلك الضربة: إن السلاح لا يحيك (يعمل) في طليحة، فما أمسى المسلمون من ذلك اليوم حتى عرفوا النقصان، وارفضَّ الناس إلى طليحة، واستطار أمره!

وأقبل ذو الخمارين عوف الجذمي حتى نزل بإزائنا، وأرسل إليه ثمامة بن أوس بن لام الطائي: إن معي من جديلة خمس مائة، فإن دهمكم أمر فنحن بالقردودة والأنسر، دوين الرمل. وأرسل إليه مهلهل بن زيد: أن معي حد الغوث، فإن دهمكم أمر، فنحن بالأكناف بحيال فيد.

وإنما تحدَّبت طيئ على ذي الخمارين عوف، أنه كان بين أسد وغطفان وطيئ حلف في الجاهلية، فلما كان قبل مبعث النبي صلى الله عليه وآله اجتمعت غطفان

وأسد على طيئ ، فأزاحوها عن دارها في الجاهلية غوثها وجديلتها ، فكره ذلك عوف فقطع مابينه وبين غطفان ، وتتابع الحيان على الجلاء ، وأرسل عوف إلى الحيين من طيئ فأعاد حلفهم وقام بنصرتهم فرجعوا إلى دورهم ، واشتد ذلك على غطفان .

فلما مات رسول الله ﷺ قام عيينة بن حصن في غطفان فقال: ما أعرف حدود غطفان منذ انقطع ما بيننا وبين بنى أسد ، وإني لمجدد الحلف الذي كان بيننا في القديم ومتابع طليحة ، والله لأن نتبع نبياً من الحليفين أحب إلينا من أن نتبع نبياً من قريش! وقد مات محمد وبقى طليحة . فطابقوه على رأيه ، ففعل وفعلوا .

فلما اجتمعت غطفان على المطابقة لطليحة هرب ضرار وقضاعي وسنان ، ومن كان قام بشئ من أمر النبي ﷺ في بنى أسد إلى أبى بكر » .

(١٦)ابتكار عدي بن حاتم في القيادة

قام عَدِي بعملين كبيرين سبَّبَا نصر المسلمين ، وهزيمة طليحة وفراره الى الشام . فقد قصد رؤساء بطون طيئ الذين انضموا الى طليحة ، أو أرسل اليهم وأحضرهم ، وتكلم معهم بأسلوبه المقنع ، من موقعه كرئيس طيئ العام ، وأقنعهم بترك طليحة لأنه كذاب وليس نبياً ولا مستقبل له . وحذرهم من جيش المسلمين الذي سيأتي لحرب طليحة .

قال الطبري(٢/ ٤٨٣): «فخرج إليهم ففتلهم في الذروة والغارب. وخرج خالد في أثره...».

وفتلهم بالذروة والغارب: مثلٌ يضرب لمن أقنع شخصاً بكل وسيلة ، كالذي يعمل لربط البعير من ذروة سنامه ومن تحت إبطه . أي أقنعهم ببيانه وأساليبه .

وكذلك صنع عدي مع حلفائهم قبيلة جديلة:

« وارتحل خالد نحو الأنسر يريد جديلة فقال له عدى: إن طيئاً كالطائر وإن جديلة أحد جناحي طيئ ، فأجلني أياماً لعل الله أن ينتقذ جديلة كما انتقذ الغوث ففعل . فأتاهم عدي فلم يزل بهم حتى بايعوه فجاءه بإسلامهم، ولحق بالمسلمين منهم ألف راكب . فكان خير مولود ولد في أرض طيئ ، وأعظمه عليهم بركة». (الطبري:٢/ ٤٨٣).

وفي تاريخ دمشق:٢٥/ ١٥٨:« عن الشعبي قال: ارتدت العرب بعد رسول الله ﷺ عوام أو خواص ، فارتدت أسد ، واجتمعوا على طليحة ، واجتمعت عليه طيئ إلا ما كان من عدي بن حاتم ، فإنه تعلق بالصدقات فأمسكها ، وجعل يكلم الغوث ، وكان فيهم مطاعاً يستلطف لهم ويرفق بهم ، وكانوا قد استَحْلَوْا أمر طليحة وأعجبهم ».

(١٧)خالد يهرب بجيشه ويلجأ الى عدي بن حاتم !

وتحرك القائد خالد بن الوليد ، بجيشه من المدينة نحو بُزَّاخَة مركز طليحة المرتد المتنبئ ، وكان يطلق التهديد ويعلن الشوق الى لقاء طليحة ومنازلته !

قال خليفة بن خياط/ ٦٥: «إن خالداً سار من ذي القَصَّة في ألفين وسبع مائة إلى الثلاث آلاف ، يريد طليحة . ووجه عكاشة بن محصن وثابت بن أقرم بن ثعلبة الأنصاري حليف لهم من بلي ، فانتهوا إلى قطن ، فصادفوا بها حِبالاً متوجهاً إلى طليحة بثقله ، فقتلوا حِبالاً وأخذوا ما معه » .

أقول: لعل هذا حِبال بن طليحة لأن طليحة كان يكنى أبا حبال . أما حِبال المشهور ابن أخ طليحة ، فهو قائد المهاجمين للمدينة ، وقد قُتل في هجومه .

وأرسل خالد عندما اقترب من بُزَّاخَة ، فارسين من شخصيات الصحابة لاستطلاع وضع طليحة ، وهما عكاشة بن محصن وثابت بن أقرم .

ونتعجب من أن جيشاً من ثلاثة آلاف يرسل طليعته شخصيتين وحدهما! ولا ندري هل تطوعا بالذهاب ، أو أمرهما خالد وكان عليهما أن يطيعا .

ونلاحظ أن طليحة كان شجاعاً على عكس خالد ، فكان يخرج مع أخيه سلمة من بُزَّاخَة الى ضواحيها يستطلع الوضع العسكري ، أو كانا يذهبان وحدهما من سميراء أو الغمر الى بُزَّاخَة ، والمسافة سفر يومين وأكثر ، فرأيا عكاشة وثابتاً ، فعرفاهما ، واستطاعا أن يقتلاهما !

قال الطبري(٢/ ٤٨٤): « وسار خالد بن الوليد حتى إذا دنا من القوم بعث عكاشة بن محصن ، وثابت بن أقرم أحد بني العجلان حليف الأنصار طليعةً ، حتى إذا دنوا من القوم ، خرج طليحة وأخوه سلمة ينظران ويسألان ، فأما سلمة فلم يمهل ثابتاً أن قتله ، ونادى طليحة أخاه حين

رأى أن قد فرغ من صاحبه ، أن أعِني على الرجل فإنه آكلي ، فاعتونا عليه فقتلاه ، ثم رجعا ».

وقال طليحة مفتخراً بقتله عكاشة وثابتاً ، ثأراً بابن أخيه حِبال:

« نصبت لهم صدر الحمالة إنها معاودة قبل الكماة نزالي

فيوماً تراها في الجلال مصونةً ويوما تراها غير ذات جلال

ويوماً تُضيء المشرفية نحرها ويوما تراها في ظلال عوال

فما ظنكم بالقوم إذ تقتلونهم أليسوا وإن لم يسلموا برجال

عشية غادرت ابن أقرم ثاوياً وعكَّاشة الغنْمي عنه بحال

فإن تك أذوادٌ أخذنَ ونسوةٌ فلَمْ تَذْهَبُوا فِرْغاً بقَتْلِ حِبَالِ»

(تاريخ دمشق:٢٥/ ١٦٦). ومعنى فرغاً: لم يذهب دمه هدراً . (الزبيدي:١٢/ ٥١).

قال ابن هشام:٢/ ٤٦٤: « وقاتل عكَّاشة بن محصن بن حرثان الأسدي ، حليف بني عبد شمس بن عبد مناف ، يوم بدر بسيفه حتى انقطع في يده ، فأتى رسول الله صلى الله عليه وآله فأعطاه جذلاً من حطب فقال: قاتل بهذا ياعكاشة ، فلما أخذه من رسول الله صلى الله عليه وآله هزه فعاد سيفاً في يده طويل القامة شديد المتن أبيض الحديدة ! فقاتل به حتى فتح الله تعالى على المسلمين . وكان ذلك السيف يسمى العون ، ثم لم يزل عنده يشهد به المشاهد مع رسول الله صلى الله عليه وآله حتى قتل في الردة وهو عنده . قتله طليحة بن خويلد الأسدي ».

وفي تاريخ دمشق:٢٥/ ١٦٦: «وخرج طليحة وسلمة ابنا خويلد طليعة القوم فالتقوا فيما بين العسكرين الغمر والبزاحة.

وقد علم عكاشة أن على طليحة يميناً أن لا يدعوه أحد إلى النزال إلا أجابه فقال: يا طليحة نزال..وتنازلوا فبرز طليحة لعكاشة وسلمة لثابت.. فأما ثابت فلم يلبث سلمة أن قتله ، وأغار طليحة على عكاشة فقال: أعني عليه يا سلمة فإنه آكلي ، فاكتنفاه فقتلاه » .

وقال السهيلي:٣/ ٥١: «يقال فيه: عَكَّاشة بالتشديد والتخفيف ، وهو من عكش على القوم إذا حمل عليهم... وحِبال: هو ابن أخي طليحة لا ابنه ، وهو حبال بن سلمة بن خويلد ، وسلمة أبوه هو الذي قتل عكاشة ، اعتنقه سلمة وضربه طليحة على فرس يقال لها: اللزام ، وكان ثابت على فرس يقال لها: المخبر ، وقصته مشهورة في أخبار الردة ».

ولما وصل خالد بجيشه الى قرب بُزَّاخَة رأى عكاشة وثابتاً قتيلين ، فانهار خالد الذي زعموا أنه «سيف الله المسلول» ورجع بجيشه الثلاثة آلاف ، من أبواب بُزَّاخَة ، ولجأ الى عدي بن حاتم في جبلي طيئ ، ليستعين به على قتال طليحة !

قال الطبري:٢/ ٤٨٤: «وأقبل خالد بالناس حتى مروا بثابت بن أقرم قتيلاً، فلم يفطنوا له حتى وطأته المطيُّ بأخفافها ، فكبر ذلك على المسلمين ، ثم نظروا فإذا هم بعكاشة بن محصن صريعاً ، فجزع لذلك المسلمون وقالوا:

قتل سيدان من سادات المسلمين ، وفارسان من فرسانهم ! فانصرف خالد نحو طيئ !

حدثنا عبد السلام بن سويد أن بعض الأنصار حدثه ، أن خالداً لما رأى ما بأصحابه من الجزع عند مقتل ثابت وعكاشة قال لهم: هل لكم إلى أن أميل بكم إلى حي من أحياء العرب ، كثير عددهم شديدة شوكتهم ، لم يرتد منهم عن الإسلام أحد ؟ فقال له الناس: ومن هذا الحي الذي تعنى ، فنعم والله الحي هو؟ قال لهم: طيئ . فقالوا: وفقك الله ، نعم الرأي رأيت . فانصرف بهم حتى نزل بالجيش في طيئ . قال هشام: حدثني جديل بن خباب النبهاني ، من بنى عمرو بن أبيّ: أن خالداً جاء حتى نزل على أرك ، مدينة سلمى .

قال هشام: قال أبو مخنف حدثني إسحاق أنه نزل بأجأ ، ثم تعبأ لحربه ثم سار حتى التقيا على بُزَّاخَة ، وبنو عامر على سادتهم وقادتهم قريباً ، يستمعون ويتربصون على من تكون الدبرة ».

أقول: تبعد حائل عن المدينة٤٥٠ كيلومتراً ، وهي المسافة التي قطعها المسلمون مع خالد قاصدين بُزَّاخَة قرب حائل على بعد٤٠ كيلو متراً ، وكانوا٢٧٠٠ رجلاً فوصلوا الى قطن ، حيث قتل عكاشة وثابت. (تاريخ خليفة / ٦٥). **وقطن قرب بُزَّاخَة ، أما منازل طيئ فأقربها الى بُزَّاخَة جبل أجأ نحو١٠٠ كيلو متر ، أما جبل سلمى ومدينة سلمى التي ذكروا أن خالداً ذهب اليها** (النهاية:٦/ ٣٤٩)، **فتبعد كما ذكروا في جغرافية حائل١٧٥ كيلو متراً .**

ومعنى ذلك أن خالداً وصل الى قرب معسكر طليحة ، فرأى الفارسين الذين أرسلها طليعة مقتولين ، فانذعر وخاف ، وانسحب !

ففرح طليحة بجزع خالد وجيشه و«هزيمته» واعتبر ذلك انتصاراً له ، فنقل معسكره الى قطن ، فكانت مكان معركته مع المسلمين عندما رجعوا !

وقد يعتذر عن خالد بأن المسلمين جزعوا وخافوا ، ولما رأى خالد ذلك اقترح عليهم الإنسحاب ! لكن القائد الشجاع يُخرج جنوده من الخوف ويشجعهم ! أو يعتذرون له بأن عدياً كان أرسل له وهو في الطريق أن يأتيهم أولاً ، ليضاعف له عدد جيشه . فقد روى الطبري:٢/ ٤٨٤: «عن عدي بن حاتم قال: بعثت إلى خالد بن الوليد أن سر إليَّ فأقم عندي أياماً ، حتى أبعث إلى قبائل طيئ ، فأجمع لك منهم أكثر ممن معك ، ثم أصحبك إلى عدوك قال فسار إليَّ ».

لكنه عذر لاينفي عن خالد الجُبن ، فلماذا لم يقصد طيئاً قبل أن يصل الى بُزَّاخَة ويرى القتيلين من أصحابه ، والطريق مختلف ، والمسافة يومان أو أربعة أيام ؟!

بل يبدو أن رسالة عدي الى خالد مكذوبة ، للدفاع عن خالد لئلا يتهم بالجبن!

(١٨) كان عدي ملجأ خالد ومرجعه

يتضح لمن قرأ أخبارهما أن عدياً كان مرجعاً وملجأً لخالد في الرأي والإدارة والتدبير ، وسترى أن عدياً قائد عسكري بطل ، رضي الله عنه .

قال الطبري:٢/ ٤٨٥: «حدثني سعد بن مجاهد أنه سمع أشياخاً من قومه يقولون: سألْنا خالداً أن نكفيه قيساً فإن بني أسد حلفاؤنا . فقال: والله ما قيس بأوهن الشوكتين ، إصمدوا إلى أي القبيلتين أحببتم .

فقال عدى:لوترك هذا الدين أسرتي الأدنى فالأدنى من قومي لجاهدتهم عليه ، فأنا أمتنع من جهاد بني أسد لحلفهم ، لا لعمر الله لا أفعل !

فقال له خالد: إن جهاد الفريقين جميعاً جهاد . لا تخالف رأى أصحابك ، إمض إلى أحد الفريقين ، وامض بهم إلى القوم الذين هم لقتالهم أنشط..

إن خيل طيئ كانت تلقى خيل بنى أسد وفزارة قبل قدوم خالد عليهم ، فيتشاتمون ولايقتتلون، فتقول أسد وفزارة:لاوالله لا نبايع أبا الفصيل أبداً! فتقول لهم خيل طيئ: نشهد ليقاتلنكم حتى تكنوه أبا الفحل الأكبر».

وفي تاريخ دمشق:٤٠/ ٧٩: «عن الشعبي قال: لما كانت الردة قال القوم لعدي بن حاتم: أمسك ما في يديك من الصدقة ، فإنك إن تفعل تُسَوِّد الحليفين .

فقال: ما كنت لأفعل حتى أدفعه إلى أبي بكر بن أبي قحافة ، فجاء به إلى أبي بكر حتى دفعه إليه.. فقال لقومه: لا تعجلوا فإنه إن يقم لهذا الأمر قائم ألفاكم ولم تفرقوا الصدقة ، وإن كان الذي تظنون فلعمري إن أموالكم بأيديكم لايغلبكم عليها أحد ، فسكتهم بذلك..وأمر ابنه أن يسرح نعم الصدقة...فخرج على بعير له سريعاً حتى لحق ابنه ، ثم حدر النعم المدينة...فكانت أول صدقة قدم بها على أبي بكر..بثلاث مائة بعير..

وسار عدي بن حاتم مع خالد بن الوليد إلى أهل الردة ، وقد انضم إلى عدي من طيئ ألف رجل، وكانت جديلة معرضة عن الإسلام ، وهم بطن من طيئ.. فلما همت جديلة أن ترتد ونزلت ناحية ، جاءهم مكنف بن زيد

الخيل الطائي فقال: أتريدون أن تكونوا سُبَّةً على قومكم ، لم يرجع رجل واحد من طيئ ، وهذا أبو طريف معه ألف من طيئ ، فكسرهم .

فلما نزل خالد بن الوليد بُزَّاخَة قال لعدي: يا أبا طريف ألا تسير إلى جديلة (لقتالهم) فقال: يا أبا سليمان لا تفعل ، أقاتل معك بيدين أحب إليك أم بيد واحدة؟فقال خالد: بل بيدين. فقال عدي:فإن جديلة إحدى يديَّ! فكف خالد عنهم فجاءهم عدي ودعاهم إلى الإسلام فأسلموا فسار بهم إلى خالد ، فلما رآهم خالد فزع منهم وظن أنهم أتوا لقتال ، فصاح في أصحابه بالسلاح ! فقيل له: إنما هي جديلة ، أتت تقاتل معك .

فلما جاءوا حلوا ناحيةً ، وجاءهم خالد فرحب بهم واعتذروا إليهم من اعتزالهم ، وقالوا: نحن لك بحيث أحببت ، فجزَّاهم خيراً . فلم يرتدد من طيئ رجل واحد ! فسار خالد على بغيته فقال عدي بن حاتم: إجعل قومي مقدمة أصحابك . فقال: أبا طريف إن الأمر قد اقترب ولحُم ، وأنا أخاف إن تقدم قومك ولحمهم القتال ، انكشفوا فانكشف من معنا ، ولكن دعني أقدم قوماً صبَّراً ، لهم سوابق وثبات .

فقال عدي: فالرأيَ رأيت . فقدَّم المهاجرين والأنصار .

قال فلما أبى طليحة على خالد أن يقر بما دعاه إليه ، انصرف خالد إلى معسكره واستعمل تلك الليلة على معسكره عدي بن حاتم ومكنف بن زيد الخيل، وكان لهما صدق نية ولين، فباتا يحرسان في جماعة من المسلمين .

فلما كان في السحر نهض خالد فعبأ أصحابه ووضع ألويته مواضعها ، فدفع لواءه الأعظم إلى زيد بن الخطاب فتقدم به ، وتقدم ثابت بن قيس بن شماس بلواء الأنصار ، وطلبت طيئ لواء يعقد لها ، فعقد خالد لواء ودفعه إلى عدي بن حاتم ، وجعل ميمنة . وميسرة ».

(١٩) نهض الأنصار وطيئ بثقل المعركة مع طليحة

لم يصف الرواة معركة المسلمين مع طليحة ، وأعطوا بطولتها بالجملة الى خالد على عادتهم! لكن المؤكد لمن عرف سلوك خالداً في معاركه ، أنه ألقى ثقلها على الأنصار وعدي وطيئ وجديلة ، ولم يشارك بنفسه ، لا في مبارزة ولا حملة! **قال الطبري**(٢/ ٤٨٩):« قام فيهم طليحة ثم قال: أمرت أن تصنعوا رحاً ذات عرى يرمى الله بها من رمى ، يهوى عليها من هوى . ثم عبأ جنوده ثم قال: إبعثوا فارسين على فرسين أدهمين ، من بنى نصر بن قعين ، يأتيانكم بعين . فبعثوا فارسين من بنى قعين ، فخرج هو وسلمة طليعتين.

وروى الطبري أنه كان يقول لهم: « والحمام واليمام ، والصرد الصوام ، قد ضمن قبلكم بأعوام ، ليبلغن ملكنا العراق والشام ».

وروى في تاريخ دمشق:٢٥/ ١٦٣ : «فلما رأى طليحة كثرة انهزام أصحابه قال: ويلكم مايهزمكم ؟! قال رجل منهم: أنا أحدثك ، ما يهزمنا أنه ليس

رجل منا إلا وهو يحب أن يموت صاحبه قبله ، وإنا لنلقي قوماً كلهم يحب أن يموت قبل صاحبه . وكان طليحة شديد البأس في القتال ».

قال الطبري:٢/ ٤٨٥: «عن محمد بن طلحة..قال: حُدثت أن الناس لما اقتتلوا ، قاتلَ عيينة مع طليحة في سبع مائة من بنى فزارة قتالاً شديداً ، وطليحة متلفف في كساء له بفناء بيت له من شعر يتنبأ لهم ، والناس يقتتلون! فلما هزَّت عيينة الحرب وضَرُسَ القتال ، كرَّ على طليحة فقال: هل جاءك جبريل بعد؟ قال: لا. قال: فرجع فقاتل حتى إذا ضرس القتال وهزته الحرب ، كرَّ عليه فقال: لا أباً لك ، أجاءك جبريل بعد ؟

قال: لا والله . قال: يقول عيينة حلفاً: حتى متى ، قد والله بلغ منا !

قال: ثم رجع فقاتل حتى إذا بلغ كرَّ عليه فقال: هل جاءك جبريل بعد؟ قال: نعم . قال: فماذا قال لك؟ قال: قال لي: إن لك رحاً كرحاه ، وحديثاً لاتنساه. قال: يقول عيينة: أظن أن قد علم الله أنه سيكون حديث لاتنساه! يابنى فزارة هكذا فانصرفوا ، فهذا والله كذاب !

فانصرفوا وانهزم الناس ، فغَشُوا طليحة يقولون: ماذا تأمرنا؟ وقد كان أعد فرسه عنده ، وهيأ بعيراً لامرأته النوار، فلما أن غَشُوه يقولون ماذا تأمرنا ؟ قام فوثب على فرسه ، وحمل امرأته ثم نجا بها ، وقال: من استطاع منكم أن يفعل مثل ما فعلت ، وينجو بأهله فليفعل !

ثم سلك الحوشية حتى لحق بالشام وارفضَّ جمعه ، وقتل الله من قتل منهم. وبنو عامر قريباً منهم على قادتهم وسادتهم ، وتلك القبائل من سليم وهوازن على تلك الحال ، فلما أوقع الله بطليحة وفزارة ما أوقع ، أقبل

أولئك يقولون ندخل فيما خرجنا منه ونؤمن بالله ورسوله ، ونسلم لحكمه في أموالنا وأنفسنا». وسنن البيهقي:٨ / ٣٣٤، وتاريخ دمشق:٢٥ / ١٦٨، وابن حبان:٢ / ١٦٧ .

أقول: بهذه الخفة أنهى طليحة المتنبئ أكذوبته وأحلامه وهزمه الله وجيشه. وتلاحظ أن المؤرخين لم يذكروا تفصيل المعركة ولا الذين بارزوا وقاتلوا ! وذكروا أن طليحة كان جالساً في خيمته ينتظر جبرئيل ! وقد دفع الى القتال قبيلة فزارة ، بقيادة عيينة بن حصن ، وعيينة مناور وليس مقاتلاً !

أما خالد فقد كان قاعداً في الخيمة ، لم يضرب بسيف ولا طعن برمح ، والذين قاتلوا هم الأنصار بقيادة ثابت بن قيس ، والطائيون بقيادة عدي بن حاتم ، قائد الميمنة ، وزيد الخيل قائد الميسرة .

وقد شهد بذلك المؤرخ ابن أعثم (١/ ١٣) قال: «وزحف إليهم خالد حتى وافاهم بأرض يقال لها: بُزَّاخَة ، وإذا طليحة قد عبأ أصحابه وعبأ خالد أصحابه ، وكان على ميمنته عدي بن حاتم الطائي ، وعلى ميسرته زيد الخيل ، وعلى الجناح الزبرقان بن بدر التميمي «وفي القلب الأنصار» ودنا القوم بعضهم من بعض واختلط القوم فاقتتلوا، فقتل من الفريقين جماعة، وجعلت بنو أسد وغطفان وفزارة يقاتلون بين يدي طليحة بن خويلد أشد القتال وهم ينادون: لا نبايع أبا الفصيل يعنون أبا بكر ، وجعل عدي بن حاتم يحمل عليهم في أصحابه فيقاتلهم ، وهو يقول: والله ! لنقاتلنكم أبداً ولتكنونه بالفحل الأكبر . قال: وجعل عدي بن حاتم وزيد الخيل وقبائل

طيئ يقاتلون بين يدي خالد بن الوليد قتالاً لم يقاتلوا قبله في يوم من أيامهم التي سلفت ، ومدحهم خالد بن الوليد .

قال: واشتد القتال وعظم الأمر ، وعضت الحرب الفريقين جميعاً ، فأقبل عيينة بن حصن إلى طليحة بن خويلد وهو واقف على باب خيمة من شعر وفرسه علال إلى جانبه ، وامرأته نوار جالسة بين يديه ، فقال له عيينة: أبا عامر هل أتاك جبريل؟قال طليحة: لا. فرجع عيينة إلى الحرب فقاتل ساعة ثم رجع إليه فقال: هل أتاك جبريل بعد؟ فقال: لا ، فرجع فلم يزل يقاتل حتى بلغ منه الجهد واشتد به الأمر ، ثم رجع إلى طليحة فقال: أبا عامر! هل أتاك جبريل؟ قال: لا. قال عيينة: حتى متى ويحك ! بلغ منا الجهد واشتد بنا الأمر وأحجم الناس عن الحرب ، ثم رجع فلم يزل يقاتل هو وبنو عمه من فزارة ، حتى ضجوا من الطعان والضراب ، ثم رجع فقال له: أبا عامر ! هل أتاك جبريل بعد ؟ قال: نعم قد أتاني ، قال عيينة: الله أكبر! هات الآن ما عندك ، وما الذي قال لك جبريل؟ قال طليحة: نعم قد قال جبريل: إن رجاء لا تقوم لرجاه ، وإن لك وله حديثاً لا تنساه الناس أبداً. قال: ثم أقبل عيينة على أهله وبني عمه من فزارة ، فقال: ويحكم يا بني عمى هذا والله كذاب ! والله صح عندي كذبه لتخليطه في كلامه !

قال: ثم ولى عيينة بن حصن منهزماً مع بني عمه من فزارة ، وانهزمت بنو أسد وغطفان ، وسيوف المسلمين في أقفيتهم كأنها الصواعق ! فقال طليحة بن خويلد: ويحكم ما بالكم منهزمين؟

فقال رجل منهم: أنا أخبرك يا أبا عامر: لم لا ننهزم؟ نحن قوم نقاتل ونريد البقاء ، وهؤلاء قوم يقاتلون ويحبون الفناء .

قال: فقالت نوار امرأة طليحة: أما إنه لو كانت لكم نية صادقة لما انهزمتم عن نبيكم ! فقال لها رجل منهم: يا نوار لو كان زوجك هذا نبياً حقاً لما خذله ربه! قال: فلما سمع طليحة ذلك صاح بامرأته: ويلك يا نوار! إقتربي مني فقد اتضح الحق وزاح الباطل . ثم استوى طليحة على فرسه ، وأردف امرأته من ورائه ، ومرَّ منهزماً مع من انهزم !

واحتوى خالد ومن معه من المسلمين على غنائم القوم ، وعامة نسلهم وأولادهم . قال: فجمع خالد غنائم القوم فوكل نفراً من المسلمين يحفظونها، ثم خرج في طلب القوم يتبع آثارهم حتى وافاهم بباب الأجرب فاقتتلوا قتالاً شديداً فأسر عيينة بن حصن الفزاري ، وأسر معه جماعة من بني عمه ، وأفلت طليحة بن خويلد فمر هارباً على وجهه نحو الشام ، حتى صار إلى بني جفنة فلجأ إليهم ، واستجار بهم فأجاروه .

قال: ثم جمع خالد الأسارى بأجمعهم من بني أسد وغطفان وفزارة ، وعزم أن يوجه بهم إلى أبي بكر ».

(٢٠) سبب احتشاد القبائل تأييداً لطليحة !

استطاع طليحة أن يجمع حشداً قبلياً كبيراً ، لكنه لم يحسن إدارتهم ، لأنه مضافاً الى كذبه ، كانت تسيطر عليه «استراتيجية» الغارة والهرب ، وكان ذلك نعمة من الله تعالى للمسلمين ! ولذلك بدد طليحة هذه القوة في شهور قليلة !

فقد هاجم ابن أخيه حِبَال المدينة بعد شهرين من وفاة النبي ﷺ أي في شهر جمادى سنة إحدى عشرة ، فقُتل وانهزم جيشه هزيمة فاضحة .

وبعد مدة قليلة انهزم طليحة نفسه هزيمة فاضحة ، في بُزَّاخَة !

(٢١) تاب طليحة بعد هزيمته الفاضحة !

قرر طليحة في أوج معركته مع المسلمين أن يهرب ، فهرب الى أصدقائه آل جفنة في الشام ! ثم أظهر ندمه ورجوعه الى الإسلام ، وجاء معتمراً ، لكن أبا بكر والمسلمين لم يهتموا به ، فبقي هناك الى خلافة عمر .

وكان المسلمون ينقمون عليه قتله ثابت بن أقرم وعكاشة ، وكان ثابت أسدياً حليفاً لبني أمية ، وعكاشة من فرسان الأنصار وأبطال بدر ، وقد انكسر سيفه فأعطاه النبي ﷺ سعفة فتحولت الى سيف وقاتل به . وقد قتلهما طليحة وأخوه سلمة عندما كانا طليعة لجيش خالد .

وقد ندم طليحة وأرسل الى أبي بكر ، كما في العثمانية للجاحظ/ ١٢٧ :

« ندمتُ على ما كان من قتل ثابتٍ وعَكَّاشة الغنميِّ يا أمَّ معبدِ
وأعظم من هذين عندي مصيبة رجوعي عن الإسلام رأى المقيَّدِ
وتركي بلادي والخطوب كثيرة طريداً وقدماً كنت غير مُطَرَّدِ
فهل يقبل الصديق أنيَ تائبٌ ومعطٍ بما أحدثت من حدث يدي»

قال في تاريخ دمشق:٢٥/ ١٥٣ : «فأقام عند آل جفنة الغسانيين حتى توفي أبو بكر ، ثم خرج محرماً بالحج فقدم مكة ، فلما رآه عمر قال: يا طليحة لا أحبك بعد قتل الرجلين الصالحين عكاشة بن محصن وثابت بن أقرم ، وكانا طليعتين لخالد بن الوليد فلقيهما طليحة وسلمة ابنا خويلد فقتلاهما.

فقال طليحة:يا أمير المؤمنين رجلان أكرمهما الله بيدي ولم يهني بأيديهما ، وما كل البيوت بنيت على الحب ولكن صفحة جميلة ، فإن الناس يتصافحون على السنان . وأسلم طليحة إسلاماً صحيحاً ولم يغمص عليه في إسلامه ، وشهد القادسية ونهاوند مع المسلمين . وكتب عمر أن شاوروا طليحة في حربكم ، ولا تولوه شيئاً ».

(٢٢) ثم شارك طليحة في حروب الفتوحات

رووا لطليحة في فتح العراق وفارس ، مواقف شجاعة ، وطرائف .

قال الطبري:٣/ ٢١٤: «فبعث (النعمان بن مقرن) من الطزر طليحة وعمراً وعمراً طليعة ، ليأتوه بالخبر، وتقدم إليهم أن لا يغلوا . فخرج طليحة بن خويلد ، وعمرو بن أبي سلمى العنزي ، وعمرو بن معدي كرب الزبيدي ، فلما ساروا يوماً إلى الليل رجع عمرو بن أبي سلمى ، فقالوا: ما رجعك؟ قال: كنت في أرض العجم ، وقَتَلَت أرضٌ جاهلها ، وقَتَل أرضاً عالُمها. ومضى طليحة وعمرو حتى إذا كان من آخر الليل رجع عمرو ، فقالوا: ما رجعك قال سرنا يوماً وليلة لم نر شيئاً وخفت أن يؤخذ علينا الطريق .

ونفذ طليحة ولم يحفل بهما فقال الناس: ارتد الثانية ! ومضى طليحة حتى انتهى إلى نهاوند وبين الطزر ونهاوند بضعة وعشرون فرسخاً (نحو ٢٠٠كيلومتر) فعلم علم القوم واطلع على الأخبار ، ثم رجع حتى إذا انتهى إلى الجمهور وكبر الناس ، فقال: ما شأن الناس؟ فأخبروه بالذي خافوا عليه ، فقال: والله لو لم يكن دين إلا العربية ما كنت لأجزر العجم الطماطم هذه العرب العاربة !

فأتى النعمان فدخل عليه فأخبروه الخبر ، وأعلمه أنه ليس بينه وبين نهاوند شئ يكرهه ، ولا أحد .

فنادى عند ذلك النعمان بالرحيل فأمرهم بالتعبية ، وبعث إلى مجاشع بن مسعود أن يسوق الناس . وسار النعمان على تعبيته ، وعلى مقدمته نعيم بن مقرن وعلى مجنبتيه حذيفة بن اليمان وسويد بن مقرن ».

ومعنى كلامه: أنه لو لم يكن دين ، فإن قوميتي تمنعني أن أمكن العجم أصحاب الرطانة من العرب الأقحاح !

وفي تاريخ الطبري:٣/ ٢٢٠: «أن رجلاً يقال له جعفر بن راشد ، قال لطليحة وهم مقيمون على نهاوند: لقد أخذتنا خَلَّة (ملل) فهل بقى من أعاجيبك شئ تنفعنا به ؟ فقال:كما أنتم حتى أنظر ، فأخذ كساء فتقنع به غير كثير ، ثم قال: البيان البيان، غنم الدهقان في بستان ، مكان أرونان . فدخلوا البستان فوجدوا الغنم مُسَمَّنة »!

وقال له الشاعر أيمن بن خريم: « مابقي من كهانتك؟قال: نفخة أو نفختان بالكير . يُعيُّره بأنه من القُيون ». أي الحدادين ، والعربي لايكون حداداً ! (أنساب الأشراف:١١/ ١٩٦).

وفي تجارب الأمم لمسكويه:١/ ٣٤٢: «اشتد القتال وصبر الفريقان ، ولم يسمع إلَّا الغماغم من هؤلاء وهؤلاء ، فسمّيت ليلة الهرير ، ولم يكن بعدها قتال بليل بالقادسية . ثم إن سعداً (يقصد نائب سعد لأنه لم يحضر المعركة) وجَّه طليحة وعمرو بن معدي كرب إلى مخاضة كانت أسفل منهم ، وخشي أن يؤتى المسلمون منها بعبور الفرس ، ووصَّاهما أن يقفا هناك ، فإن أحسَّا بكيد

أنذرا المسلمين . فانتهيا إلى هناك فلم يجدا أحداً . فأمّا طليحة فرأى أن يعبر وأمّا عمرو فقال: ما أمرنا بذلك . فعبر طليحة حتى إذا صار وراء صف المشركين كبَّر ثلاث تكبيرات ، فدهش القوم وكفُّوا عن الحرب لينظروا ما هو ، وطلبوه فلم يدروا أين سلك ! وسفل حتى غاص وأقبل إلى العسكر فأتى سعداً خبره ، فاشتد ذلك على الفرس وفرح المسلمون وقال طليحة للفرس: لا تعدموا أمراً ضعضعكم ».

(٢٣) (بطولة) خالد في التقتيل بعد معركة بزاخة !

اتفق المؤرخون على أن خالداً أصابه الجزع والخوف ، فرجع من قرب بُزَّاخَة ، باسم الإنسحاب التكتيكي! وكذلك فعل في تبوك !

كما لم يثبت أنه برز الى أحد ، ولا قاد حملة على جيش طليحة ، ولا شارك فيها ، وكذلك تراه في بقية معاركه !

لكن خالداً تأتيه البطولة في غير المعركة المتكافئة ، فتراه يجيد الغدر بدل المبارزة ، فيحتال على خصمه ، أو يرسل ضابطاً مطيعاً الى أناس عُزَّل فيلقون القبض عليهم ويأتونه بهم أسرى مكتفين فيقتلهم صبراً ، فتظهر شجاعته وبطولته في تقتيلهم وهم عُزَّل !

فكذلك فعل خالد ببني جذيمة لما غَدَر بهم بعد أن أمَّنَهم! فقد كتَّف منهم سبعين مسلماً وقدمهم واحداً واحداً وقتلهم !

وكان فيهم شاب غريب جاء ليرى معشوقته من بني جذيمة ، وأقسم لخالد أنه ليس منهم ، لكن «بطل الإسلام» لم يرحمه وقتله ، فأكبت عشيقته على جنازته وشهقت وماتت ، فقال النبي ﷺ لما أخبروه ، كما في **الطبري:٢/ ٣٤٢، وابن هشام:٤/ ٨٨٣**: « أما كان فيكم رجل رحيم !

كما غدر خالد بمالك بن نويرة وبني يربوع بعد أن أمَّنهم ، فاحتال عليهم حتى ألقوا سلاحهم ، فكتفهم وقتلهم! ولم يسمع استنكار عبد الله بن عمر وأبي قتادة وغيره من الصحابة ، ونام مع زوجة مالك في تلك الليلة !

وقد حكم عليه عمر بأنه قاتل زان !

كما غدر خالد بسبعة آلاف من بني حنيفة قتلهم جميعاً ، بعد أن وقع معهم الصلح ! ولم يكن فيهم من قتل أحداً من المسلمين كبعض أهل بُزَّاخَة !

أما في بُزَّاخَة فبقي شهراً يرسل خيله فتأتيه بشخص أو جماعة مكتفين ، فيتفنن في قتلهم ! « فأقام على البُزَّاخَة شهراً يُصَعِّدُ عنها ويُصَوِّبُ ، ويرجع إليها في طلب أولئك . فمنهم من أحرقه ، ومنهم من قَمَّطَه ورضخه بالحجارة ، ومنهم من رمى به من رؤس الجبال ». (الطبري:٢/ ٤٩١).

« عن ابن شهاب: فاقتتلوا يعني هم والمسلمون قتالاً شديداً ، وقتل المسلمون من العدو بشراً كثيراً. وأسروا منهم أسارى فأمر خالد بالحظيرة أن تبنى، ثم أوقد تحتها ناراً عظيمة فألقى الأسارى فيها ». (التمهيد:٥/ ٣١٥).

وقد اقتدى خالد في هذا العنف بأبي بكر ، فقد أحرق رجلين بالنار ، وأمر خالداً بالتحريق!

قال ابن كثير في النهايـة: ٦/ ٣٥٢: « وقد كان الصديق حرق الفجاءة بالبقيع في المدينة ، وكان سببه أنه قدم عليه فزعم أنه أسلم وسأل منه أن يجهز معه جيشاً يقاتل به أهل الردة ، فجهز معه جيشاً ، فلما سار جعل لا يمر بمسلم ولا مرتد إلا قتله وأخذ ماله ، فلما سمع الصديق بعث وراءه جيشاً فرده ، فلما أمكنه بعث به إلى البقيع ، فجمعت يداه إلى قفاه وألقي في النار فحرقه وهو مقموط »!

ومعنى قول ابن كثير: (فجهز معه جيشاً) أنه أعطاه بعيراً وسيفاً !

قال الطبري:٢/ ٤٩٢: « فحمله أبو بكر على ظهر وأعطاه سلاحاً» !

وفي فتح الباري:١٢/ ٢٤٣:«وفي رواية الطبراني..فأتى بحطب فألهب فيه النار فكتفه وطرحه فيها»! وفتوح البلدان للبلاذري:١/ ١١٧، والمسترشد/ ٥١٣.

وقال اليعقوبي في تاريخه (٢/ ١٣٤): « وحرق (أبو بكر) أيضاً رجلاً من بني أسد ، يقال له شجاع بن ورقاء ».

وفي فتح الباري:١٢/ ٢٤٣: « وفي رواية الطبراني..فأتى بحطب فألهب فيه النار فكتَّفه وطرحه فيها..ويؤخذ منه أن معاذاً وأبا موسى كان يريان جواز التعذيب بالنار ، وإحراق الميت بالنار مبالغة في إهانته ، وترهيباً عن الإقتداء به ». **انتهى.**

أقول: قد يُبرر عمل أبي بكر وخالد بأن الذين قتلاهم ومثَّلا بهم وأحرقاهم ، أو بعضهم على الأقل ، كانوا قد قَتَّلوا مسلمين بأمر طليحة .

لكن الحكم الشرعي هو القصاص على من ثبت عليه القتل، وقد نهى الإسلام عن التمثيل والتحريق مطلقاً !

ولم يذكروا عدد الذين قمَّطهم خالد وحرقهم في حرب طليحة ، لكنهم ذكروا أن عدد من قتلهم في حرب مسيلمة بعد توقيع الصلح: سبعة آلاف!

۞ ۞

الفصل الثالث:

عدي بن حاتم نبيلٌ في الجاهلية قائد في الإسلام !

١. أبوه حاتم الطائي، يضرب به المثل في الكرم عند العرب ، وفي العالم ،

وهو: «حاتم بن عبد الله، بن سعد، بن الحشرج، بن امرئ القيس، بن عدي، بن أخزم، بن ربيعة ، بن جرول، بن ثُعل ».(تاريخ اليعقوبي:١/ ٢٦٤).

قال في العقد الفريد:١/ ٨١: « أجود أهل الجاهلية الذين انتهى إليهم الجود في الجاهلية ثلاثة نفر: حاتم بن عبد الله بن سعد الطائي ، وهرم بن سنان المري ، وكعب بن مامة الإيادي . ولكن المضروب به المثل حاتم وحده ، وهو القائل لغلامه يسار ، وكان إذا اشتد البرد وكلُب الشتاء ، أمر غلامه فأوقد ناراً في يفاع من الأرض لينظر إليها من أضل الطريق ليلاً فيصمد نحوه ، فقال في ذلك:

أوقد فإن الليل ليل قَرّ والريح يا واقد ريحٌ صَرّ
عسى يرى نارك من يَمُرّ إن جلبتَ ضيفاً فأنت حُرّ

ومرَّ حاتم في سفره على عَنَزَة ، وفيهم أسير فاستغاث بحاتم ولم يحضره فكاكه فاشتراه من العنزيين وأطلقه،وأقام مكانه في القيد حتى أدى فداءه !

وقالوا: لم يكن حاتم ممسكاً شيئاً ما عدا فرسه وسلاحه ، فإنه كان لا يجود بهما . وقالت نوار امرأة حاتم: أصابتنا سنة اقشعرت لها الأرض واغبر أفق السماء ، وراحت الإبل حدباً حدابير ، وضنت المراضع على أولادها فما تبض بقطرة ، وحلقت ألسنة المال وأيقنا بالهلاك .

فوالله إنا لفي ليلة صنبر ، بعيدة ما بين الطرفين ، إذا تضاغى صبيتنا جوعاً، عبد الله وعدي وسفانة ، فقام حاتم إلى الصبيين ، وقمت أنا إلى الصبية ، فوالله ما سكتوا إلا بعد هدأة من الليل ، وأقبل يعللني بالحديث ، فعرفت ما يريد فتناومت ، فلما تهورت النجوم ، إذا شئ قد رفع كسر البيت ثم عاد فقال: من هذا ؟ قالت: لاعليك يا أبا عدي . فقال: أعجليهم فقد أشبعك الله وإياهم .

فأقبلت المرأة تحمل اثنين ويمشي جانبها أربعة كأنها نعامة حولها رئالها. فقام إلى فرسه فوجأ لبته بمدية فخرَّ، ثم كشطه عن جلده ودفع المدية إلى المرأة فقال لها: شأنك . فاجتمعنا على اللحم نشوي بالنار ، ثم جعل يمشي في الحي يأتيهم بيتاً بيتاً فيقول: هُبُّوا أيها القوم عليكم بالنار، فاجتمعوا . والتفع في ثوبه ناحية ينظر إلينا، فلاوالله إن ذاق منه مُزعة وإنه لأحوج إليه منا! فأصبحنا وما على الأرض من الفرس إلا عظم وحافر فأنشأ يقول:

مهلاً نوار أقلي اللومَ والعَذَلا ... ولا تقولي لشئ فاتَ ما فعلا

ولا تقولي لمالٍ كنت مُهلكه ... مهلاً وإن كنت أعطي الإنس والخَبَلا

يرى البخيل سبيل المال واحدةً　　إن الجواد يرى في ماله سُبُلا

ولحاتم بن عبد الله أيضاً:

أمَاوِيُّ قد طال التجنب والهجرُ　　وقد عذرتنا عن طِلابِكُمُ العذرُ
أماويُّ إن المال غاد ورائح　　ويبقى من المال الأحاديث والذكر
أماويُّ إما مانع فمبين　　وإما عطاء لا ينهنهه الزجر
أماويُّ إني لا أقول لسائل　　إذا جاء يوماً: حل في مالي النذر
أماويُّ ما يغني الثراء عن الفتى　　إذا حشرجت يوماً وضاق بها الصدر
أماويُّ إن يصبح صداي بقفرة　　من الأرض لا ماء لدي ولا خمر
تريْ أن ما أنفقت لم يك ضرني　　وأن يدي مما بخلت به صفر
إذا أنا دلاني الذين يلونني　　بمظلمة لج جوانبها غبر
وراحوا سراعاً ينفضون أكفهم　　يقولون قد أدمى أظافرنا الحفر
أماويُّ إن المال مال بذلته　　فأوله سكر وآخره ذكر
وقد يعلم الأقوام لو أن حاتماً　　أراد ثراء المال كان له وفر
فإن وجدي رب واحد أمه　　أجرت فلا قتل عليه ولا أسر
ولا أظلم بن العم إن كان إخوتي　　شهوداً وقد أودى بإخوته الدهر
غنينا زماناً بالتصعلك والغنى　　وكلاً سقاناه بكاسيهما الدهر
فما زادنا بأواً على ذي قرابة　　غنانا ولا أزرى بأحلامنا الفقر...

وكان سنان أبو هرم سيد غطفان..وفي بني سنان يقول زهير:

قومٌ أبوهم سنانٌ حين تنسبهم　　طابوا وطاب من الأولاد ما ولدوا
لو كان يَقعدُ فوق الشمس من كرم　　قومٌ بأولهم أو مجدهم قعدوا
جنٌّ إذا فزعوا إنسٌ إذا أَمِنوا　　مُرَزَّؤونَ بهاليلٌ إذا قصدوا

مُحَسَّدُون على ما كان من نعم … لا ينزع الله منهم ما له حُسدوا ».

وفي ربيع الأبرار للزمخشري:١/ ٣٧٩: «أغار قوم على طيئ فركب حاتم فرسه وأخذ رمحه ونادى عشيرته ، ولقي القوم فهزمهم وتبعهم . فقال رئيسهم: يا حاتم هب لي رمحك ، فرمى به إليه فاستمر الرجل ولم ينعطف . فقيل لحاتم: عرضت قومك للإستئصال ، لو عطف عليك وأنت الرأس ! فقال: قد علمتُ أنه التلف ، ولكن ما جواب من يقول: هب لي » ؟!

أقول: إن نبل حاتم وعفته يعادل في المناقبية كرمه وسخاءه ، فقد قال:

« ناري ونارُ الجار واحدةٌ … وإليه قبلي تنزل القدرُ

ما ضرَّ جاراً لي أجاوره … أن لا يكون لبابه سترُ

أغضي إذا ما جارتي برزت … حتى يواري جارتي الخدر».

(تاريخ دمشق:١٨/ ٥٩، وخزانة الأدب:٩/ ٩٦).

٢. كان عَدِيٌّ أبو طريف أكبر أبناء حاتم وأبرزهم ، فورث مكانة أبيه .

«كان يكنى أبا طريف ، وكان طويلاً إذا ركب الفرس كادت رجلاه تخطَّ في الأرض».(المعارف ابن قتيبة/ ٣١٣). **وفي الدرجات الرفيعة في طبقات الشيعة/ ٣٥٥:**

«كان يفتُّ الخبز للنمل ويقول: إنهن جارات! وفيه يقول الشاعر رؤبة:

بأبه اقْتَدَى عَدِيٌّ في الكَرَم … ومن يُشَابِهْ أَبَه فَمَا ظَلَم

(معجم القواعد العربية/ ٤٧).

وقد أسلم على أثر سرية أرسلها النبيﷺ الى طيئ بقيادة عليعليه السلام لمنع تحويل طئ الى قاعدة للروم ، لما أراد هرقل أن يغزو المدينة وأخذ يحضِّر لغزو المدينة والجزيرة ، وكان اعتماد هرقل على ملك الغساسنة في الشام ، وعلى الأكيدر الكندي ملك دومة الجندل في مدخل الجزيرة ، كما عمل على تحويل قبيلة طئ الى قاعدة مساندة لحملتهم ، وقد استجاب لدعوتهم عدي بن حاتم واعتنق المسيحية ، وكان يقضي وقتاً من سنته في الشام !

« قدم على النبيﷺ من الشام ودعاه إلى الإسلام فقال: إني نصراني ركوسي. فقال إنك لا دين لك ، إنك تصنع ما لايصلح لك في ركوسيتك ، فأبصر وأسلم ». (تاريخ دمشق:٤٠/ ٧٨).

وفي الفايق للزمخشري:٢/ ٦: «إنك تأكل المرباع وهو لا يحل لك.. المرباع الربع ومثله المعشار، وكان يأخذه الرئيس مع المغنم في الجاهلية . الركوسية قوم بين النصارى والصابئين ». «والرِّكس بالكسر: الجسر».(لسان العرب: ٦/ ١٠١).

فقد اختار عدي بن حاتم المسيحية الشرقية التي فيها أفكار من الصابئة ، ولا بد أن مذهبه أخذ ينتشر في قبيلته ، الذين كانوا وثنيين يعبدون صنمهم الفُلس ، وله عندهم معبد مشهور ، وقد أهدى الحارث بن شمر ملك الغساسنة هدية لصنم طئ ، فيها سيوف ، مع أنه مسيحي على دين قيصر !

لذلك رأى النبي صلى الله عليه وآله أن يقلم أظافر قيصر من الجزيرة ، قبل غـزوة تبـوك ! فأرسل علياً عليه السلام في سرية الى قبيلة طئ .

قال في الصحيح من السيرة: ٢٦/ ٣٣٥ ، ملخصـاً: «في شهر ربيع الآخر من سـنة تسع بعث رسول الله صلى الله عليه وآله علي بن أبي طالـب عليه السلام في خمسين ومائـة رجـل أو مائتين من الأنصار ، كما ذكره ابن سعد ، على مائـة بعـير وخمسـين فرسـاً ، ومعه راية سوداء ولـواء أبـيض ، إلى الفُلْـس وهـو صـنم لطـئ ليهدمـه ، فوجدوا عيناً لطئ على بعد ليلة ، فأخذوه معهم وشنوا الغارة على محلـة آل حاتم مع الفجر، فهدموا الفُلس وخربوه ، ووجد في خزانته ثلاثة أسياف: رسوب والمخذم ، وكان الحارث بن أبي شـمر ملـك الشـام قلـده إياهمـا ، وسيف يقال له: اليماني ، وثلاثة أدرع . وأخذوا من نعمهم وسـبوا مـنهم، وكان في السبي سفانة أخت عدي بن حاتم ، وهرب عدي إلى الشام ، فلـما نزلوا رَكَك اقتسموا الغنائم وعزلوا للنبي صلى الله عليه وآله السيوف والخُمس، ولم يَقْسِم آل حاتم حتى قدم بهم المدينة .

وكانت أخت عدي إذا مرَّ النبـي صلى الله عليه وآله تقـول: يـا رسـول الله هلـك الوالـد وغاب الوافد ، فامنن علينا منَّ الله عليك ، فسألها: مـن وافـدك ؟ فتقـول: عديٌّ بن حاتم. فيقول: الفار من الله ورسوله؟ فلما كان يوم الرابع مرَّ النبي فلم تتكلم فأشار إليها رجل قومي فكلميه ، فكلمته أن يمـن عليهـا فمـن عليها فأسلمت . وسألت عن الرجل الذي أشار إليها ، فقيـل: علـيٌّ وهـو

الذي سباكم أما تعرفينه ؟ فقالت: لا والله ما زلت مُدْنِيَةً طرف ثوبي على وجهي ، وطرف ردائي على بُرقعي من يوم أُسرت حتى دخلتُ هذه الدار، ولا رأيت وجهه ولا وجه أحد من أصحابه .

وفي نص آخر قالت: يا محمد أرأيت أن تخلي عنا ولاتشمت بنا أحياء العرب؟ فإني ابنة سيد قومي ، وإن أبي كان يحمي الذمار ، ويفك العاني ، ويشبع الجائع ، ويكسو العاري ، ويقري الضيف ، ويطعم الطعام ، ويفشي السلام ، ولم يرد طالب حاجة قط ! أنا ابنة حاتم طئ .

فقال لها النبي ﷺ: يا جارية ، هذه صفة المؤمنين حقاً ، ولو كان أبوك مسلماً لترحمنا عليه ، خلوا عنها فإن أباها كان يحب مكارم الأخلاق . قالت: وكساني رسول الله ﷺ وحملني وأعطاني نفقة ، فخرجت حتى قدمت على أخي.. قال عدي: فوالله إني لقاعد في أهلي ، إذ نظرت إلى ظعينة تصوب إليَّ تؤمنا . قال: فقلت: ابنة حاتم فإذا هي هي! فلما وقفت عليَّ قالت: أنت القاطع الظالم ، ارتحلت بأهلك وولدك ، وتركت بقية والدك: أختك وعورتك؟! قال قلت: ياخية ، لا تقولي إلا خيراً ، فوالله ما لي من عذر ، ولقد صنعت ما ذكرت! قال: ثم نزلت فأقامت عندي ، فقلت لها وكانت امرأة حازمة: ماذا ترين في أمر هذا الرجل؟ قالت: أرى والله أن نلحق به سريعاً ، فإن يكن الرجل نبياً فللسابق إليه فضله ، وإن يكن ملكاً فلن نذل في عز اليمن ، وأنت أنت . قال قلت: والله إن هذا الرأي .

قال: فخرجت حتى قدمت على رسول الله صلى الله عليه وآله المدينة ، فدخلت عليه وهو في مسجده وعنده امرأة وصبيان ، فعرفت أنه ليس بمُلك كسرى ولا قيصر فسلمت عليه فقال: مَن الرجل؟! قال قلتُ: عدي بن حاتم . فرحب به النبي وقربه وأخذه الى بيته ، فلقيته امرأة كبيرة ضعيفة فاستوقفته ، فوقف لها طويلاً تكلمه في حاجتها . قال عدي: قلت في نفسي والله ما هذا بمَلِك . قال: ثم مضى حتى إذا دخل بيته تناول وسادة من أدم محشوة ليفاً فقدمها إلي ، فقال: أجلس على هذه . قلت: بل أنت فاجلس. فقال: بل أنت فاجلس عليها. فجلست عليها وجلس رسول الله صلى الله عليه وآله على الأرض .

فقلت في نفسي: ما هذا بأمر ملك ! فدخل الإسلام في قلبي وأحببت رسول الله صلى الله عليه وآله حباً لم أحبه شيئاً قط ! قال: ثم أقبل عليَّ فقال: هيه يا عدي بن حاتم ، أفررت أن توحد الله ، وهل من أحدٌ غير الله ؟هيه يا عدي بن حاتم ، أفررت أن تكبر الله ومن أكبر من الله ؟ هيه يا عدي بن حاتم ، أفررت أن تعظم الله ومن أعظم من الله؟ هيه يا عدي بن حاتم أفررت أن تشهد أن لا إله إلا الله ، وهل من إله غير الله؟ هيه يا عدي بن حاتم أفررت أن تشهد أن محمداً رسول الله؟!

قال: فجعل رسول الله صلى الله عليه وآله يقول نحو هذا وأنا أبكي. قال: ثم أسلمت .

قال: فلعلك إنما يمنعك من الدخول فيه أنك ترى الملك والسلطان في غيرهم! والله لتفتحن عليهم كنوز كسرى بن هرمز . قلت: كنوز كسرى بن هرمز؟! قال: كنوز كسرى بن هرمز !

قال عدي: فأسلمت ، فرأيت وجه رسول الله ﷺ قد استبشر !

قال عدي: وكنت فيمن افتتح كنوز كسرى بن هرمز ، ولئن طالت بكم حياة سترون ما قال أبو القاسم ﷺ » .

٣. رجع عدي الى بلاده مسلماً ، ثم رجع الى النبي ﷺ بوفد من زعماء طيئ

، وكانوا خمسة عشر رجلاً ، فيهم زيد الخيل بن مهلهل من بني نبهان ، وزرُّ بن جابر بن سدوس ، وقبيصة بن الأسود بن عامر، ومالك بن عبد الله بن خيبري من بني معن ، وقعين بن خليف من جديلة ، ورجل من بني بولان . فعرض عليهم الإسلام فأسلموا وحسن إسلامهم ، وأجازهم بخمس أواق فضة كل رجل منهم وأعطى زيد الخيل اثنتي عشرة أوقية ، وقطع له فيد وأرضين . (بحار الأنوار:٢١/ ٣٦٥).

وفي تاريخ دمشق:٢٥/ ١٦٤: « وكان عماله على طيئ عدي على النصف من ثعل ، وعلى النصف الآخر زيد الخيل بن مهلهل ، وعلى النصف من جديلة طيئ ثمامة، وعلى النصف الآخر الحارث بن فلان الفرادحي».

وكان عَدِي أيام وفاة النبيﷺ في المدينة ، وقد شهد بعض أحداث السقيفة ، ومما قاله: « ما رحمت من خلق الله أحداً كرحمتي عليّ بن أبي طالب، رأيته حين أُتيَ به إلى بيعة أبي بكر فلما نظر إلى القبر قال: ابْنَ أُمَّ إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضْعَفُونِي وَكَادُواْ يَقْتُلُونَنِي! فقالوا: بايع . قال: فَإن لم أَفعل؟قالوا: نقتلك! قال:تقتلون إذاً عبدَ الله وأخا رسول الله! فمسح القوم على يده وأصابعه مضمومة ، ولم يستطيعوا بسطها». (الشافي:٣/ ٢٤٤).

وفي العقد النضيد/ ١٦١، عن تميم بن بجدل قال: « ولقد سمعته بصفين يخطب الناس فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أيّها الناس إمضوا على بصيرتكم ، وقاتلوا على نوركم ، واعلموا أنّكم لن تقاتلوا تحت راية أهدى من هذه الراية ، ولا قوماً أضل من أهل الشام ، ألا تحبون أن تلقوا الله ورسولهﷺ غداً وهما عنكم راضيان؟! تقاتلون مع ابن عم رسول الله ووصيه وخليفته على أُمته . والله لقد رأيتنا نسلم عليه بالخلافة في حياة رسول الله ، فماذا في قتال معاوية وأصحابه؟ وإنما هم أشباه البهائم أتى بهم معاوية ليوردهم النار ويشعرهم العار! وإن فاطمةعليها السلام كانت تنادي عمر: يا ابن السوداء ، والله لولا أن يصيب البلاء من لا ذنب له ، لدعوت الله أن يطبق عليكم أحشاء مكة والمدينة ، ولوجدت الله سريع الإجابة !

فقال الناس: فلا جزيتم عنا خيراً يا أصحاب محمد ، إنكم شهدتم وغبنا ، فهلا أعلمتمونا؟! قال: وبَدَرَ الناس إلى عدي بن حاتم ، فخشي أن يتفرَّق

الناس عن عليٍّ عليه السلام فأمسك..فقيل له:هل قلت يوم بيعة أبي بكر شعراً ؟ قال: نعم ، وأنشد شعراً:

أبا حسن صبراً وفي الصبر عصمةٌ وفيه نجاة المرء في السرِّ والجهر

ألم تر أنّ الصبر أحجى بذي الحِجى وأن ابتدار الأمر شين على الأمر

وقد لقي الأخيار قبلك ما لقوا وأُودَوا عباد الله في سالف الدهر ».

أقول: يقصد الراوي أنه عندما تحدث عدي بن حاتم عما جرى بعد وفاة النبي صلى الله عليه وآله وذكر كلام الزهراء عليها السلام لعمر بن الخطاب ، أظهر الناس انتقادهم للصحابة لماذا لم ينقلوا اليهم الحقيقة ، وبَدَرَ اليه الناس أي ركضوا ليسمعوا منه ، فأمسك وسكت خوفاً من عدم تحمل الناس انتقاد أبي بكر وعمر ، فيتفرقون عن أمير المؤمنين عليه السلام .

وينبغي الإلتفات الى أن قريشاً رفعت شعار أن الخلافة أمرٌ يخص قريشاً وحدها ولا يجوز لأحد أن يتدخل فيها حتى بكلمة ، وكانت تقف بشدة وتقمع أي كلام عن وصية النبي صلى الله عليه وآله لعلي والحسنين والعترة عليهم السلام ، وعن أحداث السقيفة وهجومهم على بيت علي والزهراء عليهما السلام ، وإجبارهم إياهم على بيعة أبي بكر .

فمهما كانت مكانة الأنصار ومكانة عدي بن حاتم الطائي ، ومالك بن نويرة التميمي، وأمثالهم ، فلا حق لهم عند قريش أن يقولوا كلمة واحدة عن الخلافة !

٤ . وثبت عدي على الإسلام بعد وفاة النبي صلى الله عليه وآله ونشط في نصح قبيلته ، وكان له أكبر الأثر في إحباط موجة طليحة الأسدي ، فأقنع طيئاً وبجيلة بترك طليحة ، والثبات على الإسلام،والإنضمام الى خالد في حرب طليحة.

قال ابن حجر في الإصابة:٤/ ٣٨٨: «وثبت على إسلامه في الردة ، وأحضر صدقة قومه إلى أبي بكر، وشهد فتح العراق ، ثم سكن الكوفة ، وشهد صفين مع علي ، ومات بعد الستين وقد أسن ، قال خليفة: بلغ عشرين ومائة سنة...قال..ما أقيمت الصلاة منذ أسلمت إلا وأنا على وضوء ».

وفي تهذيب التهذيب:٧/ ١٥١ : «الشعبي، عن عدي بن حاتم: أتيت عمر بن الخطاب في أناس من قومي، فجعل يفرض للرجل من طئ في ألفين ، ويعرض عني ، فاستقبلته فقلت: يا أمير المؤمنين أتعرفني؟ قال فضحك حتى استلقى لقفاه ، وقال: نعم والله إني لأعرفك: آمنت إذ كفروا، وعرفت إذا أنكروا ووفيت إذ غدروا ، وأقبلت إذ أدبروا . وإن أول صدقة بيضت وجه رسول الله ووجوه أصحابه صدقة طئ ، جئتَ بها إلى رسول الله صلى الله عليه وآله ، ثم أخذ يعتذر..

وحضر فتح المدائن ، وشهد مع علي الجمل ، وصفين ، والنهروان ».

٥. ثم سار عَدِيٌّ بمقاتلي قبيلته مع خالد الى اليمامة لحرب مسيلمة الكذاب وكان دورهم مهماً في هزيمته: «وقدم عدى بن حاتم بألف رجل من طيء ، حتى أتى اليمامة ».(مجمع الزوائد:٦/ ٢٢٠، ومسند أبي يعلى:١٣/ ١٤٦).

٦.وبعد حرب اليمامة سار عدي بن حاتم مع خالد وشارك في فتح العراق

ففي تاريخ الطبري:٢/ ٥٥٤: «فرَّق خالد مخرجه من اليمامة إلى العراق جنده ثلاث فرق ، ولم يحملهم على طريق واحد ، فسرح المثنى قبله بيومين ودليله ظفر . وسرح عدى بن حاتم وعاصم بن عمرو ودليلاهما مالك بن عباد وسالم بن نصر ، أحدهما قبل صاحبه بيوم . وخرج خالد ودليله رافع. فواعدهم جميعاً الحفير ليجتمعوا به وليصادموا به عدوهم).

٧. وشارك عدي وقبيلته في معركة الجسر في العراق ، بعد ذهاب خالد ،

ففي السنة التي كان فيها خالد في العراق ، لم تكن أي معركة ، وبعد ذهابه الى الشام كانت معركة بابل بقيادة المثنى ومعركة النمارق والجسر بقيادة أبي عبيد الثقفي ، وشارك فيها عدي وكان قائد الميسرة . ثم كان قائداً مع المثنى ومع هاشم المرقال في عمليات في فتح العراق . (الأخبار الطوال/ ١١٥).

وذكر ابن الأثير في الكامل:٦/ ٣٨٦، مبارزته لأحد أبطال الفرس ، قال: «واقتتلوا فبرز قارن فقتله معقل بن الأعشى بن النباش، وقتل عاصم أنوشجان ، وقتل عدي بن حاتم قباذ ».

ووصف الطبري:٢/ ٣١٩، مشاركته في فتح الحيرة وأنه قال: « إني لما سمعت رسول الله ﷺ يذكر ما رُفِعَ له من البلدان ، فذكر الحيرة فيما رفع له ، وكأن شُرَف قصورها أضراس الكلاب ، عرفتُ أنه قد أُرِيَها ، وأنها ستفتح ».

وذكرالطبري(٢/ ٣٢٧) أن عدي بن حاتم أغار على أهل المصيخ ، وكانوا مع الروم ، واسم رئيسهم حرقوص بن النعمان من النمر .

ثم جاء عدي بقواته الى المثنى وسعد قبل القادسية، **قال الطبري:٣/ ٧:** «وكان المثنى في ثمانية آلاف من ربيعة..وألفان من من قضاعة وطيئ ، ممن انتخبوا إلى ما كان قبل ذلك ، وعلى طيئ عدي بن حاتم ».

٨. واصل عدي جهاده بقبيلته في فتح العراق ، فكان من قادة القادسية ،

ففي الإصابة (٥/ ٦٦): «لما أراد عائذ بن قيس الجرمزي أن يأخذ الراية من عدي بن حاتم (بصفين) قام عبد الله بن خليفة فقال: أليس كان عدي وافدكم إلى رسول الله ﷺ ، ورأسكم بالقادسية » ؟

وفي الإصابة: ٤/ ٣٨٩ ، أنه كان في أول خيل غارت على المدائن ، قال: « وقال لي رسول الله ﷺ : يا عدي أسلم تسلم. قلت: إن لي ديناً ، قال: أنا أعلم بدينك منك.. قد أظن أنه إنما يمنعك غضاضة تراها فيمن حولي ، وأنك ترى الناس علينا إلباً واحداً . قال: هل أتيت الحيرة ؟ قلت: لم آتها وقد علمت مكانها . قال: يوشك أن تخرج الظعينة منها بغير جوار حتى تطوف

بالبيت ، ولتفتحن علينا كنوز كسرى بن هرمز . فقلت: كسرى بن هرمز؟ قال: نعم ، وليفيضن المال حتى يهم الرجل من يقبل صدقته . قال عدي: فرأيت اثنتين: الظعينة ، وكنت في أول خيل غارت على كنوز كسرى . وأحلف بالله لتجيئن الثالثة ».

٩. كما شارك عدي في فتح مصر، وكان معه ابنه حاتم ، وأسس فيها قرية،

ففي فتوح الشام للواقدي:١ / ٦٤، «ونزل عدي بأصحابه بالقرية المعروفة ببني عدي ، ثم سار وترك ابنه حاتماً وإخوته وأحاطوا بالقرية . وسار قيس وأصحابه حتى وصلوا إلى القرية المعروفة بنوس».

وقرية بني عدي من أعمال منفلوط بمصر. (الأعلام:٦/ ٩٦).

وفي فتوح الشام:٢/ ٢٥٧: «واستدعى خالد بِعَدِيّ بن حاتم الطائي ، وأضاف اليه ميمون بن مهران وضم اليه ألف فارس ، وأمرهم أن ينازلوا أول بلاد البطليموس وينازلوا أهل الكورة ، وإذا وصل إلى قيس بن الحرث يأمره بالمسير إلى قريب البهنسا ، ويقاتل من يقاتله ويسالم من يسالمه ويصالح من يصالحه ، حتى يأتيه المدد ».

١٠. وكان عدي رَحِمَهُ اللهُ من المعترضين على عثمان ، واتهموه بالمشاركة في قتله

فقد كتب عدي الى عثمان مع الشخصيات الذين كتبوا له يشكون والي الكوفة ، وهو الوليد أخ عثمان من الرضاعة لأنه كان متهتكاً ظالماً .

قال اليعقوبي: (٢ / ١٦٥):« وأخذ الوليد أبا سنان فضربه مائتي سوط فوثب عليه جرير بن عبد الله ، وعدي بن حاتم ، وحذيفة بن اليمان ، والأشعث بن قيس ، وكتبوا إلى عثمان مع رسلهم ، فعزله وولى سعيد بن العاص مكانه ».

وذكر الجاحظ في العثمانية/ ١٢٦، شعراً لطريف بن عدي ، في ذم عثمان .

وفي شرح نهج البلاغة لميثم:٤/ ٣٦٩: «روى أن أبا هريرة وأبا الدرداء أتيا معاوية فقالا له: علام تقاتل علياً وهو أحقّ بالأمر منك لفضله وسابقته؟ فقال: لست أقاتله لأني أفضل منه ، ولكن ليدفع إليّ قتلة عثمان .

فخرجا من عنده وأتيا علياً فقالا له: إن معاوية يزعم أن قتلة عثمان عندك وفي عسكرك فادفعهم إليه ، فإن قاتلك بعدها علمنا أنه ظالم لك .

فقال عليٌّ: إنّي لم أحضر قتل عثمان يوم قتل ولكن هل تعرفان من قتله فقالا: بلغنا أن محمد بن أبي بكر ، وعمار ، والأشتر ، وعدّي بن حاتم ، وعمرو بن الحمق ، وفلاناً وفلاناً ممّن دخل عليه .

فقال عليّ: فامضيا إليهم فخذوهم . فأقبلا إلى هؤلاء النفر وقالا لهم: أنتم من قتلة عثمان ، وقد أمر أمير المؤمنين بأخذكم .

قال: فوقعت الصيحة في العسكر بهذا الخبر ، فوثب من عسكر عليّ أكثر من عشرة آلاف رجل في أيديهم السيوف ، وهم يقولون: كلُّنا قتلته .

فبهت أبو هريرة وأبو الدرداء ، ثم رجعا إلى معاوية وهما يقولان: لا يتمُّ هذا الأمر أبداً ».

وفي الأخبار الطوال/ ١٤٩ : «فلما رأى علي شدة صبر أهل البصرة جمع إليه حماة أصحابه فقال: إن هؤلاء القوم قد محكوا فاصدقوهم القتال ، فخرج الأشتر ، وعدي بن حاتم ، وعمرو بن الحمق ، وعمار بن ياسر ، في عددهم من أصحابهم ، فقال عمرو بن يثربي لقومه ، وكانوا في ميمنة أهل البصرة: إن هؤلاء القوم الذين قد برزوا إليكم من أهل العراق ، هم قتلة عثمان فعليكم بهم »!

١١ . وكان يحدث بمناقب علي عليه السلام ، ومكانته العليا في الإسلام ، فقد روى كبار الصحابة ومنهم عدي أن النبي صلى الله عليه وآله جعل حبه علامة الإيمان وبغضه علامة النفاق ، قالوا: «ماكنا نعرف المنافقين على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله إلا ببغض علي بن أبي طالب»(البخاري وفقه أهل العراق/ ٢٥) .

كما شهد عدي بحديث الغدير عندما ناشد عليٌّ عليه السلام الصحابة الذين حضروه أن يشهدوا بما سمعوا . (الغدير:١/ ٥٤).

١٢ . وكان عدي في المدينة عندما خرجت عائشة وطلحة والزبير ، على علي عليه السلام ، فبادر الى طيئ يستنفرهم لنصرة الإمام عليه السلام في البصرة .

قال ابن قتيبة في الإمامة والسياسة:١/ ٥٥: « ذكروا أن ابن حاتم قام إلى علي عليه السلام فقال: يا أمير المؤمنين ، لو تقدمت إلى قومي أخبرهم بمسيرك وأستنفرهم ، فإن لك من طيئ مثل الذي معك . فقال علي: نعم فافعل ، فتقدم عدي إلى قومه فاجتمعت إليه رؤساء طيئ فقال لهم: يا معشر طيئ ، إنكم أمسكتم عن حرب رسول الله صلى الله عليه وآله في الشرك ، ونصرتم الله ورسوله في الإسلام على الردة ، وعلي قادم عليكم وقد ضمنت له مثل عدة من معه منكم ، فخفوا معه ، وقد كنتم تقاتلون في الجاهلية على الدنيا فقاتلوا في الإسلام على الآخرة ، فإن أردتم الدنيا فعند الله مغانم كثيرة وأنا أدعوكم إلى الدنيا والآخرة ، وقد ضمنت عنكم الوفاء وباهيت بكم الناس ، فأجيبوا قولي فإنكم أعز العرب داراً ، لكم فضل معاشكم وخيلكم ، فاجعلوا أفضل المعاش للعيال وفضول الخيل للجهاد . وقد أظلكم علي والناس معه من المهاجرين والبدريين والأنصار، فكونوا أكثرهم عدداً ، فإن هذا سبيل للحي فيه الغنى والسرور ، وللقتيل فيه الحياة والرزق ، فصاحت طيئ: نعم نعم ، حتى كاد أن يصم من صياحهم ».

وروى المفيد في الأمالي/ ٢٩٥: «لما توجه أمير المؤمنين عليه السلام من المدينة إلى الناكثين بالبصرة نزل الربذة ، فلما ارتحل منها لقيه عبد الله بن خليفة الطائي وقد نزل بمنزل يقال له قديد ، فقربه أمير المؤمنين عليه السلام فقال له عبد الله: الحمد لله الذي رزد الحق إلى أهله ، ووضعه في موضعه ، كره ذلك قوم أو

سروا به ، فقد والله كرهوا محمداًﷺ ونابذوه وقاتلوه ، فرد الله كيدهم في نحورهم ، وجعل دائرة السوء عليهم . ووالله لنجاهدن معك في كل موطن حفظاً لرسولﷺ . فرحب به أمير المؤمنينعليه السلام وأجلسه إلى جنبه وكان له حبيباً ووليًا ، وأخذ يسائله عن الناس ، إلى أن سأله عن أبي موسى الأشعري ، فقال: والله ما أنا أثق به ، ولا آمن عليك خلافه إن وجد مساعداً على ذلك . فقال له أمير المؤمنينعليه السلام: والله ما كان عندي مؤتمناً ولا ناصحاً ، ولقد كان الذين تقدموني استولوا على مودته ، وولوه وسلطوه بالإمرة على الناس ، ولقد أردت عزله ، فسألني الأشتر فيه أن أقره فأقررته على كره مني له ، وتحملت على صرفه من بعد .

قال: فهو مع عبد الله في هذا ونحوه ، إذ أقبل سواد كبير من قبل جبال طيئ ، فقال أمير المؤمنينعليه السلام: أنظروا ما هذا ؟ فذهبت الخيل تركض فلم تلبث أن رجعت فقيل: هذه طيئ قد جاءتك ، تسوق الغنم والإبل والخيل فمنهم من جاءك بهداياه وكرامته، ومنهم من يريد النفور معك إلى عدوك .

فقال أمير المؤمنينعليه السلام: جزى الله طيئاً خيراً: **وَفَضَّلَ اللهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا** ، فلما انتهوا إليه سلموا عليه .

قال عبد الله بن خليفة: فسرني والله ما رأيت من جماعتهم وحسن هيئتهم ، وتكلموا فأقروا والله عيني ، ما رأيت خطيباً أبلغ من خطيبهم ، قام عدي بن حاتم الطائي فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أما بعد فإني كنت أسلمت

على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وأديت الزكاة على عهده ، وقاتلت أهل الردة من بعده . أردت بذلك ما عند الله ، وعلى الله ثواب من أحسن واتقى .

وقد بلغنا أن رجالاً من أهل مكة نكثوا بيعتك وخالفوا عليك ظالمين ، فأتيناك لننصرك بالحق ، فنحن بين يديك فمرنا بما أحببت ، ثم أنشأ يقول:

ونحن نصرنا الله من قبل ذاكم ... وأنت بحق جئتنا فستنصرُ

سنكفيك دون الناس طراً بأسرنا ... وأنت به من سائر الناس أجدرُ

فقال أمير المؤمنين عليه السلام : جزاكم الله من حي عن الإسلام وأهله خيراً ، فقد أسلمتم طائعين ، وقاتلتم المرتدين ، ونويتم نصر المسلمين .

وقام سعيد بن عبيد البحتري من بني بحتر (بطن من طيئ) فقال: يا أمير المؤمنين إن من الناس من يقدر أن يعبر بلسانه عما في قلبه ، ومنهم من لا يقدر أن يبين ما يجده في نفسه بلسانه ، فإن تكلف ذلك شق عليه ، وإن سكت عما في قلبه برح به الهم والبرم . وإني والله ما كل ما في نفسي أقدر أن أؤديه إليك بلساني،ولكن والله لأجهدن على أن أبين لك والله ولي التوفيق. أما أنا فإني ناصح لك في السر والعلانية ، ومقاتل معك الأعداء في كل موطن، وأرى لك من الحق ما لم أكن أراه لمن كان قبلك ، ولا لأحد اليوم من أهل زمانك ، لفضيلتك في الإسلام وقرابتك من الرسول صلى الله عليه وآله. ولن أفارقك أبداً حتى تظفر أو أموت بين يديك .

فقال له أمير المؤمنين عليه السلام: يرحمك الله ، فقد أدى لسانك ما يجن ضميرك لنا ، ونسأل الله أن يرزقك العافية ، ويثيبك الجنة .

وتكلم نفر منهم ، فما حفظت غير كلام هذين الرجلين ، ثم ارتحل أمير المؤمنين عليه السلام: فأتبعه منهم ست مائة رجل حتى نزل ذا قار ، فنزلها في ألف وثلاث مائة رجل ».

وقال ابن قتيبة في المعارف(١/ ٥٦): « أقبل شيخ من طيئ قد هرم من الكبر فرفع له من حاجبيه ، فنظر إلى علي فقال له: أنت ابن أبي طالب ؟ قال: نعم. قال: مرحباً بك وأهلاً ، قد جعلناك بيننا وبين الله وعدياً بيننا وبينك ، ونحن بينه وبين الناس . لو أتيتنا غير مبايعين لك لنصرناك ، لقرابتك من رسول الله صلى الله عليه وآله وأيامك الصالحة ، ولئن كان ما يقال فيك من الخير حقاً إن في أمرك وأمر قريش لعجباً إذ أخرجوك وقدموا غيرك ! سر ، فوالله لايتخلف عنك من طيئ إلا عبد أو دعي ، إلا بإذنك . فشخص معه من طيئ ثلاثة «عشر» آلاف راكباً ».

أقول: لايصح أن يكون عدد المشاركين من طيئ في حرب الجمل كما في الرواية ثلاثة عشر ألفاً ، فمعدل مقاتلي طيئ وجديلة في الحروب ثلاثة آلاف،وكان جيش علي عليه السلام في حرب الجمل كله عشرة آلاف أو يزيد قليلاً.

فرواية أمالي المفيد بأنهم ست مئة هي المعتمدة . نعم لوضممنا اليهم بني طيئ الذين جاؤوا من الكوفة ، أمكن أن يصل عددهم الى ثلاثة آلاف .

١٣ .وكان لعدي بن حاتم وبنيه وقبيلته مواقف مشهورة في حرب الجمل،

ففي مناقب آل أبي طالب:٢/ ٣٣٩: «زحف علي بالناس غداة يوم الجمعة لعشر ليال خلون من جمادي الآخرة سنة ست وثلاثين، وعلى ميمنته الأشتر وسعيد بن قيس ، وعلى ميسرته عمار وشريح بن هاني ، وعلى القلب محمد بن أبي بكر وعدي بن حاتم ، وعلى الجناح زياد بن كعب وحجر بن عدي، وعلى الكمين عمرو بن الحمق وجندب بن زهير، وعلى الرجالة أبو قتادة الأنصاري . وأعطى رايته محمد بن الحنفية ثم أوقفهم من صلاة الغداة إلى صلاة الظهر يدعوهم ويناشدهم ، ويقول لعائشة: إن الله أمرك أن تقري في بيتك فاتقي الله وارجعي ، ويقول لطلحة والزبير خبأتما نساءكما وأبرزتما زوجة رسول الله ﷺ واستنفرتماها ! فيقولان: إنما جئنا للطلب بدم عثمان وأن يرد الأمر شورى . وأُلبست عائشة درعاً ، وضربت على هودجها صفايح الحديد ، وأُلبس الهودج درعاً »!

وروى الطبري(٣/ ٥٢٩) عن الأشتر قال: «رأيت عبد الله بن حكيم بن حزام ومعه راية قريش وعدى بن حاتم الطائي ، وهما يتصاولان كالفحلين ، فتعاورناه فقتلناه ، يعني عبد الله ، فطعن عبد الله عدياً ففقأ عينه ».

وفي الطبري:٣/ ٥٣٣، عن عروة «كان لا يجئ رجل فيأخذ بالزمام حتى يقول أنافلان بن فلان يا أم المؤمنين ،فجاء عبد الله بن الزبير فقالت حين لم يتكلم: من أنت ، فقال: أنا عبد الله أنا ابن أختك .قالت: واثكل أسماء

تعني أختها. وانتهى إلى الجمل الأشتر وعدي بن حاتم فخرج عبد الله بن حكيم بن حزام إلى الأشتر فمشى إليه الأشتر فاختلفاضربتين فقتله ».

«وقاتل عدي بن حاتم حتى فقئت إحدى عينيه ». (الأخبار الطوال/ ١٥٠).

وقتل ابنه طريف. (الجمل للمفيد/ ١٩٦) وقال عدي بن حاتم:

أنا عديٌّ ونماني حاتمُ   هذا عليٌّ بالكتاب عالمُ

لم يعصه في الناس إلا ظالمُ   (مناقب آل أبي طالب:٢/ ٣٤٦).

وفي أنساب الأشراف:٥/ ٩٢: « دخل عديُّ بن حاتم الطائي على معاوية ، فقال له ابن الزبير: يا أبا طريف متى ذهبت عينك؟ قال: يوم فرَّ أبوك ، وقتل خالك يعني طلحة ، لأنّه من بني تيم ، وضربتَ على قفاك مولياً ، وأنا مع الحقّ وأنت مع الباطل!

فقال معاوية: ما بقي من حبك لعلي؟ قال: هو على ما كان وكلَّما ذكر زاد .

فقال معاوية: يا أبا طريف ما نريد بذكرك له إلا خلافه .

قال: إن القلوب إذاً بيدك يا معاوية !

فقال معاوية: إن طيِّئاً كانوا لا يحجون البيت ولا يعظَّمون حرمته .

فقال عديّ: كنّا كما قلت إذ كان البيت لا ينفع حجه ولا يضرّ تركه .

فأما إذ نفع وضر تركه فإنا نغلب الناس عليه . وكانت طيء وخثعم لا يحجون ، فكانوا يدعون الأفجران » .

١٤. وكان مع أمير المؤمنين عليه السلام في صفين، فلما دعاهم الى قتال معاوية:

«قام عدي بن حاتم الطائي بين يدي علي عليه السلام فحمد الله بما هو أهله وأثنى عليه ثم قال: يا أمير المؤمنين ما قلتَ إلا بعلم، ولا دعوت إلا إلى حق ولا أمرت إلا برشد. فإن رأيت أن تستأني هؤلاء القوم وتستديمهم حتى تأتيهم كتبك، ويقدم عليهم رسلك فعلت. فإن يقبلوا يصيبوا ويرشدوا، والعافية أوسع لنا ولهم. وإن يتمادوا في الشقاق ولا ينزعوا عن الغي نسر إليهم وقد قدمنا إليهم العذر ودعوناهم إلى ما في أيدينا من الحق، فوالله لهم من الله أبعد، وعلى الله أهون، من قوم قاتلناهم بناحية البصرة أمس، لما أجهد لهم الحق فتركوه، ناوخناهم براكاء القتال، حتى بلغنا منهم ما نحب، وبلغ الله منهم رضاه فيما يرى». (وقعة صفين لمزاحم/ ٩٨).

وعندما تحرك عليه السلام من المدائن: « خلَّف عليهم عديّ بن حاتم، فاستخلص منهم ثمان مائة رجل، فسار بهم وخلَّف معهم ابنه زيداً، فلحقه في أربع مائة رجل منهم ». (شرح نهج البلاغة لميثم:٢/ ١٢٦)

وروى ابن مزاحم في وقعة صفين/ ٣٩٧، أنه لما انهزم في المعركة عمرو بن العاص:

« اشرأب لعلي همام بن قبيصة، وكان من أشتم الناس لعلي، وكان معه لواء هوازن، فقصد لمذحج وهو يقول:

قد علمت حوراء كالتمثال ... أني إذا ما دعيت الى نزال

أقدمُ إقدام الهزبر الغالي ... أهل العراق إنكم من بالي

كل تلادي وطريف مالي حتى أنال فيكم المعالي

أو أطعم الموت وتلكم حالي في نصر عثمان ولا أبالي

فقال عدي بن حاتم لصاحب لوائه: أدن مني، فأخذه وحمل وهو يقول:

يا صاحب الصوت الرفيع العالي إن كنت تبغى في الوغى نزالي

فادنُ فإني كاشف عن حالي تفدي علياً مهجتي ومالي

وأسرتي يتبعها عيالي

فضربه وسلب لواءه، فقال ابن حطان وهو شامت به:

أهمامُ لا تذكر مدى الدهر فارساً وعَضَّ على ما جئته بالأباهم

سما لك يوماً في العجاجة فارس شديد القفيز ذو شجاً وغماغم

فوليته لما سمعت نداءه تقول له خذ يا عدي بن حاتم

فأصبحت مسلوب اللواء مذبذباً وأعظم بهذا من شتيمة شاتم».

وكذلك هرب من عدي عبد الرحمن بن خالد، القائد العام لجيش معاوية: «فقواه معاوية بالخيل والسلاح، وكان معاوية يعده ولداً، فلقيه عدي بن حاتم في حماة مذحج وقضاعة، فبرز عبد الرحمن أمام الخيل وهو يقول:

قل لعديٍّ ذهب الوعيدُ أنا ابن سيف الله لا مزيدُ

وخالدٌ يَزِينُهُ الوليد ذاك الذي هو فيكم الوحيد

قد ذقتم الحرب فزيدوا زيدوا فما لنا ولا لكم محيد

عن يومنا ويومكم فعودوا

ثم حمل فطعن الناس، وقصده عدي بن حاتم، وسدد إليه الرمح وهو يقول:

أرجــو إلهــي وأخــاف ذنبــي ولــيس شــئ مثــل عفــو ربي
يا ابن الوليد بغضكم في قلبـي كالهضب بل فوق قنان الهضب

فلما كاد أن يخالطه بالرمح ، توارى عبد الرحمن في العجاج ، واستتر بأسنة أصحابه ، واختلط القوم ، ورجع عبد الرحمن إلى معاوية مقهوراً ، وانكسر معاوية ». (وقعة صفين/ ٤٣٠).

أقول: لاحظ أن عبد الرحمن بن خالد يفتخر بجده الوليد بن المغيرة ، الذي قال الله تعالى فيه: ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيداً.. وقال فيه: وَلاتُطِعْ كُلَّ حَلافٍ مَهِينٍ. هَـمَّازٍ مَشَّاءٍ بِنَمِيمٍ. مَنَّاعٍ لِلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ. عُتُلٍّ بَعْدَ ذَلِكَ زَنِيمٍ . أَنْ كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِـينَ. وقـد اتفق المؤرخون والمفسرون على أنها نزلت في الوليد ، ففي تفسير الجلالين/٧٥٨: «دعيٌّ في قريش ، وهو الوليد بن المغيرة ، ادعاه أبوه بعد ثماني عشرة سنة ».

فافتخار عبد الرحمن بجده الطاغية الزنيم بقوله: (وخالد يزينه الوليد) يدل على أن قبليته أهم عنده من الإسلام ، وأنه لم يدخل الإيمان في قلبه !

وفي وقعة صفين/ ٣٨٠: « قال عدي بن حاتم بصفين:

أقــول لمــا أن رأيــت المعمعــهْ واجتمع الجندان وسط البلقعـه
هـذا علـيٌّ والهـدى حقـاً معـه يــا رب فاحفظــه ولا تضــيعه
فإنـــه يخشـــاك ربي فارفعـــه ومــن أراد عيبــه فضعضــعه».

ولما استشهد عمار بن ياسر، تبعه عدي بن حاتم بلوائه ، وهو يقول:

أبعــد عــمارٍ وبعــد هاشــمِ وابــن بــديل فــارس الملاحــم

نرجو البقاء مثل حُلمِ الحالم　　وقد عضضنا أمس بالأباهم

فاليوم لا نقرع سن نادم　　ليس امرؤ من يومه بسالم»

(وقعة صفين/ ٤٠٣).

وروى في مناقب آل أبي طالب(٢/ ٣٥٩) حملة عدي بن حاتم، ومالك الأشتر، وسعيد بن قيس، لرد أشد حملات أبي الأعور السلمي ومن معه، وهو أقوى قادة معاوية، وإيقاعهم بهم، حتى انهزم مع جنوده.

١٥. وسجل عديٌّ، وعدد من الصحابة موقفهم من معاوية في صفين

روى ابن الأعثم في الفتوح (٤/ ٢٠٧) وغيره: «فلما فُرغ من الكتابين وخُتما وثب الأشتر النخعي، وعدي بن حاتم الطائي، وعمرو بن الحمق الخزاعي، وشريح بن هانئ المذحجي، وزحر بن قيس الجعفي، والأحنف بن قيس التميمي، ومن أشبههم من فرسان علي فقالوا: يا معاوية! إياك أن تظن بنا ميلاً عن الحق، فإننا اليوم على ما كنا بالأمس، غير أنكم استغثتم بالمصاحف ودعوتمونا إلى كتاب الله عز وجل فأجبناكم إلى ذلك، فإن حكم الحاكمان بالحق، وإلا فنحن راجعون إلى حربنا، أو لا يبقى منا ومنكم واحد! فقال معاوية: إفعلوا ما أحببتم».

١٦. وكان عدي مع أمير المؤمنين عليه السلام، في حربه للخوارج في النهروان

قال في مناقب آل أبي طالب: ٢/ ٣٧٠: «ثم استنفرهم عليه السلام فنفر ألفا رجل يتقدمهم عدي بن حاتم، وهو يقول:

إلى شر خلقٍ من شراةٍ تحزبوا   وعادَوْا إلهَ الناس رب المشارق

والطريف أن ابنه طرفة كان مع الخوارج ، قال الطبري (٤/ ٥٥): «وخرج معهم طرفة بن عدي بن حاتم الطائي فاتبعه أبوه ، فلم يقدر عليه فانتهى إلى المدائن » .

وفي أعيان الشيعة(١/ ٥٢٤): «قتل معهم فدفنه أبوه! يُخْرِجُ الْحَىَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَىِّ، ودفن رجال من الناس قتلاهم فقال أمير المؤمنينعليه السلام: إرتحلوا ، إذاً تقتلونهم ثم تدفنونهم! فارتحل الناس . وقال أمير المؤمنين عليه السلام: لا تقاتلوا الخوارج بعدي ، فليس من طلب الحق فأخطأه ، كمن طلب الباطل فأصابه ».

١٧ .وعندما أخذ معاوية يَغِيرُ على أطراف العراق ، وتباطأ الناس عن رده نهض عدي رضي الله عنه، فقد روى الثقفي في الغارات:٢/ ٤٥١ ، أن معاوية أرسل غارة على أطراف العراق فخطب عليعليه السلام وندب الناس أن يخرجوا اليهم فقال: «ويحكم أخرجوا إلى أخيكم مالك بن كعب ، فإن النعمان بن بشير قد نزل به في جمع من أهل الشام ليس بالكثير ، فانهضوا إلى إخوانكم لعل الله يقطع بكم من الظالمين طرفاً، ثم نزل . فلم يخرجوا فأرسل إلى وجوههم وكبرائهم فأمرهم أن ينهضوا ويحثوا الناس على المسير فلم يصنعوا شيئاً..فقام عدي بن حاتم فقال: هذا والله الخذلان القبيح ، هذا والله الخذلان غير الجميل، ما على هذا بايعنا أمير المؤمنين ثم دخل على أمير

المؤمنين عليه السلام فقال: يا أمير المؤمنين إن معي ألف رجل من طئ لا يعصونني، فإن شئت أن أسير بهم سرت؟ قال: ما كنت لأعرِّض قبيلة واحدة من قبائل العرب للناس، ولكن اخرج إلى النخيلة فعسكر بهم. فخرج فعسكر وفرض علي عليه السلام سبع مائة لكل رجل، فاجتمع إليه ألف فارس عدا طيئاً أصحاب عدي بن حاتم، فسار بهم على شاطئ الفرات، فأغار في أداني الشام، ثم أقبل».

١٨. وبقي عدي رحمه الله وفياً لعلي عليه السلام الى آخر عمره على رغم ضغوط معاوية،

ففي مروج الذهب(٣/ ٤): «ذكر أن عدي بن حاتم الطائي دخل على معاوية فقال له معاوية: ما فعلت الطرفات؟ يعني أولاده؟ قال: قتلوا مع علي. قال: ما أنصفك عَلِيَ، قتل أولادك وبقي أولاده، فقال عدي: ما أنصفْت علياً، إذ قتل وبقيتَ بعده! فقال معاوية: أما إنه قد بقيت قطرة من دم عثمان مايمحوها إلا دم شريف من أشراف اليمن. فقال عدي: والله إن قلوبنا التي أبغضناك بها لفي صدورنا، وإن أسيافنا التي قاتلناك بها لعلى عواتقنا، ولئن أدنيت إلينا من الغدر فتراً لندنينَّ إليك من الشر شبراً، وإن حَزَّ الحلقوم وحشرجة الحيزوم لأهون علينا من أن نسمع المساءة في علىٍّ. فسل السيف يا معاوية باعث سل السيف! فقال معاوية: هذه كلمات حكم فاكتبوها، وأقبل على عدي محادثاً له كأنه ما خاطبه بشئ»!

وفي رواية مواقف الشيعة للأحمـدي:٢/ ١٧٠: «قلوبنا ليست بيدك يا معاويـة، فضحك معاوية ثم قال: يا معشر طي إنكم مـا زلـتم تشرـفون الحـاج ولا تعظمون الحرم . فقال عدي: إنا كنا نفعل ذلك ونحن لا نعرف حلالاً ولا ننكر حراماً ، فلما جاء الله عز وجل بالإسلام غلبنـاك وأبـاك عـلى الحـلال والحرام ، وكنا للبيت أشد تعظيماً منكم له . فقال معاوية: عهـدي بكـم يـا معشر طي ، وإن أفضل طعامكم الميتة . فقال عمرو بـن العـاص والرجـل الذي عنده من بني الوحيد:كف عنه يا أمير المؤمنين فإنه بعد صفين ذليل.

فقال عدي: صدقتم ! ثم خرج عدي من عند معاوية ، وأنشأ يقول:

يحـاولني معاويـة بـن حـرب ... وليس إلى الذي يرجو سـبيل
يــذكرني أبـا حسـن عليـاً ... وحظـي في أبي حسـن جليـل
يكـاشرني ويعلـم أن طـرفي ... على تلـك التـي أخفـى دليـل
ويعلـم أننـا قـوم جفـاةٌ ... حراديـون لـيس لنـا عقـول
وكـان جوابـه عنـدي عتيـداً ... ويكفـي مثلـه منـي القليـل
وقال ابن الوحيد وقال عمرو ... عـديٌّ بعـد صـفينٍ ذليـل
فقلت صدقتما قد هُـدَّ ركنـي ... وفـارقني الـذي بهـم أصـول
ولكنـي عـلى مـا كـان منـي ... أبلبـل صـاحبي فـيما أقـول
وإن أخـاكما في كـل يـوم ... مـن الأيـام محملـه ثقيـل

قال: فأرسل إليه معاوية بجائزة سنية وترضاه » .

١٩. وعاش بعد علي عليه السلام في الكوفة وكان يداري السلطة أكثر من غيره ،

وقد تعرض للحبس في قضية حجر بن عدي وأصحابه ، فقد كان عبد الله بن خليفة الطائي رضوان الله عليهم من أصحاب حجر الخاصين .

قال الطبري:٤/ ٢٠٩: «كان عبدالله بن خليفة الطائي شهد مع حجر بن عدي فطلبه زياد فتوارى، فبعث إليه الشرط وهم أهل الحمراء (أي من الفرس) يومئذ فأخذوه ، فخرجت أخته النوار فقالت: يا معشر طيئ أتسلمون سنانكم ولسانكم عبد الله بن خليفة؟ فشد الطائيون على الشرط فضربوهم وانتزعوا منهم عبد الله بن خليفة ، فرجعوا إلى زياد فأخبروه ، فوثب على عدى بن حاتم وهو في المسجد فقال: إئتنى بعبد الله بن خليفة . قال: وماله؟ فأخبره ، قال: فهذا شئ كان في الحي لاعلم لي به. قال: والله لتأتيني به. قال: لا والله لا آتيك به أبداً ! أجيئك بابن عمي تقتله! والله لو كان تحت قدميَّ مارفعتهما عنه . قال: فأمر به إلى السجن ، قال: فلم يبق بالكوفة يماني ولاربعي إلا أتاه وكلمه وقالوا: تفعل هذا بعدي بن حاتم صاحب رسول الله صلى الله عليه وآله؟ قال: فإني أخرجه على شرط! قالوا: ما هو؟ قال: يُخرج ابن عمه عني فلا يدخل الكوفة ما دام لي بها سلطان . فأتى عدياً فأخبره بذلك فقال: نعم ،فبعث عدى إلى عبد الله بن خليفة فقال: يا ابن أخي إن هذا قد لجَّ في أمرك ، وقد أبى إلا إخراجك عن مصرك ما دام له سلطان ، فالحق بالجبلين . فخرج فجعل عبد الله بن خليفة». وبقي الى أن مات رحمه الله .

٢٠. وامتد به العمر فعاش الى سنة ثمان وستين هجرية وتوفي زمن المختار

عن عمر بلغ مئة وعشرين سنة وقيل١٨٠سنة.

قال خليفة بن خياط/ ١٢٧: « يكنى أبا طريف ، شهد الجمل بالبصرة وصفين ناحية الشام ، ومات بالكوفة زمن المختار ، وهو ابن عشرين ومائة سنة ».

أقول: معناه أن عدياً رحمه الله كان في الكوفة في أحداث ثورة الحسين عليه السلام ، فلماذا لم يخرج معه ولم نسمع بدوره في نصرته ؟

والجواب: أنه يحتمل أن يكون يومها هرماً مريضاً رحمه الله ، على أن مستوى أصحاب الحسين عليه السلام أعلى من مستوى عدي رحمه الله : « وعُنِّف ابن عباس على تركه الحسين عليه السلام فقال: إن أصحاب الحسين لم ينقصوا رجلاً ولم يزيدوا رجلاً ، نعرفهم بأسمائهم من قبل شهودهم ».(مناقب آل أبي طالب:٣/ ٢١١).

٢١. ذكرت المصادر لعدي بن حاتم أبناء ، وأنهم قتلوا وماتوا ولم يعقبوا

وعدوا منهم الطرفات الذين سأله معاوية عنهم فقال: «ما فعل الطرفات يا أبا طريف ، طريف وطرفة وطراف؟ فقال: قتلوا يوم صفين. قال: ما أنصفك عليّ أخّر بنيه وقدّم بنيك! قال: لئن فعل لقد قُتل وبقيت! قال: قد بقيت قطرة من دم عثمان عند قوم ولا بد من أن نطلب بها !

قال عدي: إغمد سيفك،فإن السيف إذا سل سلَّت السيوف. قال: فالتفت معاوية إلى عمرو فقال له: ضعها في قرنك ، فإنها كلمة حكمة».

(أنساب الأشراف:٥/ ١١٩).**(والطَّرَفاتُ، مُحَرَّكة:بنو عدي بن حاتم الطائي، قُتلوا بصِفِّينَ مع عليٍّ عليه السلام وهم: طَرِيفٌ كأَمِير وَطَرَفَةُ محركة ومُطَرِّفٌ كمُحدِّث)**.(لسان العرب:٩/ ٢٢١، وتاج العروس:١٢/ ٣٥١). **(وكان يعير بذلك فيقال له: أذْهَبَ عليٌّ الطرفات . فيقول:وددت أن لي ألفاً مثلهم لأقدمهم بين يدي علي إلى الجنة)!** (أبصار العين/ ١١٦).

وقالت المصادر:« وقتل ابنه طريف بن عدىّ مع الخوارج، ولا عقب لحاتم إلَّا من قبل ابنه عبد الله » . (جمهرة أنساب العرب/ ٤٠٢ ، والطبري ، وغيره).

وفي معارف ابن قتيبة/ ٣١٣: «وشهد مع عليّ رضي الله عنه يوم الجمل ، ففقئت عينه ، وقتل ابنه محمد يومئذ ، وقتل ابنه الآخر مع الخوارج .. ولم يبق له من عقب إلا من قبل ابنتيه: أسدة ، وعمرة ، وإنما عقب حاتم الطائي من ولده عبد الله بن حاتم ، وهم ينزلون بنهر كربلاء ».

وذكر في ميزان الإعتدال (٤/ ٤٣٤) يزيد بن عدي بن حاتم الطائي ، وأنه يروي عن أبيه ، ومدحه في مستدركات رجال الحديث. (٨/ ٢٥٧).

وذكر في المستدركات (٤/ ٢٩٤): «الطرماح بن عدي بن حاتم الطائي: من أصحاب أمير المؤمنين والحسين صلوات الله عليهما ، في غاية الجلالة والنبالة . وهو رسول أمير المؤمنين عليه السلام إلى معاوية ».

وهو الحادي بركب الحسين عليه السلام الى كربلاء . لكن قيل إنه ابن عدي بن حاتم آخر . (الفصول المهمة:٢/ ٨١٤).

وذكر ابن ماكولا في الإكمال(٦/ ١٨٧): « عركي بن عدي بـن حـاتم ، حـدث عن أبيه روى عنه ابنه ملحان ».

وسماه في تاريخ دمشق:١١/ ٣٧٧، عرطي ، وروى عن جده خاتم قـال: « أي بني إني أعهدك من نفسي ثلاث خلال: والله ما خاتلت جارة لي لريبة قط ، ولا اؤتمنت على أمانة إلا أديتها ، ولا أتي أحد قط من قبلي بسوء».

وروى في طبقات المحدثين بأصبهان (٢/ ٢٠٥) عن يحيى بن واقد بـن محمـد بـن عدي بن حاتم الطائي . وتاريخ بغداد:١٤/ ٢٠٨.

وذكر في تاريخ دمشق (٩/ ١٦٨) أن مسلمة بن عبـد الملـك عـين عبـد الله بـن عدي بن حاتم الطائي قائداً على طيء ولخم وجذام .

وذكر ابن حجر في الإصابة(٥/ ٢٠٥) عدي بن عدي بن حاتم الطائي .

وقال السمعاني في الأنساب (٤/ ٣٩): «ومن أولاد عدي بن حاتم الطـائي: أبـو صالح يحيى بن واقد بن محمد بن عدي بن حاتم الطـايي ، ولـد في خلافـة المهدي سنة خمس وستين ، وكان عارفاً بالنحو والعربية ».

أقول: ذكرت أكثر المصادر أن عدياً لم يبق له نسل من بنيه بـل مـن بناتـه . وتقدم بعضها ومنها: الشعراء لابن قتيبة:١/ ٢٤١، والروض الأنف للسهيلي: ٤/ ٢٢٨

وهذا أقوى ، فلا بد أن يكون المنسوبون اليه من ذرية بنتيه: أسدة ، وعمرة ، كما ذكر ابن قتيبة . لكنه لا يخلو من إشكال ، فإن أسدة زوجة عمرو بن حريث المخزومي ، فكيف ينسب أبناؤها الى طيئ !

٢٢. واشتهرت حماقة زيد بن عدي بن حاتم ، بعد انتهاء حرب صفين مباشرة

قال ابن الأعثم (٣/ ١٣٧): «ومرَّ زيد بن عدي بن حاتم بخال له من طيئ يقال له حابس بن سعد ، فرآه قتيلاً، فوقف عليه ينظر إليه وقال: ليت شعري من قتلك! فقال رجل من بني حنظلة من أصحاب علي عليه السلام: أنا قتلته، قال: ولم قتلته؟ قال: لأنه من أصحاب معاوية . قال زيد: وإن كان من أصحاب معاوية فإنه خالي. ثم شد عليه زيد بن عدي فضربه على أم رأسه فقتله! ثم مر هارباً إلى معاوية فصار معه ، فسُرَّ معاوية بمصير زيد بن عدي إليه ، واغتم علي بن أبي طالب بقتل الحنظلي ولهرب زيد بن عدي . قال: واغتم عدي بن حاتم لذلك غماً شديداً !

وندم زيد بن عدي على ما فعل فأنشأ يقول:

تطاول ليلي واعتراني وساوسي ... ببيعي الهدى بالتُّرَّهات البسابسِ

فتركي علياً في صحاب محمد ... وقتلي أخا معن لمصرع حابس

فيا ليت شعري هل لي اليوم توبة ... أناصحُ فيها الله وهو آئسي

فإن تطمعوني اليوم أرجع تائباً ... ولا أتقي إلا جدار الدهارس

قال: فقام عدي بن حاتم إلى علي عليه السلام فقال: يا أمير المؤمنين إن ابني زيداً لا كلاه الله قد قرر بالظنة وهو موضع التهمة ، غير أني إذا ذكرت مكانك من الله عز وجل ومن محمد صلى الله عليه وآله ومكاني منك اتسع جناني وطابت نفسي، ووالله لو وقع زيد في يدي لقتلته ولو كان ميتاً لما حزنت عليه ، ثم أنشأ عدي:

أيا زيد قد جرعتني منك غصة ... وما كنت للثوب المدنس لا بسا

فليتك لم تخلق وكنت كمن مضى ... وليتك إذا لم تمض لم تر حابسا

ألا إن قد أغنى عدي بن حاتم ... غناك وأمسى بالعراقين دانسا

وحامت عليه جرول وحماتها ... وأصبح في الأعداء تفري الفوانسا

نكصت على العقبين يا زيد ردةً ... وأصبحت قد جدعت منا المعاطسا

قتلت امرءً من خير مرءٍ بحابس ... فأصبحت مما كنت ترجوه آئسا

قال: فبلغ زيد بن عدي ما قال أبوه ، فخشي أن يقتل ، فهرب أيضاً من عند معاوية ، حتى لحق بجبل طيئ ، ولم يأت أباه حتى مات »

۞ ۞

الفصل الرابع:

حرب اليمامة نموذجاً لتحريف التاريخ

(١) بنو حنيفة قبيلة مسيلمة الكذاب

بنو حنيفة بن لجيم من قبائل بكر بن وائل ، وهم أبناء عم بني عجل بن لجيم وبني شيبان . ومساكنهم في اليمامة من نجد . واليمامة هي سافلة نجد مما يلي البحرين، وتبلغ ثلث ما يعرف بنجد ، وهي الآن محافظة الرياض .

http: //ar.wikipedia.org/wiki/%D8%A7%D9%84%D9%8A%D9%85%D8%A7%D9%85%D8%A9

قال ابن الأثير في اللباب:١/ ٣٩٦: «الحنفي..هذه النسبة إلى حنيفة وهم قبيلة كثيرة من ربيعة بن نزار نزلوا اليمامة ، وهم حنيفة بن لجيم بن صعب... بن ربيعة بن نزار ، ينسب إليه خلق كثير ، منهم ثمامة بن أثال الحنفي ، له صحبة ، وخولة أم محمد بن الحنفية ، وهو ابن علي بن أبي طالب ».

(٢) ثمامة بن أثال فخر بني حنيفة رضي الله عنه

كان ثمامة بن أثال رئيسَ بني حنيفة في زمن النبيصلى الله عليه وآله شخصيةً مميزة ، وكان يسمى هو وهوذة بن علي (مَلِكا اليمامة).(ابن هشام:٤/ ١٠٢٦) وكان

النبي صلى الله عليه وآله يحب أن يحاصر قريشاً ، ويمنع عنها التموين من جهة نجد والعراق ، كما منعه من جهة المدينة والشام ، لعلها تفكر وتخضع لربها وتسمع لرسوله . وقد يكون جبرئيل علَّمه أن يدعو الله تعالى أن يوقع ثمامة سيد اليمامة في قبضته ، ويهدي قلبه ، فكان ذلك في السنة الخامسة للهجرة .

ففي الكافي (٨/ ٢٩٩) عن الإمام الباقر عليه السلام قال: « إن ثمامة بن أثال أسرته خيل النبي صلى الله عليه وآله وقد كان رسول الله قال: اللهم أمكني من ثمامة . فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله : إني مخيرك واحدة من ثلاث: أقتلك ، قال: إذاً تقتل عظيماً ! أو أفاديك ، قال: إذا تجدني غالياً ! أو أمنُّ عليك، قال: إذاً تجدني شاكراً ! قال: فإني قد مننت عليك . قال: فإني أشهد أن لا إله إلا الله وأنك محمد رسول الله . وقد والله علمت أنك رسول الله حيث رأيتك ، وما كنت لأشهد بها وأنا في الوثاق ! فأسلم ثمامة وذهب الى مكة للعمرة فقالوا له: صبوتَ؟! قال: لا، ولكني أسلمت مع محمد صلى الله عليه وآله ، ولا والله لا تأتيكم من اليمامة حبة حنطة حتى يأذن فيها رسول الله ». (الكافي:٨/ ٢٩٩).

وروى الواحدي في أسباب النزول / ٢١١، أن محاصرة ثمامة لقريش أعطت ثمارها بسرعة ، وجعلتها في ضائقة اقتصادية شديدة حتى: « جاء أبو سفيان إلى رسول الله صلى الله عليه وآله فقال: يا محمد ننشدك الله والرحم ، لقد أكلنا العلهز ، يعني الوبر بالدم ، فأنزل الله تعالى: **وَلَقَدْ أَخَذْنَاهُمْ بِالْعَذَابِ فَمَا اسْتَكَانُوا لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ** » !

ومع أنهم لم يتضرعوا لربهم، فلما جاؤوا الى النبي صلى الله عليه وآله مستغيثين ، كتب صلى الله عليه وآله الى ثمامة أن يرفع عنهم الحصار ، فرفعه . (ابن هشام: ٤/ ١٠٥٣، والإصابة: ٣/ ٤٧١).

(٣)عيّن النبي‌ﷺ ثمامة والياً على اليمامة

كان الصحابي ثمامة مرضياً عند النبي‌ﷺ فعينه والياً على اليمامة ، وكتب الى ملك اليمامة هوذة بن علي يدعوه الى الإسلام .

وعندما ادعى مسيلمة النبوة ، وقف ثمامة في وجهه وحذّر بني حنيفة من تصديقه لأنه كذاب . لكن أكثرهم لم يسمعوا كلامه وأطاعوا مسيلمة ، فسيطر على مدينة الحجر وهي عاصمة اليمامة ، وأخرج ثمامة ومن ثبت معه على الإسلام ، فكتب ثمامة الى النبي‌ﷺ ، فكتب له أن يقاتلهم ، وأرسل الى بعض رؤساء بطون القبائل في اليمامة من تميم وغيرها أن يمدوه .

قال ابن الجوزي في المنتظم (٤/ ٢٢): « وكانوا إذا سمعوا سجعه قالوا: نشهد أنك نبي، ثم وضع عنهم الصلاة وأحل لهم الخمر ونحو ذلك ، فأصفقت معه بنو حنيفة إلا القليل، وغلب على حجر اليمامة وأخرج بن أثال ، فكتب ثمامة إلى رسول الله‌ﷺ يخبره وكان عامل رسول الله‌ﷺ على اليمامة ، وانحاز ثمامة بمن معه من المسلمين » . **أي خرجوا من مدينة حجر اليمامة .**

قال الطبري:(٢/ ٤٣٢): «وقبل وفاته‌ﷺ بيوم أو بليلة وَلَظَ طليحةَ ومسيلمةَ وأشباههم بالرسل(تابع إرسال الرسل بشأنهم) ولم يشغله ما كان فيه من الوجع عن أمر الله عز وجل والذب عن دينه، فبعث وبر بن يحنس إلى فيروز وجشيش الديلمي وداذويه الإصطخري ، وبعث جرير بن عبد الله إلى ذي الكلاع وذي ظليم ، وبعث الأقرع بن عبد الله الحميري إلى ذي زود وذي مران ، وبعث فرات بن حيان العجلي إلى ثمامة بن أثال ، وبعث زياد بن

حنظلة التميمي ، ثم العمرى إلى قيس بن عاصم والزبرقان بن بدر ، وبعث صلصل بن شرحبيل إلى سبرة العنبري ووكيع الدارمي وإلى عمرو بن المحجوب العامري ، وإلى عمرو ابن الخفاجي من بنى عامر ، وبعث ضرار بن الأزور الأسدي إلى عوف الزرقاني من بنى الصيداء وسنان الأسدي ثم الغنمي وقضاعي الديلمي ، وبعث نعيم بن مسعود الأشجعي إلى ابن ذي اللحية وابن مشيمصة الجبيري ».

وفي إمتاع الأسماع(١٤/ ٥٢٥): «وأرسل إلى ثمامة بن أثال ومن يسمع عليه ، أن تحاولوا مسلمة ، وأمره أن يتخذوا رجالاً قد سماهم ممن والاه من تميم وقيس . وأرسل إلى أولئك النفر من تميم وقيس أن يتخذوه ، وأرسل إلى عون وورقاء بن نوفل ، وإلى سنان وقضاعة أن تحاولوا طليحة ، وأمرهم أن يتخذوا رجالاً قد سماهم لهم من تميم وقيس ، وأرسل إلى أولئك النفر من تميم وقيس أن يتخذوهم ففعلوا... فأصيب الأسود في حياة النبيﷺ قبل وفاتهﷺ بيوم ، أو بليلة ».

(٤) معركة ثمامة مع مسيلمة

استفاضت الرواية بأن النبيﷺ أمر عامله ثمامة أن يقف ضد حركة مسيلمة ويقاتله إذا لزم الأمر .

قال ابن عبد البر في الإستيعاب(٣/ ١٢٥٨): « وبعث رسول اللهﷺ فرات بن حيان العجلي إلى ثمامة بن أثال ، في قتل مسيلمة وقتاله ».

وفي تاريخ الطبري(٢/ ٤٩٦): «كان ثمامة بن أثال تأتيه أمداد من بني تميم، فلما حدث هذا الحدث فيما بينهم تراجعوا إلى عشائرهم، فأضر ذلك بثمامة بن أثال حتى قدم عليه عكرمة وأنهضه فلم يصنع شيئاً (لكثرة أتباع مسيلمة) فبينا الناس في بلاد بني تميم على ذلك قد شغل بعضهم بعضاً، فمسلمهم بإزاء من قدم رجلاً وأخَّر أخرى وتربَّص بإزاء من ارتاب، فجأتهم سجاح بنت الحارث، قد أقبلت من الجزيرة وكانت ورهطها في بني تغلب، تقود أفناء ربيعة، معها الهذيل بن عمران في بني تغلب، وعقة بن هلال في النمر وزياد بن فلان في أياد، والسليل بن قيس في شيبان، فأتاهم أمر دهيٌّ هو أعظم مما فيه الناس، لهجوم سجاح عليهم».

ويفهم من هذا السياق أن وفاة النبي صلى الله عليه وآله والأحداث بعدها تلاحقت، فلم يستطع ثمامة أم يقاتل مسيلمة.

لكن الحموي في معجم البلدان(٣/ ٢٨٨)قال:« سهام: إسم موضع باليمامة كانت به وقعة أيام أبي بكر، بين ثمامة بن أثال ومسيلمة الكذاب، فالتقوا بسهام دون الثنية، أظنه يعني ثنية حجر اليمامة». والأربعون البلدانية:٣/ ٢٨٩.

وذكر المقريزي في إمتاع الأسماع(١٤/ ٥٣٧) أن ثمامة استمد من الذين كتب لهم النبي صلى الله عليه وآله فأمدوه بخيل: «فاقتحم بهم ثمامة عليهم فالتقى هو مسيلمة بملهم فقتل حبيب بن قيس بن حبيب أخ مسيلمة، وجعفر بن مسيلمة بن قتادة، وعزار بن علي، وخرج ثمامه وأصحابه على الغُنْم والظفر، فعاد وأصحابه إلى الموسم، وتضعضع عن مسيلمة، وقال ثمامة بن أثال:

قالت رميلة أين ترحل بعد ما جد الرحيل بجحفل جرار
وتعرضت لتلومني في غزوتي شفقاً عليَّ مخافة الأقدار
فقصبت عاذلتي وقلت لها أحمقي وقضضت جمع مغامر جبار
ورميت مشتبه الفلات بفيلق شهباء ذات نوادح وأوار
وفتحت بالجيش الموبر جمعهم ورياح كل مصلصل حرار
وفجعت عربين اليمامة كلهم بحيبهم وبجعفر وعزار

فغضب أهل حجر ثم خرجوا نحو الوشم يغزون ثمامة ومن معه من بني تميم سحيم وأهل القرى، ومن أمره من تميم وقيس، فالتقوا بالوشم، فاقتتلوا قتالاً شديداً فهزم مسيلمة وأصحابه، واتبعهم ثمامة بمن معه يقتلونهم قاهرين لهم، ثم رجعوا وقد ملؤوا أيديهم مما أصابوا من جند مسيلمة، فقال ثمامة في ذلك:

قالت رميلة لايهد وقد جرى يوم الغوير بحكمها استعرار
أرميل إني لن أريح مودتي حتى تزيل مساقتي الأقدار
أرميل أني شاريٌ لمحمد نفسي وأهلي الدهر والأعمار
فغضبت جمعهم بطعن صائب حتى تدهده بيننا الأكوار
وركبت غازيَّ القرى في أثره أقرى المنان وجمعنا سيار

ثم ذكر المقريزي عن ابن عباس أنه وصل الخبر الى النبيﷺ فقال: هذا مسيلمة قد شقي وضاق ذرعاً، والله مخزيه». انتهى.

ونسختنا من كتاب المقريزي كثيرة الخطأ، ولم يذكر مصدره عن معارك ثمامة مع مسيلمة، ولم نجدها في كتب التاريخ.

(٥) لماذا أهمل أبو بكر وخالد ثمامة؟

نتعجب من أن أبا بكر أهمل ثمامة كلياً ، مع أنه عامل النبي صلى الله عليه وآله على اليمامة وقد أمره النبي صلى الله عليه وآله قبيل وفاته بحرب مسيلمة ، وأمر عدداً من رؤساء البطون أن يمدوه ، فأمدوه وخاض مع مسيلمة معركتين انتصر فيهما ، لكن مسيلمة استعاد وته وأخرج ثمامة من الحِجْر عاصمة اليمامة الى قراها .

فلماذا تجاوزه أبو بكر وبعث شرحبيل ، ثم عكرمة ، ثم خالداً في جيش لقتال مسيلمة ، ولم يبعث ثمامة ، ولا راسله لينضم الى خالد أو غيره ؟!

وقد سار خالد على سياسة أبي بكر في إهمال ثمامة مع أن ثمامة انضم بأصحابه اليه وقاتل معه !

فكان ينبغي لخالد أن يعقد الصلح بعد المعركة معه باعتباره ممثلاً لبني حنيفة . ولو قلنا بأن طرف الصلح يجب أن يكون أتباع مسيلمة ، لبقي السؤال لماذا عزل أبو بكر ثمامة عن ولاية اليمامة وهو والي النبي صلى الله عليه وآله ؟!

قال البلاذري (١/ ١٠٨): «وأتى خالداً كتاب أبي بكر بإنجاد العلاء بن الحضرمي ، فسار إلى البحرين ، واستخلف على اليمامة سمرة بن عمرو العنبري ».

لاتفسير لذلك إلا ميل ثمامة الى علي عليه السلام !

ويؤيده أنه بعدما شارك في معركة اليمامة (الإصابة:٦/ ٢٤٢) وانتصر المسلمون على مسيلمة ، التحق ثمامة بالعلاء بن الحضرمي وقاتل معه المرتدين في البحرين وحولها ، وكان رئيس المرتدين الحطمة بن ضبيعة من

بني قيس بن ثعلبة ، حتى انتصر المسلمون . وفي عودة ثمامة الى اليمامة كتب الله له الشهادة على يد أتباع الحطم قائد المرتدين .

قد يقال أن ثمامة نفسه فضل الجهاد على الولاية،لكن لم نجد نصاً بذلك!

(٦) ثمامة يجاهدالمرتدين مع العلاء بن الحضرمي

قال ابن عبد البر في الإستيعاب:١/ ٢١٤: «قال محمد بن إسحاق: ومر العلاء بن الحضرمي ومن معه على جانب اليمامة (في البحرين) فلما بلغه ذلك قال لأصحابه من المسلمين: إني والله ما أرى أن أقيم مع هؤلاء مع ما قد أحدثوا وإن الله تعالى لضاربهم ببلية لا يقومون بها ولا يقعدون ، وما نرى أن نتخلف عن هؤلاء وهم مسلمون ، وقد عرفنا الذي يريدون ، وقد مروا قريباً ولا أرى إلا الخروج إليهم ، فمن أراد الخروج منكم فليخرج ، فخرج ممداً للعلاء بن الحضرمي ومعه أصحابه من المسلمين، فكان ذلك قد فتَّ في أعضاد عدوهم حين بلغهم مدد بني حنيفة !

وقال ثمامة بن أثال في ذلك:

دعانا إلى ترك الديانة والهدى	مسيلمة الكذاب إذ جاء يسجعُ
فيا عجباً من معشر قد تتابعوا	له في سبيل الغي والغيُّ أشنعُ».

وروى ابن الأعثم(١/ ٤٠) محاولة ثمامة إقناع قومه بمساندة العلاء الحضرمي في حرب المرتدين في البحرين، قال: «أرسل ثمامة بن أثال إلى جماعة من بني حنيفة فدعاهم ، فلما اجتمعوا عنده أقبل عليهم فقال لهم: يا بني حنيفة!

هل لكم أن يرفع الله عز وجل رؤسكم مما كان منكم مع مسيلمة ؟ فقالوا: وما ذاك؟ فقال: تسيرون مع العلاء بن الحضرمي إلى البحرين فتقاتلون على الحق ، فقالوا: ولمن نقاتل؟ فقال: تقاتلون قوماً لو دعوا إلى قتالكم لقاتلوكم على الباطل .

فقال له رجل من قومه: يا ثمامة ، حسبنا ما كان منا من الخروج مع مسيلمة حتى فنيت رجالنا، وذهبت أموالنا ، وسبيت أولادنا ونساؤنا . فلا تلمنا على القعود فحسبنا ما نزل بنا من الأمر...

فقال لهم ثمامة..أنا والله ماض معه غير راغب بنفسي عنه ، والله يفعل في ذلك ما يجب ويرضى...

وسار العلاء بن الحضرمي ومعه ألف رجل من المهاجرين والأنصار ومعه ثمامة بن أثال وقيس بن عاصم المنقري ، في جماعة من بني تميم وبني حنيفة ، حتى توسط أهل البحرين ».

وقال الطبري(٢/ ٥٢٧): « لما رجع العلاء إلى البحرين وضرب الإسلام فيها بجرانه وعز الإسلام وأهله ، وذل الشرك وأهله...فرجع الناس إلا من أحب المقام ، فقفلنا وقفل ثمامة بن أثال ، حتى إذا كنا على ماء لبنى قيس بن ثعلبة ، فرأوا ثمامة ورأوا خميصة الحطم عليه ، دسوا له رجلاً وقالوا سله عنها كيف صارت له ، وعن الحطم أهو قتله أو غيره ؟

فأتاه فسأله عنها فقال:نفلتها. قال أأنت قتلت الحطم قال: لا، ولوددت أنى كنت قتلته. قال: فما بال هذه الخميصة معك؟ قال: ألم أخبرك ! فرجع

إليهم فأخبرهم ، فتجمعوا له ثم أتوه فاحتوشوه فقال: مالكم؟ قالوا أنت قاتل الحطم . قال: كذبتم لست بقاتله ولكني نفلتها . قالوا: هل ينفل إلا القاتل؟قال:إنها لم تكن عليه إنما وجدت في رحله.قالوا:كذبت فأصابوه».

أقول: الحطم بن ضبيعة رئيس قبيلة قيس بن ثعلبة ، ورئيس المرتدين في البحرين وحولها ، وقد اعتبر ذلك الحي من قبيلته أن ثمامة هو الذي قتله فتكاثروا عليه وقتلوه ، وكان مع ثمامة بعض أبناء عمه فلم يستطيعوا أن يمنعوه فختم الله له لسيد اليمامة بالشهادة على يد المرتدين.

(٧) ملك اليمامة هوذة بن علي

كان هوذة بن عليّ من رؤساء بني حنيفة ، لكن النفوذ الأقوى فيهم كان لثمامة . وهوذة من قرية قُرَّان في اليمامة بضم القاف وتشديد الراء ، وتقع اليوم بين ملهم وحريملة . وكان يسمى ذو التاج والملك ، لأن عامل كسرى على اليمن كان يرسل الى كسرى قافلة فيها مال وهدايا ، فيغير عليها بنو تميم وينهبونها ، وكان هوذة يحميها ويوصلها الى صنعاء أو الى المدائن عاصمة كسرى . ودخل ذات مرة على كسرى فأعجب به ودعا بعقد من در فعقده على رأسه ، فسمي ذا التاج .

وبعث كسرى إلى عامله في البحرين آزاد فيروز الذي تسميه العرب المكعبر ، لأنه كان يقطع الأيدي والأرجل فأمره بمعاقبة تميم ، وجاء هوذة مع رسول كسرى إلى المكعبر، فاحتال المكعبر على بني تميم فقتل منهم

جماعة كثيرة في المشقر وأسر آخرين ، وقبل شفاعة هوذة في فكاك مئة من الأسرى فأطلقهم .

وكتب النبي صلى الله عليه وآله الى هوذة: أسلم تسلم ، وأجعل لك ما تحت يديك . فأرسل اليه هوذة: « وفداً فيهم مجاعة بن مرارة، والرحال بن عنفوة يقول له: إنْ جعل الأمر له من بعده أسلم ، وسار إليه ونصره وإلا قصد حربه . فقال النبي صلى الله عليه وآله: لا ولاكرامة ، اللهم اكفنيه . فمات بعد قليل».

(الكامل:١/ ٤٦٨، و:٢/ ٢١٥، والأعلام:٨/ ١٠٢) .

وكان هوذة نصرانياً ، ويبدو أنه كان على علاقة بالغساسنة في الشام ، وقد بنى كنيسة في اليمامة وكان فيها قسيس . بينما كان عامة بني حنيفة على دين العرب الذي هو ملة إبراهيم عليه السلام مخلوطة بعبادة الأصنام .

(٨) مسيلمة الكذاب ينافس ثمامة

رفع مسيلمة شعار أن لبني حنيفة حقٌّ في أن يكون لهم نبي كقريش، لأنها ليست أقل من قريش عدداً وعدة !

وقد تفضل مسيلمة وتنازل عن النبوة المستقلة ، ورضي أن يكون شريكاً مع النبي صلى الله عليه وآله في نبوته ، وادعى أن الله بعثه نبياً شريكاً لمحمد صلى الله عليه وآله وطلب منه أن يقبل بذلك ، فرده النبي صلى الله عليه وآله وسماه مسيلمة الكذاب .

لكن مسيلمة نشط في الدعوة الى نفسه بأسلوبه وكهانته ، فأجابه أكثر بني حنيفة ! ولم يستطع ثمامة الصادق أن يردّ موجته ، فغلبه مسيلمة وأخرجه وأصحابه من حِجْر اليمامة . وكتب ثمامة رسالة الى النبي صلى الله عليه وآله يخبره .

وعندما توفي النبي صلى الله عليه وآله تفاقم أمر مسيلمة ، وشهد له نَهَّار بن عُنفوة الحنفي المسمى الرحَّال بأن النبي صلى الله عليه وآله قد أشركه في النبوة !

وكان الرحال في الحقيقة عرَّاب مسيلمة والأب الروحي له !

قال الطبري:٢/ ٥٠٥: « وكان مسيلمة يصانع كل أحد ويتألفه ، ولا يبالي أن يطلع الناس منه على قبيح . وكان معه الرحال بن عنفوة قد هاجر إلى النبي صلى الله عليه وآله وقرأ القرآن وفقه في الدين ، فبعثه معلماً لأهل اليمامة وليشغب على مسيلمة ، وليشدد من أمر المسلمين ، فكان أعظم فتنة على بنى حنيفة من مسيلمة ! شهد له أنه سمع محمداً صلى الله عليه وآله يقول إنه أشرك معه ، فصدقوه واستجابوا له !

وأمره بمكاتبة النبي صلى الله عليه وآله ، ووعده إن هو لم يقبل أن يعينه عليه ! فكان نَهَّار الرحال بن عنفوة لا يقول شيئاً الا تابعه عليه ، وكان ينتهى إلى أمره ».

وكان الرحَّال فارساً، وقائد مقدمة جيش مسيلمة ، وهو أول من قتل من جيشه. (الطبري:٢/ ٥١٠). وهذا غاية الخذلان وسوء التوفيق ، نعوذ بالله .

(٩) وفد بني حنيفة مع مسيلمة الى النبي صلى الله عليه وآله

في تاريخ الطبري:٢/ ٣٩٣: «قدم على رسول الله صلى الله عليه وآله وفد بنى حنيفة فيهم مسيلمة بن حبيب الكذاب ، فكان منزلهم في دار ابنة الحارث امرأة من الأنصار ، ثم من بنى النجار.. إن بنى حنيفة أتت بمسيلمة إلى رسول الله تستره بالثياب ، ورسول الله صلى الله عليه وآله جالس في أصحابه ومعه عسيب من سعف النخل في رأسه خوصات ، فلما انتهى إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وهم

يسترونه بالثياب، وكلم رسول الله صلى الله عليه وآله فقال له رسول الله: لو سألتني هذا العسيب الذي في يدي ما أعطيتك».

وفي الطبقات:١/ ٣١٦: «بضعة عشر رجلاً فيهم رحال بن عنفوة، وسلمى بن حنظلة السحيمي، وطلق بن علي بن قيس، وحمران بن جابر من بني شمر، وعلي بن سنان، والأقعس بن مسلمة، وزيد بن عبد عمرو، ومسيلمة بن حبيب. وعلى الوفد سلمى بن حنظلة، فأنزلوا دار رملة بنت الحارث وأجريت عليهم ضيافة، فكانوا يؤتون بغداء وعشاء، مرةً خبزاً ولحماً، ومرةً خبزاً ولبناً، ومرة خبزاً وسمناً، ومرة تمراً ينثر لهم.

فأتوا رسول الله صلى الله عليه وآله في المسجد فسلموا عليه وشهدوا شهادة الحق، وخلفوا مسيلمة في رحلهم وأقاموا أياماً يختلفون إلى رسول الله صلى الله عليه وآله. وكان رحَّال بن عنفوة يتعلم القرآن من أبيٍّ بن كعب، فلما أرادوا الرجوع إلى بلادهم أمر لهم رسول الله صلى الله عليه وآله بجوائزهم: خمس أواق كل رجل، فقالوا: يا رسول الله إنا خلَّفنا صاحباً لنا في رحالنا يبصرها لنا، وفي ركابنا يحفظها علينا، فأمر له رسول الله صلى الله عليه وآله بمثل ما أمر به لأصحابه..

ورجعوا إلى اليمامة وأعطاهم رسول الله صلى الله عليه وآله إداوة من ماء فيها فضل طهور، فقال: إذا قدمتم بلدكم فاكسروا بيعتكم، وانضحوا مكانها بهذا الماء، واتخذوا مكانها مسجداً، ففعلوا وصارت الإداوة عند الأقعس بن مسلمة، وصار المؤذن طلق بن علي فأذن، فسمعه راهب البيعة فقال: كلمة حق ودعوة حق، وهرب! فكان آخر العهد به.

وادعى مسيلمة النبوة وشهد له الرحال بن عنفوة أن رسول الله صلى الله عليه وآله أشركه في الأمر، فافتتن الناس به ».

وقال في الإستيعاب:١/ ٢١٤: «ارتد أهل اليمامة عن الإسلام غير ثمامة بن أثال ومن اتبعه من قومه، فكان مقيماً باليمامة ينهاهم عن اتباع مسيلمة وتصديقه، ويقول إياكم وأمراً مظلماً لانور فيه ، وإنه لشقاء كتبه الله عز وجل على من أخذ به منكم، وبلاء على من لم يأخذ به منكم، يابني حنيفة! فلما عصوه ورأى أنهم قد أصفقوا على اتباع مسيلمة، عزم على مفارقتهم ».

(١٠) طموح مسيلمة الكذاب

يظهر أن مسيلمة كان شاباً عندما جاء مع وفد بني حنيفة الى النبي صلى الله عليه وآله .

ويظهر أن مسيلمة نوى يومها أن يدعي النبوة ، فعندما رجع الى اليمامة أرسل الى النبي صلى الله عليه وآله : « من مسيلمة رسول الله ، إلى محمد رسول الله . سلام عليك ، فإنى قد أشركت في الأمر معك ، وإن لنا نصف الأرض ولقريش نصف الأرض ، ولكن قريشاً قوم يعتدون...فقدم عليه رسولان بهذا الكتاب.. سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول لهما حين قرءا كتاب مسيلمة: فما تقولان أنتما ؟ قالا: نقول كما قال .فقال: أما والله لولا أن الرسل لاتقتل لضربت أعناقكما ! فكتب صلى الله عليه وآله إلى مسيلمة: بسم الله الرحمن الرحيم. من محمد رسول الله إلى مسيلمة الكذاب ، سلام على من اتبع الهدى، أما بعد فإن الأَرْضَ للهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ».(ابن هشام:٤/ ١٠١٩).

«قال السهيلي: وكان يقال له رحمان اليمامة ، وكان يعرف أبواباً من النيرنجات (الشعبذة) فكان يدخل البيضة في القارورة ، وهو أول من فعل ذلك ، وكان يقص جناح الطير ثم يصله ، ويدعي أن ظبية تأتيه من الجبل فيحلب لبنها.. قال ابن إسحاق: ثم انصرفوا عن رسول الله صلى الله عليه وآله ولما انتهوا إلى اليمامة ارتد عدو الله وتنبأ وتكذب لهم وقال: إني اشتركت معه في الأمر، ثم جعل يسجع لهم السجعات مضاهياً للقرآن ، فأصفقت على ذلك بنو حنيفة » . (عمدة القاري:١٦/ ١٥١).

(١١) من سجع مسيلمة وكهانته

حاول مسيلمة أن يضاهي القرآن بسجعه فقال: «لقد أنعم الله على الحبلى أخرج منها نسمة تسعى ، من بين صفاق وحشى ». (الطبري:٢/ ٣٩٤).

وفي تاريخ الطبري(٢/ ٥٠٥): « وكان يؤذن للنبي صلى الله عليه وآله ويشهد في الأذان أن محمداً رسول الله . وكان الذي يؤذن له عبد الله بن النواحة ، وكان الذي يقيم له حجير بن عمير ويشهد له ، وكان مسيلمة إذا دنا حجير من الشهادة قال: صَرِّحْ حَجِير! فيزيد في صوته ويبالغ لتصديق نفسه وتصديق نهَّار وتضليل من كان قد أسلم ، فعظم وقاره في أنفسهم .

قال: وضرب حرماً باليمامة فنهى عنه ، وأخذ الناس به فكان محرماً ، فوقع في ذلك الحرم قرى الأحالف أفخاذ من بنى أسيد كانت دارهم باليمامة ، فصار مكان دارهم في الحرم . والأحاليف: سيحان ونهارة ونمر والحارث بنو جروة...وكان يقول: والشاء وألوانها ، وأعجبها السود وألبانها ،

والشاة السوداء ، واللبن الأبيض ، إنه لعجب محض ، وقد حرم المذق ، فما لكم لا تمجعون .

وكان يقول: يا ضفدع ابنة ضفدع ، نِقي ما تنقين ، أعلاك في الماء ، وأسفلك في الطين ، لا الشارب تمنعين ، ولا الماء تكدرين .

وكان يقول: والمُبْذِرات زرعاً ، والحاصدات حصداً ، والذاريات قمحاً ، والطاحنات طحناً ، والخابزات خبزاً ، والشاردات ثرداً ، واللاقمات لقماً إهالةً وسمنا ، لقد فضلتم على أهل الوبر ، وما سبقكم أهل المدر ، ريفكم فامنعوه ، والمعتر فآووه ، والباغي فناوؤوه .

قال: وأتته امرأة من بني حنيفة تكنى بأم الهيثم فقالت: إن نخلنا لسُحْق ، وإن آبارنا لجُرْز ، فادع الله لمائنا ولنخلنا كما دعا محمد لأهل هزمان .

فقال: يا نَهَّار ماتقول هذه ؟فقال: إن أهل هزمان أتوا محمداً فشكوا بعد مائهم ، وكانت آبارهم جرزاً ونخلهم إنها سحق ، فدعا لهم فجاشت آبارهم ، وانحنت كل نخلة قد انتهت حتى وضعت جرانها لانتهائها ، فحكت به الأرض حتى أنشبت عروقاً ، ثم قطعت من دون ذلك ، فعادت فسيلاً مكمماً ينمو صاعداً .

قال كيف صنع بالآبار: قال دعا بسجل فدعا لهم فيه ، ثم تمضمض بفم منه ، ثم مجه فيه فانطلقوا به حتى فرغوه في تلك الآبار ، ثم سقوه نخلهم ففعل المنتهى ما حدثتك ، وبقي الآخر إلى انتهائه . فدعا مسيلمة بدلو من ماء فدعالهم فيه ، ثم تمضمض منه ثم مج فيه ، فنقلوه فأفرغوه في آبارهم فغارت مياه تلك الآبار وخوى نخلهم ! وإنما استبان ذلك بعد مهلكه .

وقال له نهّار: بارك على مولودي بني حنيفة ، فقال له: وما التبريك ؟ قال: كان أهل الحجاز إذا ولد فيهم المولود أتوا به محمداً فحنكه ومسح رأسه . فلم يؤت مسيلمة بصبى فحكنه ومسح رأسه إلا قرع ولثغ !

واستبان ذلك بعد مهلكه...

وأتاه رجل فقال: أدع الله لأرضي فإنها مسبخة كما دعا محمد لسلمى على أرضه ، فقال: ما يقول يا نهار؟ فقال: قدم عليه سلمى وكانت أرضه سبخة فدعا له وأعطاه سِجْلاً من ماء ومج له فيه ، فأفرغه في بئره ثم نزع ، فطابت وعذبت . ففعل مثل ذلك ، فانطلق الرجل ففعل بالسجل كما فعل سلمى فغرقت أرضه ، فما جف ثراها ، ولا أدرك ثمرها ! وكانوا قد علموا واستبان لهم ولكن الشقاء غلب عليهم »!

وقال ابن الجوزي في المنتظم(١/ ٤١٨): «وجعل يسجع لهم ويضاهي القرآن ، فمن قوله: سبح اسم ربك الأعلى ، الذي يستر على الحبلى ، فأخرج منها نسمة تسعى ، من بين أضلاع وحشي . يا ضفدعة بنت الضفدعين ، نقي ماتنقين ، وسبحي فحسنٌ ماتسبحين ، للطين تغنين سنين ، والماء تلبسين ثم لا تكدرين ولا تفسدين ، فسبحي لنا فيما تسبحين.. وكانوا إذا سمعوا سجعه قالوا: نشهد أنك نبي ، ثم وضع عنهم الصلاة وأحل لهم الخمر والزنا ونحو ذلك ».

وقال ابن الأعثم في الفتوح(١/ ٢٥): « قال لهم ثمامة: ويحكم يا بني حنيفة ، إسمعوا قولي تهتدوا ، وأطيعوا أمري ترشدوا ، واعلموا أن محمداً كان نبياً مرسلاً لا شك في نبوته ، ومسيلمة رجل كذاب لا تغتروا بكلامه وكذبه

فإنكم قد سمعتم القرآن الذي أتى به محمدﷺ عن ربه ، إذ يقول: بِسْمِ الله الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ . حَم . تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ الله الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ . غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِى الطَّوْلِ لا إِلَهَ إِلا هُوَ إِلَيْهِ الْمَصِيرُ..فأين هذا الكلام من كلام مسيلمة الكذاب ! فانظروا في أموركم ولا يذهبن هذا عنكم ».

(١٢) اعتداء مسيلمة على المسلمين

بدأ مسيلمة بالخروج على دولة النبيﷺ وسيطر على مدينة حجر اليمامة (حجر اليمامة هي الرياض الفعلية) وأخرج ثمامة عامل النبيﷺ ومن ثبت على إسلامه منها . وقتل رسول النبيﷺ وهو حبيب بن نسيبة بنت عمارة .

قال البلاذري في فتوح البلدان (١/ ١١٠): «وكان رسول اللهﷺ بعث حبيب بن زيد بن عاصم ، أحد بنى مبذول بن عمرو بن غنم بن مازن بن النجار ، وعبد الله بن وهب الأسلمي ، إلى مسيلمة ، فلم يعرض لعبد الله ، وقطع يدي حبيب ورجليه . وأم حبيب نسيبة بنت كعب » .

ثم حارب مسيلمة ثمامة والمسلمين ، وكان يقتل من لم يشهد له بأنه نبيٌّ مع النبي محمدﷺ !

ففي سعد السعود للسيد ابن طاووس/ ١٣٧: «رويَ أن مسيلمة أخذ رجلين فقال لأحدهما: ما تقول في محمد؟ قال: رسول الله . قال: ما تقول فيَّ ؟قال: وأنت أيضاً . فخلاه .

وقال للآخر: ما تقول في محمد؟ قال: رسول الله . قال: ما تقول فيَّ؟ قال: أنا أصم . فأعاد عليه جوابه ثلاثاً ، فقتله !

فبلغ رسول الله فقال ﷺ: أما الأول فقد أخذ برخصة رسول الله ، وأما الثاني فقد صدع بالحق ، فهنياً له ».

(١٣) سجاح تتنبأ ثم تتزوج مسيلمة

في هذه الفترة وصلت سجاح المتنبئة بقوتها العسكرية الصغيرة ، الى اليمامة ، وآمنت بمسيلمة وتزوجت به وأخذت منه مالاً ، ثم تركته بعد ثلاثة أيام ، وعادت الى بلادها في منطقة الموصل.

قال البلاذري (١/ ١١٨): «قالوا: وتنبأت أم صادر ، سجاح بنت أوس ، بن حق ، بن أسامة ، بن الغنيز ، بن يربوع ، بن حنظلة ، بن مالك ، بن زيد مناة ، بن تميم..وتكهنت . فاتَّبعها قوم من بنى تميم وقوم من أخوالها بنى تغلب . ثم إنها سجعت ذات يوم فقالت: إن رب السحاب ، يأمركم أن تغزوا الرباب . فغزتهم فهزموها ولم يقاتلها أحد غيرهم .

فأتت مسيلمة الكذاب وهو بحِجْر فتزوجته (حجر اليمامة هي الرياض الفعلية) وجعلت دينها ودينه واحداً . فلما قُتل صارت إلى إخوانها فماتت عندهم . وقال ابن الكلبي: أسلمت سجاح وهاجرت إلى البصرة وحسن إسلامها . وقال عبد الأعلى بن حماد النرسي: سمعت مشايخ من البصريين يقولون إن سمرة بن جندب الفزاري صلى عليها وهو يلي البصرة من قبل معاوية ، قبل قدوم عبيد الله بن زياد من خراسان وولايته البصرة . وقال ابن

الكلبي: كان مؤذن سجاح الجنبة بن طارق بن عمرو بن حوط الرياحي، وقوم يقولون: إن شبث بن ربعي الرياحي كان يؤذن لها ».

وفي تاريخ الطبري(٢/ ٤٩٨): «واجتمع رؤساء أهل الجزيرة وقالوا لها: ما تأمريننا فقد صالح مالك (بن نويرة) ووكيع قومهما، فلا ينصروننا، ولا يريدوننا على أن نجوز في أرضهم، وقد عاهدنا هؤلاء القوم؟

فقالت: اليمامة. فقالوا: إن شوكة أهل اليمامة شديدة وقد غلظ أمر مسيلمة. فقالت: عليكم باليمامة، ودُفوا دفيف الحمامة، فإنها غزوةُ صرامة (وقت صرام النخل وقطافه) لا يلحقكم بعدها ملامة.

فنهدت لبني حنيفة، وبلغ ذلك مسيلمة فهابها وخاف إن هو شغل بها أن يغلبه ثمامة على حِجر (مدينة الرياض الفعلية) أو شرحبيل بن حسنة، أو القبائل التي حولهم، فأهدى لها ثم أرسل إليها يستأمنها على نفسه حتى يأتيها، فنزلت الجنود على الأمواه وأذنت له وآمنته، فجاءها وافداً في أربعين من بنى حنيفة. وكانت راسخة في النصرانية، قد علمت من علم نصارى تغلب. فقال مسيلمة: لنا نصف الأرض، وكان لقريش نصفها لو عدلت، وقد رد الله عليك النصف الذي ردت قريش فحباك به، وكان لها لو قبلت.

فقالت: لا يرد النصف إلا من حَنَف، فاحمل النصف إلى خيل تراها كالسَّهَف (كحراشف السمك).

فقال مسيلمة: سمع الله لمن سمع، وأطمعه بالخير إذ طمع، ولازال أمره في كل ما سر نفسه يجتمع، رآكم ربكم فحياكم، ومن وحشة خلاكم، ويوم

دينه أنجاكم ، فأحياكم علينا من صلوات معشر أبرار ، لا أشقياء ولا فجار يقومون الليل ويصومون النهار ، لرب الكبار، رب الغيوم والأمطار.

وقال أيضاً: لما رأيت وجوههم حسنت ، وأبشارهم صفت ، وأيديهم طفلت ، قلت لهم لا النساء تأتون ، ولا الخمر تشربون ، ولكنكم معشر أبرار ، تصومون يوماً وتكلفون يوماً ، فسبحان الله إذا جاءت الحياة كيف تحيون ، وإلى ملك السماء ترقون ، فلو أنها حبة خردلة لقام عليها شهيد يعلم ما في الصدور ، وأكثر الناس فيها الثبور...

ذُكر أن مسيلمة لما نزلت به سجاح أغلق الحصن دونها ، فقالت له سجاح: إنزل . قال: فنحى عنك أصحابك ، ففعلت.

فقال مسيلمة: إضربوا لها قبة وجمروها ، لعلها تذكر الباه ، ففعلوا .

فلما دخلت القبة نزل مسيلمة فقال: ليقف هاهنا عشرة وهاهنا عشرة . ثم دارسها فقال: ما أوحى إليك ؟ قالت: هل تكون النساء يبتدئن ، ولكن أنت ما أوحى إليك ؟ قال: ألم تر إلى ربك كيف فعل بالحبلى ، أخرج منها نسمة تسعى ، من بين صفاق وحشى .

قالت: وماذا أيضاً؟ قال: أوحى إليَّ إن الله خلق النساء أفراجاً ، وجعل الرجال لهن أزواجاً ، فنولج فيهن قعساً إيلاجاً ، ثم نخرجه إذا نشاء إخراجاً ، فينتجن لنا سخالاً إنتاجاً !

قالت: أشهد أنك نبي. قال: هل لك أن أتزوجك فآكل بقومي وقومك العرب ؟ قالت: نعم...(ثم ذكر أبياتاً جنسية صريحة وزعم أنها أوحي بها اليه !).

فأقامت عنده ثلاثاً ثم انصرفت إلى قومها ، فقالوا: ما عندك؟ قالت: كان على الحق فاتبعته فتزوجته...

وكان من أصحابها الزبرقان بن بدر ، وعطارد بن حاجب ، ونظراؤهم.. فصالحها على أن يحمل إليها النصف من غلات اليمامة وقال: خلِّفي على السلف من يجمعه لك ، وانصرفي أنت بنصف العام ، فرجع فحمل إليها النصف فاحتملته وانصرفت به إلى الجزيرة ، وخلفت الهذيل وعقة وزياداً لينجز النصف الباقي ، فلم يفجأهم إلا دنو خالد بن الوليد منهم ، فارفضوا ، فلم تزل سجاح في بنى تغلب ».

وفي فتوح ابن أعثم (١/ ٢٢): «وقد كانت ادعت النبوة وتبعها رجال من قومها: غيلان بن خرشة ، والحارث بن الأهتم ن وجماعة من بني تميم. قال: وكان لها مؤذن يؤذن بها ويقول: أشهد أن سجاح نبية الله. قال: فسارت سجاح هذه إلى مسيلمة الكذاب سلمت عليه بالنبوة، وقالت: إنه بلغني أمرك وسمعت بنبوتك ، وقد أقبلت إليك وأحببت أن أتزوج بك ، ولكن أخبرني ما الذي أنزل إليك من ربك؟

فقال مسيلمة:أنزل علي من ربي: لا أقسم بهذا البلد، ولا تبرح هذا البلد ، حتى تكون ذا مال وولد ، ووفر وصفد (الصفد: العطاء) وخيل وعدد ، إلى آخر الأبد ، على رغم من حسد .

فقالت سجاح: إنك نبيٌّ حقاً، وقد رضيت بك وزوجتك نفسي، ولكن أريد أن تجعل لي صداقاً يشبهني . قال مسيلمة: فإني قد فعلت ذلك ، قال: دعا مسيلمة بمؤذنه فقال: ناد في قوم هذه المرأة: ألا إن نبيكم مسيلمة قد

رفع عنكم صلاتين من الخمس التي جاء بها محمد بن عبد الله ، وهي صلاة الفجر وصلاة العشاء الأخيرة .

فقالت سجاح: أشهد أنك لقد جئت بصواب » .

وقال اليعقوبي:٢/ ١٣١: «وافتتحت اليمامة وهربت سجاح فماتت بالبصرة . وكان فتح مسيلمة في سنة١١ ، وقتل في شهر ربيع الأول سنة١٢».

(١٤) أرسل أبو بكر عكرمة ثم شرحبيل لقتال مسيلمة

«وقد كان بعث قبله (أي قبل خالد) إلى مسيلمة عكرمة بن أبي جهل وشرحبيل بن حسنة ، فلم يقاوما بني حنيفة ، لأنهم في نحو أربعين ألفاً من المقاتلة ، فعجِل عكرمة قبل مجئ صاحبه شرحبيل فناجزهم ، فنُكب ، (خسر جرحى وقتلى وانهزم) **فانتظر خالداً**».(النهاية:٦/ ٣٥٥).

« وعجل شرحبيل بن حسنة وفعل فعل عكرمة ، وبادر خالداً بقتال مسيلمة قبل قدوم خالد عليه فنكب ، فحاجَز (هَادَنهم) فلما قدم عليه خالد ، **لامه** ». (الطبري:٢/ ٥٠٥).

لكن الصحيح أن عكرمة جاء قبل شرحبيل ، ومعه سرية فرسان وهو الذي اشتبك مع أتباع مسيلمة ونكب .

ففي تاريخ الطبري(٢/ ٢٩١و٥٢٩): « وقد كان أبو بكر بعث عكرمة إلى مسيلمة باليمامة ، وأتبعه شرحبيل بن حسنة وسمى لهما اليمامة وأمرهما بما أمر به حذيفة وعرفجة ، فبادر عكرمة شرحبيل وطلب حظوة الظفر فنكبه مسيلمة ، فأحجم عن مسيلمة وكتب إلى أبي بكر بالخبر. وأقام شرحبيل

عليه حيث بلغه الخبر . وكتب أبو بكر إلى شرحبيل بن حسنة أن أقم بأدنى اليمامة حتى يأتيك أمري ، وترك أن يمضيه لوجهه الذي وجهه له ، وكتب إلى عكرمة يعنفه لتسرعه ويقول: لا أرينك ولا أسمعن بك إلا بعد بلاء، والحق بعمان حتى تقاتل أهل عمان وتعين حذيفة وعرفجة . وكل واحد منكم على خيله » .

ويظهر أن عدد جيش شرحبيل كان أكثر من خيل عكرمة ، فقد روى الطبري:٢/ ٤٩٨، في خبر سجاح: «فنهدت لبنى حنيفة ، وبلغ ذلك مسيلمة فهابها وخاف إن هو شغل بها أن يغلبه ثمامة على حِجْر ، أو شرحبيل بن حسنة ، أو القبائل التي حولهم ، فأهدى لها ، ثم أرسل إليها يستأمنها على نفسه حتى يأتيها ».

وكان شرحبيل على بعد يوم من مسيلمة: «فسار خالد ومعه شرحبيل ، حتى إذا كان من عسكر مسيلمة على ليلة ، هجم على جبيلة ». (الطبري:٢/ ٥٠٨).

(١٥) ثم أرسل خالداً وأمر عكرمة وشرحبيل بطاعته

عَسْكَرَ خالد مقابل مسيلمة ، ورتب جيشه على طريقته ، فقدم الذين يحب التخلص منهم ، ونصب لنفسه فسطاطاً في آخر الجيش ، وجلس فيه !

وقد جعل على مقدمته شرحبيل بن حسنة ، ورجلاً من أقاربه بني مخزوم إسمه خالد ، وعلى ميمنته زيد بن الخطاب ، وعلى ميسرته أبا حذيفة بن عتبة بن ربيعة الأموي في المهاجرين، ورايته بيد مولاه سالم المشهور ، وعلى الأنصار ثابت بن قيس بن شماس . (الطبري:٢/ ٥٠٨، و:٣/ ٢٨٨).

(١٦) مجّاعة بن مرارة يقع في قبضة خالد بن الوليد

عندما اقترب خالد بجيشه من عقرباء مركز مسيلمة ، قبضوا على نحو عشرين من بني حنيفة فيهم مجَّاعة ، وهو من رؤساء بنس حنيفة .

قال ابن سعد في الطبقات:٥/ ٥٤٩: « لما نزل خالد بن الوليد العَرْض ، وهو يريد اليمامة ، قدَّم خيلاً مائتي فارس وقال: من أصبتم من الناس فخذوه ، فانطلقوا فأخذوا مجَّاعة بن مرارة الحنفي في ثلاثة وعشرين رجلاً من قومه خرجوا في طلب رجل من بني نمير .

فسأل مجاعة فقال: والله ما أقربُ مسيلمة ، ولقد قدمت على رسول الله ﷺ فأسلمت وما غيرت ولا بدلت .

فقدم خالد القوم فضرب أعناقهم ، واستبقى مجاعة فلم يقتله ، وكان شريفاً كان يقال له: مجَّاع اليمامة .

وقال سارية بن عمرو لخالد بن الوليد: إن كان لك بأهل اليمامة حاجة فاستبق هذا ، يعني مجاعة بن مرارة ، فلم يقتله وأوثقه في جامعة من حديد ودفعه إلى امرأته أم تميم (زوجة مالك بن نويرة) فأجارته من القتل وأجارها مجاعة منه إن ظفرت حنيفة ، فتحالفا على ذلك !

وكان خالد يدعو به ويتحدث معه ويسائله عن أمر اليمامة وأمر بني حنيفة ومسيلمة ، فيقول مجاعة:وإني والله ما اتبعته وإني لمسلم .

قال: فهلا خرجت إليَّ أو تكلمت بمثل ما تكلم به ثمامة بن أثال ؟

قال: إن رأيت أن تعفو عن هذا كله فافعل . قال: قد فعلت » .

(١٧) عدد جيش مسيلمة وجيش المسلمين

قال الطبري (٢/٥٠٨) في عدد جيش مسيلمة: «المقلل يقول أربعين (ألفاً) والمكثر يقول ستين». **وقال في**:٢/ ٥١٤: «قتل في الحديقة عشرة آلاف ».

وقال في:٢/٥١٦: « وقتل من بنى حنيفة في الفضاء بعقرباء سبعة آلاف ، وفى حديقة الموت سبعة آلاف ، وفى الطلب نحو منها ». والإمتاع:١٤/ ٥٣١.

وقد يكون في هذا العدد مبالغة ، لأن المعركة في اليوم الثاني انتقلت الى الحديقة المسورة ومن البعيد أنها تتسع لسبعة آلاف ونحوهم من المسلمين ، حتى لو كانت بستاناً كبيراً ، وقد يكون عدد بني حنيفة عشرة آلاف ، وعدد المسلمين ثلاثة آلاف ، وهم سرية شرحبيل وخيل عكرمة ، وجيش خالد . وقد استشهد منهم بضع مئات ، وقيل ألفٌ ومئتان .

وقال العيني في عمدة القاري:١٤/ ١٣٩: «وكانت في ربيع الأول من سنة اثنتي عشرة من الهجرة..وقيل: كانت في أواخر سنة إحدى عشرة ، وقتل فيها جماعة من المسلمين ، فيهم أربع مائة وخمسون من حملة القرآن ، ومن الصحابة». وذكر أن عدد بني حنيفة نحو أربعين ألفاً . وعدد المسلمين في نسخته بياض.

(١٨) صورة عامة لمعركة اليمامة

استمرت المعركة يومين ، وانهزم المسلمون في اليوم الأول مرات ، وانهزموا في اليوم الثاني حتى وصلت هزيمتهم الى آخر المعسكر ، حيث فسطاط خالد بن الوليد ، فانهزم خالد من خيمته وترك زوجته للعدو!

ثم لَطُفَ الله تعالى بالمسلمين بمبادرات أبطالهم خاصة عمار والأنصار، فثبَّتوا المسلمين وشجَّعوهم، وتقدموا أمامهم وحملوا على العدو فجندلوا أبطاله، ثم حمل المسلمون حملة رجل واحد، فألجؤوا بني حنيفة الى حديقة مسورة، فدخلوا فيها وأغلقوا بابها، فتسور شجعان المسلمين ونزلوا خلف الباب، وشغلوا العدو حتى كسر المسلمون الباب ودخلوا، فانتقلت المعركة الى داخل الحديقة، وكانت معركة صعبه، تكبد المسلمون في أولها أكثر من مئة شهيد، وصمدوا وثبتوا حتى قُتل عدو الله مسيلمة، وانتصر المسلمون.

روى ابن عساكر في تاريخ دمشق(٦٢/ ٤١٥) عن وحشي بن عبيد، قال: «لقيناهم فاقتتلنا قتالاً شديداً فهزموا المسلمين ثلاث مرات. قال: وكر عليهم المسلمون في الرابعة، فتاب الله عليهم فثبت أقدامهم، فصبروا لوقع السيوف، واختلفت بينهم وبين بني حنيفة السيوف حتى رأيت شهب النار تخرج من خلالها، وحتى سمع لها أصواتاً كأجراس الإبل، وأنزل الله علينا نصره وهزم الله بني حنيفة وقتل الله مسيلمة».

وقال ابن الأعثم (٢/ ٣٠): «قال رافع بن خديج الأنصاري..هزمونا نيفاً على عشرين هزيمة وقتلوا منا مقتلة عظيمة، وكادوا أن يفضحونا مراراً، غير أن الله عز وجل أحب أن يعز دينه».

وفي تاريخ الإسلام(٣/ ٣٩) قال وحشي بن عبيد: «لم أر قط أصبر على الموت من أصحاب مسيلمة، ثم ذكر أنه شارك في قتل مسيلمة... لما كان يوم اليمامة

دخل ثابت بن قيس فتحنط ، ثم قام فأتى الصف والناس منهزمون فقال: هكذا عن وجوهنا ، فضارب القوم ثم قال: بئسما عودتم أقرانكم ، ما هكذا كنا نقاتل مع رسول الله صلى الله عليه وآله فاستشهد » .

وفي تاريخ الطبري(٢/ ٥١٣): «عن عبيد بن عمير إن المهاجرين والأنصار جبَّنوا أهل البوادي ، وجبَّنهم أهل البوادي ، فقال بعضهم لبعض: امتازوا كي نستحي من الفرار اليوم ، ونعرف اليوم من أين نؤتى ، ففعلوا .

وقال أهل القرى: نحن أعلم بقتال أهل القرى يا معشر أهل البادية منكم. فقال لهم أهل البادية: إن أهل القرى لا يحسنون القتال ، ولا يدرون ما الحرب ، فسترون إذا امتزتما من أين يجئ الخلل ، فامتازوا ، فما رؤى يوم كان أحدَّ ولا أعظم نكاية مما رؤى يومئذ ، ولم يدر أي الفريقين كان أشد فيهم نكاية ، إلا أن المصيبة كانت في المهاجرين والأنصار أكثر منها في أهل البادية ، وإن النقمة أبداً في الشدة (أي الخسارة على الأشجع) ورمى عبد الرحمن بن أبي بكر المحكَّم بسهم فقتله ، وهو يخطب فنحره . وقتل زيد بن الخطاب الرحَّال بن عنفوة... لما اشتد القتال وكانت يومئذ سجالاً ، إنما تكون مرة على المسلمين ومرة على الكافرين، فقال خالد: أيها الناس امتازوا لنعلم بلاء كل حي ، ولنعلم من أين نؤتى ، فامتاز أهل القرى والبوادي وامتازت القبائل من أهل البادية وأهل الحاضر، فوقف بنو كل أب على رايتهم فقاتلوا جميعاً ، فقال أهل البوادي يومئذ: الآن يستحر القتل في الأجذع الأضعف ، فاستحر القتل في أهل القرى ، وثبت مسيلمة

ودارت رحاهم عليه ، فعرف خالد أنها لا تركد إلا بقتل مسيلمة ، ولم تحفل بنو حنيفة بقتل من قتل منهم ».

وفي الطبري:٢/ ٥٠٩: «وكانت راية المهاجرين مع سالم مولى أبى حذيفة فقالوا: نخشى علينا من نفسك شيئاً . فقال: بئس حامل القرآن أنا إذاً . وكانت راية الأنصار مع ثابت بن شماس ، وكانت العرب على راياتها.. وترادَّ المسلمون فكروا عليهم فانهزمت بنو حنيفة ، فقال المحكم بن الطفيل: يا بنى حنيفة أدخلوا الحديقة فإنى سأمنع أدباركم . فقاتل دونهم ساعة ثم قتله الله... ودخل الكفار الحديقة وقتل وحشى مسيلمة وضربه رجل من الأنصار ، فشاركه فيه ».

وفي تاريخ دمشق:٦٢/ ٤٠٥: «قال وحشي ـ: فدفعت إلى مسيلمة فزرقته بالحربة وضربه رجل من الأنصار ، فربك أعلم أينا قتله».

<u>وأوضح وصف للمعركة وأكثرها تفصيلاً واصحها ما رواه ابن الأعثم (١/ ٢٧) ،</u> وخلاصته: أن أول من تقدم للحرب عمار بن ياسر رحمه الله قال: « وتقدم عمار بن ياسر وفي يده صحيفة له يمانية ، ثم حمل فلم يزل يقاتل حتى قتل منهم جماعة ، وحمل رجل من بني حنيفة فضربه فاتقاها عمار بحجفته فزاحت الضربة عن الحجفة ، وهوت إلى أذن عمار فرمت بها ، فلما بقيت أذن عمار معلقة سقطت على عاتقه ، قال: وداخله عمار فضربه ضربة قتله » .

ثم تقدم الحارث بن هشام المخزومي أخو أبي جهل ، فقاتل ورجع الى موقفه. ثم تقدم زيد بن الخطاب فقاتل حتى قتل ، ثم تقدم عامر بن بكير العدوي فقاتل حتى قتل .

ثم اشتبكت الحرب بين الفريقين فقتل من المسلمين زهاء ثلاث مائة رجل وقتل من بني حنيفة جماعة . فأمسى القوم فرجع بعضهم عن بعض ولم ينم منهم أحد تلك الليلة لما يخافون من البيات .

فلما كان من الغد دنا بعضهم إلى بعض ، وتقدم محكم بن الطفيل وزير مسيلمة وصاحب أمره ، فتقدم حتى وقف أمام أصحابه شاهراً سيفه ، ثم حمل على المسلمين فقاتل قتالاً شديداً ، وحمل عليه ثابت بن قيس الأنصاري فطعنه في خاصرته طعنة نكسه عن فرسه قتيلاً . ثم لم يزل ثابت يقاتل حتى قتل .

ثم تقدم السائب بن العوام أخو الزبير بن العوام ، فقاتل حتى قتل .

ثم: «صاحت بنو حنيفة بعضها ببعض، وحملوا على المسلمين حملة منكرة حتى أزالوهم عن موقفهم ، وقتلوا منهم نيفاً على ثمانين رجلاً .

قال: ثم كبر المسلمون وحملوا عليهم وكشفوهم كشفة قبيحة .

ثم تراجعت بنو حنيفة ومعهم صاحبهم مسيلمة ، حتى وقف أمام قومه ثم حسر عن رأسه ، ثم إنه حمل وحمل معه بنو حنيفة كحملة رجل واحد ، وانهزم المسلمون بين أيديهم وأسلموا سوادهم وصارت بنو حنيفة إلى فسطاط خالد» وهرب خالد منهم تاركاً زوجته !

ثم جاء دور الأبطال عمار بن ياسر ، والبراء بن مالك ، وأبي دجانة ، وثابت بن قيس بن شماس ، وابن عمه بشير بن عبد الله من بني الحارث بن النجار ، وغيرهم من حماة الأنصار ، فتقدموا المسلمين وحملوا على بني حنيفة وهم بقيادة مسيلمة ، حتى هزموهم وساقوهم الى الحديقة .

وهنا تشجع خالد! فقالوا:

«واقتحم خالد بن الوليد الحديقة بفرسه ، وبيده سيف لو ضرب به الحجر لقطعه ، قال: فاستقبله رجل من بني حنيفة فقال له: أين تريد يا ابن كذا وكذا ؟ فحمل عليه خالد واعتنقه الحنفي فسقطا عن فرسيهما جميعاً إلى الأرض ، فسقط الحنفي تحت خالد فجعل يجرحه بخنجر كان معه ، وخالد قد قبض على حلقه والحنفي يجرحه من تحت ، حتى جرحه سبع جراحات فوثب خالد وتركه ، وإذا فرس خالد قد غار عن الحديقة ، فجعل خالد ظهره إلى باب الحديقة وجعل يقاتل ، حتى تخلص وهولما به » !

أي تخلص خالد من الحنفي لكنه كان في آخر نفس ، ورجع الى خيمته !

ثم كانت حملة فرسان الأنصار وحماتهم المئة:

« وأقبل عباد بن بشر الأنصاري حتى وقف على باب الحديقة ثم نادى بأعلى صوته: يا معشر الأنصار! إحطموا جفون سيوفكم ، واقتحموا الحديقة عليهم فقاتلوهم أو يقتل مسيلمة الكذاب .

ثم كسر عباد بن بشرجفن سيفه ، وكسرت الأنصار جفان سيوفهم ، واقتحموا الحديقة ، فقاتلوا حتى ما بقي منهم إلا أربعة نفر ، فإنهم أقبلوا مجروحين لما بهم . قال: وعظم الأمر على الفريقين جميعاً»!

ثم قـرر المسـلمون أن يقتحمـوا الحديقـة بـأجمعهم ، فـنجح اقتحـامهم ، وانتقلت المعركة الى داخل الحديقة ، حتى قتل الله عدو الله مسيلمة .

قال ابن الأعثم:١/ ٣١: «التفت بنو حنيفة إلى مسيلمة فقالوا له: يا أبـا ثمامـة ألا ترى إلى ما نحن فيه من قتال هؤلاء ؟ فقال مسيلمة: بهذا أتـاني الـوحي أن القوم يُلجؤوكم إلى هذه الحديقة ويكون قتالكم معهم في جوفها ، فقال له بعضهم: فأين ماوعدتنا من ربك بأنه ينصرنا على عدونا، وأن هذا الدين الذي نحن فيه هو الدين القيم؟

فقال مسيلمة: أما الدين فلادين لكم ، ولكن قاتلوا عن أحسابكم .

قال: فعنـد ذلـك علـم القـوم أنهـم كـانوا في غـرور وضـلال.. فـاقتحم المسلمون بأجمعهم على مسيلمة وأصحابه فقاتلوهم حتـى احمـرت الأرض من الدماء ».

وبعد قتل مسيلمة تشجع خالـد: « أقبـل خالـد بـن الوليـد حتـى دخـل الحديقة ومعه جماعة من المسلمين ، فوقف على مسيلمة وهو مقتول» !

(١٩) لم يقاتل خالد في معركة اليمامة أبداً ، وهرب مرتين !

استمرت المعركة يومين ، ولم يقاتل فيها قائدها خالـد بـن الوليـد أبـداً ، لكنه انهزم مرتين ، مرة مع المسلمين ، ومرة وحده !

وانهزم المسلمون هزائم صغيرة وكبيرة ، ووصلت هزيمتهم الى فسـطاط خالد فهرب وترك زوجته أم تميم ، التي غصبها من مالك بن نويرة !

قال الطبري:٢/ ٥١٠: « ثم التقى الناس ولم يلقهم حرب قط مثلها من حرب العرب ، فاقتتل الناس قتالاً شديداً حتى انهزم المسلمون ، وخلص بنو حنيفة إلى مجاعة والى خالد ، فزال (هرب) خالد عن فسطاطه ، ودخل أناس الفسطاط وفيه مجاعة (أسير خالد) عند أم تميم ، فحمل عليها رجل بالسيف ، فقال مجاعة: أنا لها جارٌ فنعمت الحرة ، عليكم بالرجال . فرَعْبَلُوا الفسطاط بالسيوف » .

أقول: في هذا الهروب عارٌ على خالد كقائد ، وعارٌ عليه كزوج أن يترك زوجته لأعدائه ويهرب ، وأن يترك أسيره مجَّاعة أيضاً .

وكان مجاعة مقيداً فحل وثاقه بنو حنيفة ، لأنه من قادتهم فأمرهم بملاحقة رجال المسلمين ، فأطاعوه وتركوا زوجة خالد ، ولم يذهب معهم مجاعة وبقي أسيراً عند زوجة خالد ، ولعله قدر أن هزيمة المسلمين موقتة وأن الغلبة لهم ، فأراد أن يبقى ليخلص من يستطيع من قومه ، كما فعل .

ولعله كان عاشقاً لأم تميم التي وصفوها بأنها أجمل نساء العرب ، والتي قتل خالد زوجها ابن نويرة من أجلها.

وأما هزيمة خالد الثانية ، فعندما استعاد المسلمون المبادرة ، وهزموا بني حنيفة الى حديقة المسورة بسور عال ، فجاءته الشجاعة فركب فرسه وذهب باتجاه الحديقة ، ليدخلها ويتخذ مكاناً في آخر جيشه الذي اشرف على النصر ، فيأمر وينهى !

قال ابن الأعثم في فتوحه (١/ ٣١) يصف شجاعة خالد !

« واقتحم خالد بن الوليد الحديقة بفرسه وبيده سيف لو ضرب به الحجر لقطعه ، قال: فاستقبله رجل من بني حنيفة فقال له:أين تريد يا ابن كذا وكذا ؟ فحمل عليه خالد واعتنقه الحنفي فسقطا عن فرسيهما جميعاً إلى الأرض، فسقط الحنفي تحت خالد فجعل يجرحه بخنجر كان معه، وخالد قد قبض على حلقه والحنفي يجرحه من تحت حتى جرحه سبع جراحات، فوثب خالد وتركه وإذا فرس خالد قد غار عن الحديقة، فجعل خالد ظهره إلى باب الحديقة وجعل يقاتل حتى تخلص، وهو لما به ».

ومعناه ، أن خالداً لم يستطع أن يغلب الحنفي ، مع أنه وقع تحته وسيفه يقطع الصخر! فطعنه الحنفي من تحته طعنات ، وغاية ما استطاع خالد أن يفعله أنه تخلص منه وهرب ، فوجد فرسه قد هرب ، فاحتمى بحائط الحديقة من الحنفي وهو لما به ، أي في آخر رمق ! ورجع الى خيمته ولم يدخل الى الحديقة مع أن المعركة دامت فيها ساعات ، وربما نصف نهار ، حتى انتصر المسلمون وقُتل مسيلمة !

قال ابن الأثير في الكامل:٢/ ٣٦٥: «وأُخبر خالد بقتل مسيلمة ، فخرج بمجاعة يرسف في الحديد ليدله على مسيلمة ، فجعل يكشف له القتلى حتى مر بمحكم اليمامة وكان وسيماً فقال:هذا صاحبكم؟فقال مجاعة: لا ، هذا والله خير منه وأكرم ، هذا محكم اليمامة .

ثم دخل الحديقة فإذا رويجل أصيفر أخينس فقال مجاعة: هذا صاحبكم قد فرغتم منه . قال خالد: هذا الذي فعل بكم ما فعل ».

ويكفي لمعرفة خوف خالد أن نقارنه بمسيلمة: «ثم تراجعت بنو حنيفة (أي بعد هزيمتهم) ومعهم صاحبهم مسيلمة، حتى وقف أمام قومه، ثم حسر عن رأسه، ثم إنه حمل وحمل معه بنو حنيفة كحملة رجل واحد، وانهزم المسلمون بين أيديهم، وأسلموا سوادهم». (ابن الأعثم:١/ ٢٩).

فمسيلمة كان يقاتل في أول قومه، وخالد يجلس في الفسطاط في آخر قومه! وعندما يحصر المسلمون عدوهم داخل الحديقة ولا يبقى خارجها من جماعة مسيلمة إلا الشاذ النادر يتشجع خالد ويأتي الى الحديقة فيتعترضه رجل من بني حنيفة، فيتصارع معه خالد ويسقطه أرضاً، لكنه لا يستطيع أن يقتله، فيهرب منه بحشاشة نفسه!

ثم يكذب الرواة لخالد فيدعون أنه حمل وكان يراقب مسيلمة ليقتله مع أن مسيلمة كان حاسر الرأس في مقدمة قومه، فلماذا لم يتصدَّ له خالد؟!

قال الطبري:٢/ ٥١٢: «وحمل خالد بن الوليد، وقال لحماته: لا أوتين من خلفي، حتى كان بحيال مسيلمة، يطلب الفرصة ويرقب مسيلمة».

وأي فرصة كان يرقبها خالد، فغابت هذه الخبيثة ولم تأت؟!

أم الفرصة عنده أن يكتفوا له الشخص، فيقتله صبراً؟!

ولم يستح رواة السلطة حتى كذبوا لخالد أنه قاتل بنفسه، وشارك في الحملة، وبرز لمسيلمة فهرب منه مسيلمة!

قال الطبري(٢/ ٥١٣): «ثم برز خالد حتى إذا كان أمام الصف، دعا إلى البراز وانتمى، وقال:

أنا ابن الوليد العَوْدِ   أنا ابن عامر وزيْدِ

فجعل لا يبرز له أحد إلا قتله ، ولا يبرز له شئ إلا أكله ، وهو يرتجز:

أنا ابن أشياخٍ وسيفي السَّخْتُ   أعظم شئ حين يأتيك النَّفْتُ

ودارت رحى المسلمين وطحنت ، ثم نادى خالد حين دنا من مسيلمة.. فدعا مسيلمة طلباً لعورته فأجابه ، فعرض عليه أشياء مما يشتهى مسيلمة ، وقال: إن قبلنا النصف فأي الإنصاف تعطينا؟ فكان إذا هم بجوابه أعرض بوجهه مستشيراً ، فينهاه شيطانه أن يقبل ، فأعرض بوجهه مرة من ذلك ، وركبه خالد فأرهقه ، فأدبر » !

لاحظ أنهم حولوا المبارزة الى مفاوضة مع مسيلمة ، ثم قالوا:ركبه خالد فهرب! ولو هرب منه مسيلمة لاشتهر ذلك ، وعير به المسلمون قومه !

ومما يدلك على كذب مبارزاته المدعاة أنهم أبهموا نتيجتها فقالوا: برز وقتل وأكل كل من برز اليه ، لكن لا تجد إسماً ولا عدداً لأحد قتله خالد .

بل دلت رواية مجاعة عندما أخذه خالد معه ليدله على مسيلمة ، على أنه لم يكن رآه حتى وهو حاسر يقود قومه ! فقد دخل خالد الى الحديقة بعد المعركة ليرى جثة مسيلمة ، فتصور أنه رجل آخر ، ثم رأى صغر جثته فتعجب ، لأنه لم يكن يعرفه! ولو برز اليه كما زعموا لرآه ، بل لو كان في المعركة لرآه ، لأن مسيلمة كان كاشفاً رأسه وحمل على المسلمين فانهزموا ! وكان خالدٌ في الخيمة فهرب ولم ير المهاجمين !

قال ابن الأعثم:١/ ٣٢: «دفع بنو حنيفة جانباً من حائط الحديقة فهدموه، وخرجوا منها والسيف يأخذهم .وأقبل خالد بن الوليد حتى دخل الحديقة ومعه جماعة من المسلمين، فوقف على مسيلمة وهو مقتول ونظر إليه، فإذا هو أصفر أحمش ضعيف البدن، فقال خالد بن الوليد: أين مجاعة بن مرارة ؟ فقال: ها أنا ذا أصلح الله الأمير! فقال: هذا صاحبكم الذي أوقعكم؟! فقال مجَّاعة: نعم أصلح الله الأمير! هذا صاحبنا فلعنة الله عليه فلقد كان مشوماً على نفسه وعلى بني حنيفة ».

ثم اعجب من افتخار خالد بأبيه، وقوله: أنا ابن الوليد العَوْدِ ! وقوله:

أنا ابن أشياخٍ وسيفي السَّخْتُ　　　أعظم شيء حين يأتيك النَّفْتُ

والنَّفْتُ: ما يلصق بالقدر من المرق، أي العبرة بآخر القدر . (العين:٨/ ١٢٧).

والرجل العَوْد: العالم بالأمور الذي لايجهل مقامه . (لسان العرب: ٣/ ٣١٥).

فاعجب لقائد المسلمين يفتخر بأبيه الذي أنزل الله ذمه في القرآن! فلو حل الإيمان في قلبه لما افتخر بمن قال الله تعالى فيه: **ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيداً**.. وقال فيه: **وَلاتُطِعْ كُلَّ حَلافٍ مَهِينٍ . هَمَّازٍ مَشَّاءٍ بِنَمِيمٍ . مَنَّاعٍ لِلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ . عُتُلٍّ بَعْدَ ذَلِكَ زَنِيمٍ . أَنْ كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ .**

وقد اتفق المؤرخون والمفسرون على أنها نزلت في الوليد !

قال في تفسير الجلالين/٧٥٨: (دعيٌّ في قريش، وهو الوليد بن المغيرة، ادعاه أبوه بعد ثماني عشرة سنة) . وابن إسحاق:٢/ ١٤٠، والقرطبي:١٩/ ٧١.وعشرات المصادر

ومن نوع افتخار خالد بأبيه الدعي، احتقاره لعمار بن ياسر رضي الله عنه ، فقد وصفه بأنه عبد لأنه حليف بني مخزوم والحليف عندهم يشبه العبد ، مع أنه حر من قبيلة عَنْس اليمانية! ففي تاريخ دمشق:٤٣/ ٤٠١، أن عماراً تنازع مع خالد عند رسول الله صلى الله عليه وآله حتى تشاتما ، فقال خالد بن الوليد: أيشتمني هذا العبد عندك أما والله لولاك ما شتمني! فقال نبي الله صلى الله عليه وآله : كُفَّ يا خالد عن عمار ، فإنه من يبغض عماراً يبغضه الله ، ومن يلعن عماراً يلعنه الله ».

وفي فضائل الصحابة للنسائي/ ٥٠: « قال:ياخالد لاتسب عماراً فإنه من سب عماراً يسبه الله ، ومن ينتقص عماراً ينتقصه الله ، ومن سفه عماراً يسفهه الله ملئ عمار بن ياسر إيماناً إلى مشاشه ». والحاكم:٣/ ٣٨٩، وسنن النسائي:٥/ ٧٤، وكبير الطبراني:٤/ ١١٢، وسير الذهبي:٩/ ٣٦٧، وغيرهم .

(٢٠) صنّاع النصر وأهل البلاء في معركة اليمامة

كان سبب هزيمة المسلمين: أن المعركة في أرض العدو وبلده ، فبنو حنيفة مدافعون والمسلمون مهاجمون . وكان بإمكانهم أن يحاصروا بني حنيفة ويجروهم الى المعركة في مكان آخر ، لكن خالداً لم يفعل .

والسبب الثاني: أن قائد بني حنيفة كان يقاتل في أولهم: «ثم حسر عن رأسه ، ثم إنه حمل وحمل معه بنو حنيفة كحملة رجل واحد ، وانهزم المسلمون بين أيديهم ، وأسلموا سوادهم..وصارت بنو حنيفة إلى فسطاط خالد ». (ابن الأعثم:١/ ٢٧).

أما قائد المسلمين خالد ، فلم يقاتل معهم وجلس في فسطاطه ، حتى وصلت الهزيمة مرةً الى خيمته فهرب وترك «زوجته» أم تميم وأسيره المكتف مجَّاعة ، ودخل بنو حنيفة الخيمة وأراد أن يقتلوا زوجة خالد ، فأجارها مجَّاعة !

والسبب الثالث: أدار خالد المعركة بأسلوبه في إدارة كل معاركه ، فأمَّر قادة على القلب والمجنبتين ، وجلس في مؤخرة الجيش أو في جانبه ، فإن انتصر جيشه تقدم لإدارة النصر، وإن انهزم انهزم معه ثم تشاور مع كبار ضباطه فيما يفعل . أما أثناء المعركة فقد يحضر لكن للمراقبة ، ويكون معه مجموعة حرس يسمونهم «حماته» .

ولم أرَ أنه خاض مبارزة ولا غاص في جيش العدو:«وحمل خالد بن الوليد وقال لحماته:لا أوتين من خلفي حتى كان بحيال مسيلمة يطلب الفرصة ويرقب مسيلمة ». (الطبري:٢/ ٥١٢) ولم يزد على المراقبة !

أما سبب انتصار المسلمين بعد هزائمهم ، فهو مبادرات أبطال شجعان شعروا بالمسؤولية واستعدوا للتضحية ، بمبادرة فردية ، وأحياناً جمعية بعد تشاور بينهم . وكان القائد خالد غائباً عنها ، وكأنه ليس في المعركة !

ونورد فيما يلي ترجمة مختصرة تكشف دور كل واحد من هؤلاء الأبطال ، الذين أنقذوا الموقف ، وقطفوا النصر للمسلمين في معركة اليمامة ، وهم:

عمار بن ياسر . أبو دجانة الأنصاري . البراء بن مالك . ثابت بن قيس . بشير بن عبد الله وهو ابن عم ثابت . أم سليم نسيبة بنت عمارة .

أما الذين نسبت السلطة اليهم النصر فهم: خالد بن الوليد . وحشي. زيد بن الخطاب . وعبد الرحمن بن أبي بكر . حذيفة بن عتبة ، ومولاه سالم الفارسي .

(٢١) عمار بن ياسر رضي الله عنه

بخل رواة السلطة على عمار بن ياسر كعادتهم ، فلم يذكروا بطولته في معركة اليمامة ،لأن همهم أن يُبرزوا الموالين للخليفة ويخترعوا لهم بطولات ولا بأس أن يسرقوا لهم بطولات غيرهم خاصة من شيعة علي عليه السلام !

لكن أفلتت منهم روايتان حدث بهما عبد الله بن عمر ، وذكرت إحداهما أن عماراً أول من تقدم للقتال ، وذكرت الثانية أنه لما وقعت الهزيمة صعد على صخرة وصاح بالمسلمين اليَّ اليَّ، ليرجعوا ويحملوا على العدو.

قال ابن الأعثم:١/ ٢٧: « وتقدم عمار بن ياسر وفي يده صفيحة له يمانية ، ثم حمل فلم يزل يقاتل حتى قتل منهم جماعة ، وحمل رجل من بني حنيفة فضربه فاتقاها عمار بجحفته فزاحت الضربة عن الجحفة وهوت إلى أذن عمار فرمت بها ، فلما بقيت أذن عمار معلقة سقطت على عاتقه، قال: وداخله عمار فضربه ضربة قتله ».

ومعنى داخله: تقدم اليه عن قرب ليستطيع ضربه ، فضربه فقتله .

وروى الحاكم:٣/ ٣٨٥، عن عبد الله بن عمر وكان في المعركة، قال:«رأيت عمار بن ياسر يوم اليمامة على صخرة وقد أشرف يصيح: يا معشر المسلمين ، أمن

الجنة تفرون ! أنا عمار بن ياسر . أمن الجنة تفرون ! أنا عمار بن ياسر. هلمَّ إليَّ . وأنا أنظر إلى أذنه قد قطعت فهي تَذَبْذَب ، وهو يقاتل أشد القتال » !

أقول: كفى بهذين المشهدين دليلاً على أن عماراً كان في المعركة قائداً ، فالقائد يتقدم ويبرز أولاً وهو ما فعله عمار ، ولم يهتم لإصابته وقطع أذنه ، ونصره الله على الفارس الحنفي فقتله . وكان عمار يومها ابن بضع وستين سنة .

والقائد عندما يفر جنوده يثبت ، ويقف في مكان مرتفع ليروه ، ويصرخ فيهم ويناديهم طالباً أن يتجمعوا اليه ، ويعيدوا الكرة ويحملوا ، وهذا ما فعله عمار ، فهذا هو العمل القيادي ، فأين كان خالد الذي وصفوه بالقائد البطل ؟!

وبطولات عمارعديدة ، وستراها في فتوحات العراق وفارس ، وقد شهد حروب النبي صلى الله عليه وآله كلها وقاتل فيها ، وكان من أبطال بدر ، وقتل أحد صناديد قريش وهو الحارث بن زمعة ، وقيل قتل أبا قيس بن الفاكه بن المغيرة أيضاً ، وقيل قتله علي بن أبي طالب عليه السلام. (سيرة ابن هشام:٢/ ٥٢٧).

«الحارث بن الحضرمي قتله عمار بن ياسر ». (أعيان الشيعة:١/ ٢٤٨).

«وقتل عمار بن ياسر علي بن أمية بن خلف». (المعارف لابن قتيبة/ ١٥٧).

وفي معركة الجمل كان عمار في التسعين من عمره ، وقاتل بشجاعة ، وقتل عميرة بن يثربي فارس بني ضبة ، وكان عميرة الذين استماتوا في معركة الجمل ، وقتل ثلاثة من أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام هم: زيد بن صوحان العبدي ، وعلباء بن الهيثم السدوسي ، وهند بن عمرو بن جدراة الجملي.
وأخذ يرتجز ويقول:

إني لمن أنكرني ابن يثربي قاتل علباء وهند الجملي

ثم ابن صوحان على دين علي . (أنساب الأشراف/ ٢٤٤).

وكان عميرة قاضي البصرة (الطبقات:٧/ ١٤٩) « وأخذ ابن يثربي برأس الجمل وهو يرتجز.. فناداه عمار: لقد لعمري لذت بحريز وما إليك سبيل! (أي احتميت بعائشة وجملها ونحن لانريد أن نضربها) فإن كنت صادقاً فاخرج من هذه الكتيبة إليَّ ، فترك الزمام في يد رجل من بني عدي حتى كان بين أصحاب عائشة وأصحاب علي عليه السلام ، فزحم الناس عماراً حتى أقبل إليه فضربه فاتقاه عمار بدرقته فانتشب سيفه فيها ، فعالجه فلم يخرج ، فخرج عمار إليه لايملك من نفسه شيئاً ، فأسفَّ عمار لرجليه فقطعهما فوقع على إسته ». (وقعة الجمل للضبي/ ١٦٢).

وفي شرح النهج:١/ ٢٥٩: «فنشب سيف ابن يثربي في جحفة عمار ، فضربه عمار على رأسه فصرعه ، ثم أخذ برجله يسحبه حتى انتهى به إلى علي عليه السلام ».

وفي تاريخ دمشق:٤٣/ ٤٦٤: « فبرز له عمار وهو ابن ثلاث وتسعين ، عليه فروة مشدودة الوسط بشريط ، حمائل سيفه نسعة ، فانتقضت ركبتاه ، فجثى على ركبتيه فأخذه أسيراً فأتى به علياً عليه السلام ».

وقال ابن الأعثم في الفتوح:٢/ ٤٧٦: « ثم خرج محمد بن أبي بكر وعمار بن ياسر حتى وقفا قدام الجمل ، قال وتبعهما الأشتر ووقف معهما... فخرج عثمان الضبي وهو ينشد شعراً، فخرج إليه عمار بن ياسر فأجابه على شعره ثم حمل عليه عمار فقتله . قال: وقال كعب بن سور الأزدي: ليخرجْ إليَّ

عمار ، فسبقه إلى ذلك أبو زينب الأزدي ثم حمل عليه أبو زينب فقتله... قال: وخرج عمرو بن يثربي من أصحاب الجمل حتى وقف بين الصفين قريباً من الجمل، ثم دعا إلى البراز وسأل النزال فخرج إليه علباء بن الهيثم من أصحاب علي، فشد عليه عمرو فقتله ، ثم طلب المبارزة فلم يخرج إليه أحد ، فجعل يجول في ميدان الحرب وهو يرتجز ويقول شعراً ، ثم جال وطلب البراز ، فتحاماه الناس واتقوا بأسه ، قال: فبدر إليه عمار بن ياسر وهو يجاوبه على شعره والتقوا بضربتين ، فبادره عمار بضربة فأرداه عن فرسه ، ثم نزل إليه عمار سريعاً فأخذ برجله وجعل يجره حتى ألقاه بين يدي علي ، فقال علي: إضرب عنقه ! فقال عمرو: يا أمير المؤمنين ! استبقني حتى أقتل لك منهم كما قتلت منكم ! فقال علي: يا عدو الله ! أبعد ثلاثة من خيار أصحابي أستبقيك ، لا كان ذلك أبداً ! قال: فأدنني حتى أكلمك في أذنك بشئ ، فقال علي: أنت رجل متمرد ، وقد أخبرني رسول الله صلى الله عليه وآله بكل متمرد عليَّ ، وأنت أحدهم ! فقال عمرو بن يثربي: أما والله لو وصلت إليك لقطعت أنفك ! قال: فقدمه علي فضرب عنقه .

فخرج من بعد الضبي ابن عم له يقال له ثور بن عدي وهو ينشد شعراً ، فخرج إليه محمد بن أبي بكر مجيباً له وهو يقول شعراً ، ثم شد عليه محمد بن أبي بكر فضربه ضربة رمى بيمينه ، ثم ضربه ثانية فقتله .

قال: وخرج أخوه عميرة فجعل يرتجز ويقول شعراً ، فخرج عليٌّ وأجابه على شعره ، ثم حمل عليه علي فضربه ضربة على وجهه فرمى بنصف رأسه.

وانفرق عليٌّ يريد أصحابه فصاح به صائح من ورائه ، فالتفت وإذا بعبد الله بن خلف الخزاعي وهو صاحب منزل عائشة بالبصرة ، فلما رآه عليٌّ عرفه فناداه: ماتشاء يا ابن خلف؟ قال: هل لك في المبارزة ؟

قال علي: ما أكره ذلك ، ولكن ويحك يا ابن خلف ما راحتك في القتل وقد علمت من أنا ؟

فقال عبد الله بن خلف: دعني من مدحك نفسك يا ابن أبي طالب ، وادن مني لترى أينا يقتل صاحبه ، ثم أنشد شعراً فأجابه علي عليه والتقوا ، فبادره عبد الله بن خلف بضربة دفعها عليٌّ بحجفته ، ثم انحرف عنه عليٌّ فضربه ضربة رمى بيمينه ، ثم ضربه أخرى فأطار قحف رأسه ».

وروى ابن سعد في **الطبقات:٣/ ٢٥٦**: «كان عمار بن ياسر من أطول الناس سكوتاً وأقله كلاماً... رأيت عمار بن ياسر يوم صفين شيخاً آدم في يده الحربة ، وإنها لترعد ، فنظر إلى عمرو بن العاص ومعه الراية فقال: إن هذه راية قد قاتلتها مع رسول الله ﷺ ثلاث مرات وهذه الرابعة ، والله لو ضربونا حتى يبلغو بنا سعفات هجر لعرفت أنا على الحق وأنهم على الضلالة ..

قال وهو يسير إلى صفين على شط الفرات: اللهم إنه لو أعلم أنه أرضى لك عني أن أرمي بنفسي من هذا الجبل فأتردى فأسقط ، فعلت . ولو أعلم أنه أرضى لك عني أن أوقد ناراً عظيمة فأقع فيها ، فعلت . اللهم لو أعلم أنه أرضى لك عني أن ألقي نفسي في الماء فأغرق نفسي، فعلت . فإني لا أقاتل إلا أريد وجهك ، وأنا أرجو أن لا تخيبني وأنا أريد وجهك » .

أقول: تدلنا بطولات عمار هذه على دوره البطولي في حرب اليمامة، وإن اقتصر منه رواة الخلافة على المشهدين المتقدمين، وكفى بهما.

(٢٢) عمار يقتله إمام الدعاة الى النار !

اعترف أعداء عمار أن النبي ﷺ شهد له بالجنة وجعله علماً للأمة، وأنه وفئته يدعون الى الجنة، وأن الذين يقتلونه هم الفئة الباغية الداعية الى النار.

روى البخاري:٣/ ٢٠٧و:١/ ٤٥١، عن أبي سعيد الخدري قال:« كنا ننقل لِبْنَ المسجد لبنة لبنة، وكان عمار ينقل لبنتين لبنتين، فمر به النبي ﷺ ومسح عن رأسه الغبار وقال: ويح عمار تقتله الفئة الباغية. عمار يدعوهم إلى الله، ويدعونه إلى النار ».

وهو حديث صريح في أن عماراً من أهل الجنة والدعاة اليها، وأن معاوية إمام الفئة الباغية الداعية النار، وهو كاف لمن كان له قدر من العقل والدين، أن يتولى علياً عليه السلام وفئته، ويتبرأ من معاوية وفئته.

لكن علماء السلطة تحايلوا على الحديث واتخذوا إمام الدعاة الى النار إماماً، وبرروا له خروجه على الإمام الشرعي وتقتيله مئة ألف بينهم مئات الصحابة !

قال ابن حجر في فتح الباري:١/ ٤٥١: « فإن قيل كان قتله بصفين وهو مع علي والذين قتلوه مع معاوية، وكان معه جماعة من الصحابة، فكيف يجوز عليهم الدعاء إلى النار؟ فالجواب: أنهم كانوا ظانين أنهم يدعون إلى الجنة وهم مجتهدون لا لوم عليهم في اتباع ظنونهم، فالمراد بالدعاء إلى الجنة الدعاء إلى سببها وهو طاعة الامام، وكذلك كان عمار يدعوهم إلى طاعة

على وهو الإمام الواجب الطاعة إذ ذاك ، وكانوا هم يدعون إلى خلاف ذلك لكنهم معذورون للتأويل الذي ظهر لهم !

ثم قال ابن حجر: « فائدة: روى حديث تقتل عماراً الفئة الباغية جماعة من الصحابة منهم: قتادة بن النعمان كما تقدم ، وأم سلمة عند مسلم ، وأبو هريرة عند الترمذي ، وعبد الله بن عمرو بن العاص عند النسائي ، وعثمان بن عفان ، وحذيفة ، وأبو أيوب ، وأبو رافع ، وخزيمة بن ثابت، ومعاوية، وعمرو بن العاص ، وأبو اليسر وعمار نفسه . وكلها عند الطبراني وغيره . وغالب طرقها صحيحة أو حسنة ، وفيه عن جماعة آخرين يطول عدهم .

وفى هذا الحديث عَلَمٌ من أعلام النبوة ، وفضيلة ظاهرة لعلي ولعمار ، وردٌّ على النواصب الزاعمين أن علياً لم يكن مصيباً في حروبه ».

وقال أيضاً في فتح الباري(١٣/ ٥٨): « وذهب جمهور أهل السنة إلى تصويب من قاتل مع علي رضي الله عنه لامتثال قوله تعالى: وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا.. الآية ، ففيها الأمر بقتال الفئة الباغية . وقد ثبت أن من قاتل علياً كانوا بغاة . وهؤلاء مع هذا التصويب متفقون على أنه لايذم واحد من هؤلاء ، بل يقولون اجتهدوا فأخطأوا » !

أقول: وهكذا يساوون بين عمار الذي يدعو الى الجنة ، وقاتله الذي يدعو الى النار !

(٢٣) أبو دجانة الأنصاري رضي الله عنه

أبو دجانة: سماك بن خرشة الأنصاري الخزرجي، صحابي شجاع ، شهد حروب رسول الله ﷺ ، وكان من أصحاب البلاء في بدر بعد علي عليه السلام ، وحمزة ، وعبيدة بن الحارث بن عبد المطلب .

وفي معركة أُحُد أخذ رسول الله ﷺ سيفاً بيده فهزه وقال: « من يأخذ هذا السيف بحقه؟فقال الزبير بن العوام: أنا يارسول الله ، فأعرض عنه وقال: من يأخذه بحقه ؟ فقام إليه أبو دجانة فقال: وما حقه يارسول الله؟ قال: ألايقفَ به في الكُبُول ، وأن يضرب به في العدو حتى ينحني. فقال: أنا آخذه يا رسول الله فدفعه إليه فأخذه أبو دجانة ثم أخرج عصابة معه حمراء فتعصب بها فقالت الأنصار: تعصب أبو دجانة عصابته ، قد نزل الموت وكان ذلك من فعله ! ثم خرج يتبختر بين الصفين ويقول:

إني امرؤٌ عاهدني خليلي ونحن بالسفح لذي النخيل

ألا أقوم الدهر في الكبول أضرب بسيف الله والرسول

فقال رسول الله ﷺ :إنها مشية يبغضها الله عز وجل إلا في مثل هذا المقام .

قال الزبير: فقلت: منعني رسول الله السيف وأعطاه أبا دجانة ، والله لأتبعنه لأنظر مايصنع ، فاتبعته حتى هجم في المشركين ، فجعل لا يلقى منهم أحداً إلا قتله ، فقلت: الله ورسوله أعلم !

قال: وكان في المشركين رجل لم يدع منا جريحاً إلا دق عليه أي قتله ، فجعل كل واحد منهما يدنو من صاحبه ، فدعوت الله أن يجمع بينهما ، فالتقيا واختلفا بضربتين فضرب المشرك أبا دجانة ضربة بسيفه فاتقاها أبو دجانة بدرقته فعضب السيف (لم يقطع) وضربه أبو دجانة فرمى برأسه!

ثم رأيته رفع السيف على رأس هند بن عتبة ثم عدل عنها ، فقيل لأبي دجانة في ذلك فقال: رأيت إنساناً يحمس الناس على القتال فقصدته ، فلما حملت السيف على رأسه لأضربه وَلْوَلَ فإذا به امرأة، فأكرمت سيف رسول الله من أن أضرب به امرأة »! (شرح الأخبار: ١/ ٢٧٣، وصحيح مسلم: ٧/ ١٥١).

ومعنى قول النبي ﷺ: **أن لايقف به في الكُبُول: أن لا يقف به في أواخر الصفوف . والكبول هو القيد ، وقد اختاره النبي ﷺ وصفاً لمن يحفظ نفسه في الصفوف الخلفية ، وأنهم نوع من الهاربين من القتال لأنهم يقيدون أنفسهم ويحرموها من ثواب الجهاد !**

وعندما انهزم الناس في أُحُد وتركوا النبي ﷺ لم يبق معه إلا علي عليه السلام وأبو دجانة ونسيبة بنت عمارة . ثم جرح أبو دجانة ونسيبة فلم يبق معه إلا علي عليه السلام ، وجاءت فاطمة عليها السلام كالصقر المنقض ، فكانت الى جنب النبي ﷺ .

ففي الكافي (٨/ ٣١٨)، عن الإمام الصادق عليه السلام قال: «لما انهزم الناس يوم أحد عن النبي ﷺ انصرف إليهم بوجهه وهو يقول: أنا محمد أنا رسول الله ، لم أقتل ولم أمت..وبقي معه علي عليه السلام وسماك بن خرشة أبو دجانة فدعاه النبي ﷺ فقال: يا أبا دجانة إنصرف وأنت في حل من بيعتك ، فأما عليٌّ فأنا هو وهو أنا ، فتحول وجلس بين يدي النبي ﷺ وبكى وقال:لا والله ، ورفع رأسه إلى السماء وقال: لا والله ، لاجعلت نفسي في حل من بيعتي ،

إني بايعتك ، فإلى من أنصرف يا رسول الله؟ إلى زوجة تموت ، أو ولد يموت ، أو دار تخرب ، ومال يفنى ، وأجل قد اقترب !

فرقَّ له النبي صلى الله عليه وآله فلم يزل يقاتل حتى أثخنته الجراحة ، وهو في وجه وعلي في وجه ، فلما سقط احتمله علي فجاء به إلى النبي صلى الله عليه وآله ووضعه عنده فقال: يا رسول الله أوفيت ببيعتي؟ قال: نعم ، وقال له النبي صلى الله عليه وآله خيراً » .

«وقى بنفسه رسول الله صلى الله عليه وآله حين جلى عنه أصحابه، يدفع عنه النبال بمجنه وبظهره حتى أثخن . ودعا له النبي صلى الله عليه وآله : اللهم ارض عن ابن خرشة ، كما أنا عنه راض ». (تفسير الميزان:٤/ ٦٩، وشرح النهج:١٥/ ٧).

وروينا عن الإمام الصادق عليه السلام أن أبا دجانة على درجة عالية من الإيمان ، وأنه يبعث من قبره مع الإمام المهدي عليه السلام ! ففي الإرشاد: ٢/ ٣٨٦، قال عليه السلام : «يُخرج القائم من ظهر الكوفة سبعة وعشرين رجلاً ، خمسة عشر من قوم موسى الذين كانوا يهدون بالحق وبه يعدلون ، وسبعة من أهل الكهف ، ويوشع بن نون ، وسلمان ، وأبا دجانة الأنصاري ، والمقداد ، ومالكاً الأشتر » .

(٢٤) بطولة أبي دجانة في معركة اليمامة

كان أبو دجانة في معركة اليمامة ، وشاهد انهزام المسلمين أمام أتباع مسيلمة الكذاب ، فغاضه ذلك خاصة عندما وصل بنو حنيفة إلى فسطاط خالد ، وهرب خالد فدخلوا خيمته وأرادوا قتل زوجته أو سبيها فأجارها صاحبهم مجَّاعة: (فرَعْبَلُوا الفسطاط بالسيوف). (الطبري:٢/ ٥١٠).

ومعنى رَعْبلوه: قطعوا أطناب الخيمة وهدموها ، أو خرقوها بالسيوف ، ففي الفايق (٢/ ٤٤): أن أهل اليمامة رعبلوا فسطاط خالد بالسيف ، أي قطَّعوه !

وزعم بعض الرواة أن خالداً نادى في المسلمين أن يرجعوا، لكن الهارب لاينادي بمثل ذلك ، فلا بد أن يكون الذي نادى عمار وأبو دجانة وبقية الشجعان ، قالوا: ويحكم يا قراء القرآن ! أما تخافون غضب الرحمن وعذاب النيران ؟ويحكم يا أهل دين محمد ! أين الفرار ممن يزعم أنه شريك نبيكم محمد في نبوته ورسالته ! أما تخافون الله أن يطلع عليكم فيجازيكم على سوء فعلتكم!

وقد وصف ابن الأعثم (١/ ٢٩) ما حدث بعد النداء قال: « فثاب الناس إليه من كان جانب حتى أحدقوا به ، ودنت بنو حنيفة للقتال كأنهم الأسد الضارية واشتبك الحرب بين الفريقين، وتقدم أبو دجانة سماك بن خرشة الأنصاري ثم حمل على بني حنيفة فلم يزل يقاتل حتى قتل منهم جماعة ، قال: وحمل عليه رجل من سادات بني حنيفة ليضربه بالسيف فأخطأه ، وضربه أبو دجانة ضربة فقطعه نصفين ! وحمل على رجل آخر من بني حنيفة وولى الحنفي من بين يديه ، ولحقه أبو دجانة فضربه فقطع ساقيه جميعاً ! ثم حمل على ميمنتهم فضرب فيهم ضرباً وجيعاً ، وحمل على ميسرتهم ففعل كذلك وكان ربما حمل على الرجل فيعانقه ثم يضربه فيذبحه ، ثم يقف وينادى بأعلى صوته: يا أهل الدين والإسلام ، إليَّ إليَّ ، فداكم أبي وأمي!

فثاب إليه السوابق من أهل بدر وأحد والأحزاب ، فكبروا وحملوا معه حملة عجيبة على مسيلمة وأصحابه فكشفوهم كشفة فاضحة ، وقتلوا منهم جماعة ، ثم رجعوا إلى مواقفهم » .

وهذا يدلنا على أن المعركة تواصلت في اليوم الثاني في كر وفر، وكان للمسلمين انتصارات صغيرة وهزائم متعددة ، ولم يُرَجِّحْ كفتهم إلا أبو دجانة وزملاؤه الأبطال . فشدوا على أتباع مسيلمة حتى ساقوهم الى حديقة كبيرة مسورة ، فأمرهم مسيلمة أن يدخلوا فيها ، فكانت مقبرتهم ومقبرة نبيهم الكذاب .

وقد كان اقتحام الحديقة صعباً ، تقدم فيه أبو دجانة وشجعان الأنصار الذين انتخبوا ليلتها أربع مئة فارس ارتضوهم ، فكان عليهم ثقل الحملة .

روى ابن سعد في الطبقات (٣/ ٤٤١) عن أبي سعيد الخدري رحمه الله قال: «سمعت عباد بن بشر يقول: يا أبا سعيد، رأيت الليلة كأن السماء قد فرجت لي ثم أطبقت عليَّ ، فهي إن شاء الله الشهادة . قال قلت: خيراً والله رأيت.قال:فأنظر إليه يوم اليمامة وإنه ليصيح بالأنصار: إحطموا جفون السيوف وتميزوا من الناس، وجعل يقول: أخلصونا أخلصونا ، فأخلصوا أربع مائة رجل من الأنصار، ما يخالطهم أحد يقدمهم عباد بن بشر وأبو دجانة والبراء بن مالك ، حتى انتهوا إلى باب الحديقة فقاتلوا أشد القتال ، وقتل عباد بن بشر فرأيت بوجهه ضرباً كثيراً، ماعرفته إلا بعلامة كانت في جسده».

قال ابن سعد في الطبقات (٣/ ٤٧٤): «لما كان يوم اليمامة واصطف الناس للقتال ، كان أول الناس جرح أبو عقيل الأنيفي ، رُمِيَ بسهم فوقع بين

منكبيه وفؤاده ، فشطب في غير مقتل ، فأخرج السهم ووهن له شقه الأيسر لما كان فيه ، وهذا أول النهار ، وجُرَّ إلى الرحل .

فلما حمي القتال (في اليوم الثاني) وانهزم المسلمون وجازوا رحالهم! وأبو عقيل واهن من جرحه ، سمع معن بن عدي يصيح بالأنصار: اللهَ اللهَ والكرةَ على عدوكم ! أعنق معن(نهض ورفع عنقه) يقدم القوم وذلك حين صاحت الأنصار: أخلِصونا أخلِصونا ، فأخلصوا رجلاً رجلاً يميزون. (أي يتجمعون وحدهم) قال عبد الله بن عمر: فنهض أبو عقيل فقلت: ما تريد يا أبا عقيل ما فيك قتال . قال: قد نَوَّهَ المنادي باسمي. قال ابن عمر: فقلت إنما يقول يا للأنصار لا يعني الجرحى. قال أبو عقيل: أنا رجل من الأنصار وأنا أجيبه ولو حبواً ! قال ابن عمر: فتحزم أبو عقيل وأخذ السيف بيده اليمنى مجرداً ثم جعل ينادي يا للأنصار كرة كيوم حنين . فاجتمعوا رحمهم الله جميعاً يقدمون المسلمين دُرْبَةً (أهل خبرة) دون عدوهم ، حتى أقحموا عدوهم الحديقة فاختلطوا ، واختلفت السيوف بيننا وبينهم .

قال ابن عمر: فنظرت إلى أبي عقيل وقد قطعت يده المجروحة من المنكب فوقعت على الأرض ، وبه من الجراح أربعة عشر جرحاً ، كلها قد خلصت إلى مقتل ، وقُتل عدو الله مسيلمة .

قال ابن عمر: فوقعت على أبي عقيل وهو صريع بآخر رمق ، فقلت: أبا عقيل؟ فقال: لبيك بلسان ملتاث ، لمن الدبرة؟ قال قلت: أبشر ـ ورفعت صوتي:قد قتل عدو الله،فرفع إصبعه إلى السماء يحمد الله ومات يرحمه الله».

وقد وصفت نسيبة بنت كعب الأنصارية جانباً من بطولة أبي دجانة ، عندما ألجأ المسلمون أتباع مسيلمة الى الحديقة .

قالت أم سعد بنت سعد بن الربيع: «رأيت نسيبة بنت كعب ويدها مقطوعة فقلت لها: متى قطعت يدك؟ قالت: يوم اليمامة كنت مع الأنصار فانتهينا إلى حديقة ، فاقتتلوا عليها ساعة ، حتى قال أبو دجانة الأنصاري واسمه سماك بن خرشة: إحملوني على الترسة حتى تطرحوني عليهم فأشغلهم ، فحملوه على الترسة وألقوه فيهم فقاتلهم حتى قتلوه. قالت:فدخلت وأنا أريد عدو الله مسيلمة الكذاب فعرض إليَّ رجل منهم فضربني فقطع يدي ، فوالله ما عرجت عليها ، ولم أزل حتى وقعت على الخبيث مقتولاً وابني يمسح سيفه بثيابه . فقلت له: أقتلته يا بني؟ قال: نعم يا أماه ، فسجدت لله شكراً. قال:وابنها هو عبد الله بن زيد بن عاصم».(نصب الراية:٢/ ٣٥٣).

أقول: في الرواية كما في غيرها طيٌّ للوقت والأحداث ، فقد قاتل المسلمون على باب الحديقة كما روى أبو سعيد ، ثم رفعوا أبا دجانة والبراء ، فنزلوا عليهم وشغلوهم عن الباب حتى فتحه المسلمون ودخلوا ، ولم يقتل أبو دجانة مباشرة بعد نزوله الى الحديقة بل قاتل بعد دخول المسلمين ، وضرب مسيلمة قبل ابن نسيبة .

قال اليعقوبي(٢/ ١٣٠): «ثم قتل مسيلمة في المعركة طعنه أبو دجانة الأنصاري فمشى إليه مسيلمة في الرمح فقتله ، ورماه وحشي بحربته فقتله ».

وفي فتوح ابن الأعثم(١/ ٣٠): «فلما أدخلوهم إلى جوفها ومسيلمة معهم ، أقبل المسلمون إلى الحديقة ، فقال أبو دجانة الأنصاري: ويحكم يا معشر

الأنصار إحملوني حملاً وألقوني إليهم .قال:فحملوا أبا دجانة على ترس ، ثم رُفِع بالرماح حتى أُلقيَ في جوف الحديقة.. ثم وثب كالليث المغضب ، فلم يزل يقاتل في جوف الحديقة حتى قتل ، رحمة الله عليه ».

وفي فتوح البلاذري(١/ ١٠٧): «وقتل الله مسيلمة في الحديقة ، فبنو عامر بن لؤي بن غالب يقولون قتله خداش بن بشير بن الأصم ، أحد بنى معيص بن عامر بن لؤي . وبعض الأنصار يقولون: قتله عبد الله بن زيد بن ثعلبة ، أحد بنى الحارث بن الخزرج وهو الذي أرى الأذان . وبعضهم يقول: قتله أبو دجانة سماك بن خرشة ، ثم استشهد . وقال بعضهم: بل قتله عبد الله بن زيد بن عاصم أخو حبيب بن زيد من بنى مبذول من بنى النجار . وقد كان مسيلمة قطع يدي حبيب ورجليه . وكان وحشي بن حرب الحبشي- قاتل حمزة يدَّعى قتله ويقول: قتلت خير الناس وشر الناس . وقال قوم: إن هؤلاء جميعاً شركوا في قتله . وكان معاوية بن أبي سفيان يدَّعى أنه قتله ، ويدعى ذلك له بنو أمية ».

وفي تاريخ خليفة/ ٤٥: «عن أنس قال: رمى أبو دجانة بنفسه في الحديقة فانكسرت رجله ، فقاتل حتى قتل ».

قال ابن عبد البر في الإستيعاب (٤/ ١٦٤٤): «كان بُهمةَ (بطلاً) من البُهم الأبطال دافع عن رسول الله صلى الله عليه وآله يوم أحد هو ومصعب بن عمير، فكثرت فيه الجراحات ، وقتل مصعب بن عمير يومئذ .

واستشهد أبو دجانة يوم اليمامة ، وهو ممن اشترك في قتل مسيلمة يومئذ مع عبد الله بن زيد بن عاصم ووحشي بن حرب . وكان رسول الله صلى الله عليه وآله قد آخى بين أبي دجانة وبين عتبة بن غزوان ».

وفي تاريخ اليعقوبي (٢/ ١٣٠): «ثم قتل مسيلمة في المعركة ، طعنه أبو دجانة الأنصاري ، فمشى إليه مسيلمة في الرمح فقتله . ورماه وحشي بحربته فقتله وهو (مسيلمة) يومئذ ابن مائة وخمسين سنة »!

أقول: تفردت رواية اليعقوبي بأن مسيلمة عاش ١٥٠ سنة. ورواها العيني عن ابن إسحاق (عمدة القاري:١٦/ ١٥١،١٧/ ١٦٣) **وهو أمر محتمل ، لكنه بعيد .**

(٢٥)البراء بن مالك الأنصاري

قال السيد الخوئي في معجم الرجال(٤/ ١٨٨): «البراء بن مالك الأنصاري ، أخو أنس بن مالك ، شهد بدراً وأحداً والخندق وقتل يوم تستر . من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله .. وقال الكشي في ترجمة أبي أيوب الأنصاري.. من السابقين الذين رجعوا إلى أمير المؤمنين عليه السلام : أبو الهيثم بن التيهان ، وأبو أيوب ، وخزيمة بن ثابت ، وجابر بن عبد الله ، وزيد بن أرقم ، وأبو سعيد الخدري، وسهل بن حنيف ، والبراء بن مالك ، وعثمان بن حنيف ، وعبادة بن الصامت. ثم ممن دونهم قيس بن سعد بن عبادة ، وعدي بن حاتم ، وعمرو بن الحمق، وعمران بن الحصين، وبريدة الأسلمي،وبشر بن كثير».

ومعنى رجوعهم اليه عليه السلام إدانتهم ما فعله أهل السقيفة .

(٢٦) شارك البراء في حروب الردة وفتح العراق وإيران

قال ابن سعد(٧/ ١٦): «البراء بن مالك ، بن النضر ، بن ضمضم ، بن زيد ، بن حرام ، بن جندب ، بن عامر، بن غنم، بن عدي بن النجار. شهد أحداً والخندق والمشاهد بعد ذلك مع رسول الله ﷺ.

وكان شجاعاً في الحرب له نكاية . كتب عمر بن الخطاب أن لاتستعملوا البراء بن مالك على جيش من جيوش المسلمين ، فإنه مهلكةٌ من الهلك..

عن أنس بن مالك قال: لما كان يوم العقبة بفارس وقد زوي الناس ، قام البراء بن مالك فركب فرسه وهي تزجى(تتقدم) ثم قال لأصحابه: بئس ما عودتم أقرانكم عليكم ، فحمل على العدو ففتح الله على المسلمين به ، واستشهد يومئذ » .

وفي صفة الصفوة(١/ ٦٢٤) عن أنس: «قال رسول الله ﷺ :كم من ضعيف متضعف ذي طمرين لو أقسم على الله لأبَرَّه ، منهم البراء بن مالك . وإن البراء لقيَ زحفاً من المشركين وقد أوجع المشركون في المسلمين فقالوا له: يابراء إن رسول الله ﷺ قال إنك لو أقسمت على الله لأبرك فأقسم على الله فقال: أقسمت عليك يا رب لما منحتنا أكتافهم، فمنحوا أكتافهم .

ثم التقوا على قنطرة السوس فأوجعوا في المسلمين ، فقالوا: أقسم يابراء على ربك ، فقال: أقسمت عليك يا رب لما منحتنا أكتافهم وألحقتني بنبيك ﷺ فمنحوا أكتافهم ، وقتل البراء شهيداً ».

وفي الإصابة(١/ ٤١٤): «فقال:أقسم عليك يارب لما منحتنا أكتافهم وألحقتني بنبيك ، فحمل وحمل الناس معه فقتل مرزبان الزارة من عظماء الفرس وأخذ سلبه ، فانهزم الفرس ، وقُتل البراء ».

أقول: يظهر أن البراء استشهد بعد مدة ، لأنه روي أنه ذهب بعد المعركة الى المدينة وأرى عمر سلب المرزبان فأخذ عمر خمسه ، لأنه ثمين .

ففي فتوح البلاذري:١/ ١٠٤، عن أنس قال: «إن البراء بن مالك قتل من المشركين مائة رجل إلا رجلاً مبارزة ، وإنهم لما غزوا لزارة خرج دهقان الزارة فقال:رجل ورجل ، فبرز إليه البراء فاختلفا بسيفيهما ، ثم اعتنقا فتوركه البراء فقعد على كبده ثم أخذ السيف فذبحه ، وأخذ سلاحه ومنطقته ، وأتى به عمر فنفله السلاح ، وقوَّم المنطقة ثلاثين ألفاً فخمسها».

(٢٧)دور البراء في جبران هزيمة المسلمين في اليمامة

روى الطبري:٢/ ٥١٠ ، عن أبي هريرة قال: « التقى الناس ولم يلقهم حرب قط مثلها من حرب العرب ، فاقتتل الناس قتالاً شديداً حتى انهزم المسلمون ، وخلص بنو حنيفة إلى مجاعة والى خالد ، فزال خالد عن فسطاطه ودخل أناس الفسطاط وفيه مجاعة عند أم تميم ، فحمل عليها رجل بالسيف فقال مجاعة: أنا لها جار فنعمت الحرة ، عليكم بالرجال. فرعبلوا الفسطاط بالسيوف !

ثم إن المسلمين تداعوا فقال ثابت بن قيس: بئسما عودتم أنفسكم يا معشر المسلمين ! اللهم إني أبرأ إليك مما يعبد هؤلاء ، يعنى أهل اليمامة ، وأبرأ إليك مما يصنع هؤلاء يعنى المسلمين ! ثم جالد بسيفه حتى قتل .

وقال زيد بن الخطاب حين انكشف الناس عن رحالهم: لا تحوُّزَ بعد الرِّحال ، ثم قاتل حتى قتل .

ثم قام البراء بن مالك أخو أنس بن مالك ، وكان إذا حضر الحرب أخذته العرواء حتى يقعد عليه الرجال، ثم ينتفض تحتهم ، حتى يبول في سراويله ، فإذا بال يثور كما يثور الأسد ، فلما رأى ما صنع الناس أخذه الذي كان يأخذه حتى قعد عليه الرجال ، فلما بال وثب فقال: أين يا معشر المسلمين ، أنا البراء بن مالك ! هلمَّ إليَّ !

وفاءت فئة من الناس فقاتلوا القوم ، حتى قتلهم الله ، وخلصوا إلى مُحكَّم اليمامة وهو محكم بن الطفيل ، فقال حين بلغه القتال: يا معشر بنى حنيفة ، الآن والله تستحقب الكرائم غير رضيات ، وينكحن غير حظيات ، فما عندكم من حسب . فأخرجوه فقاتل قتالاً شديداً . ورماه عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق بسهم فوضعه في نحره ، فقتله .

ثم زحف المسلمون حتى ألجأوهم إلى الحديقة حديقة الموت ، وفيها عدو الله مسيلمة الكذاب فقال البراء: يا معشر المسلمين ألقونى عليهم في الحديقة ، فقال الناس: لانفعل يا براء ، فقال والله لتطرحني عليهم فيها ! فاحتُمل حتى إذا أشرف على الحديقة من الجدار اقتحم فقاتلهم عن باب الحديقة حتى فتحها للمسلمين ، ودخل المسلمون عليهم فيها ، فاقتتلوا

حتى قتل الله مسيلمة عدو الله ، واشترك في قتله وحشي مولى جبير بن مطعم ورجل من الأنصار كلاهما قد أصابه. أما وحشي فدفع عليه حربته وأما الأنصاري فضربه بسيفه. فكان وحشي يقول: ربك أعلم أينا قتله ».

وفي تاريخ الطبري:٢/ ٥١٤: «عن عمرو بن شعيب وابن إسحاق أنهم لما امتازوا وصبروا ، وانحازت بنو حنيفة ، تبعهم المسلمون يقتلونهم حتى بلغوا بهم إلى حديقة الموت..فدخلوها وأغلقوها عليهم ، وأحاط المسلمون بهم ، وصرخ البراء بن مالك فقال: يا معشر المسلمين إحملوني على الجدار حتى تطرحوني عليه ففعلوا حتى إذا وضعوه على الجدار نظر وأرعد فنادى: أنزلوني ، ثم قال: إحملوني ففعل ذلك مراراً ، ثم قال أف لهذا خشعاً (كذا ، وهي غير مفهومة) ثم قال: إحملوني فلما وضعوه على الحائط اقتحم عليهم فقاتلهم على الباب حتى فتحه للمسلمين وهم على الباب من خارج ، فدخلوا فأغلق الباب عليهم ، ثم رمى بالمفتاح من وراء الجدار ، فاقتتلوا قتالاً شديداً ، لم يروا مثله ».

وفي صفة الصفوة:١/ ٦٢٤، عن أنس: «ركب البراء فرساً يوم اليمامة ثم قال: أيها الناس إنها والله الجنة ومالي إلى المدينة سبيل . فمصع فرسه مصعات ، ثم كبس وكبس الناس معه ، فهزم الله المشركين فكانت في مدينتهم ثلمة . وعن محمد بن سيرين أن المسلمين انتهوا إلى حائط قد أغلق بابه ، فيه رجال من المشركين ، فجلس البراء بن مالك على ترس وقال: إرفعوني برماحكم فألقوني إليهم ففعلوا ، فأدركوا وقتل منهم عشرة »!

وقال ابن الأعثم(١/ ٢٨): «فلما كان ذلك اليوم وعاين البراء بن مالك من شدة الحرب ما عاين ، أخذته الرعدة والنفضة ، فلما أفاق وثب ، ثم حمل على جمع بني حنيفة ، فجعل تارة يضرب بسيفه وتارة يطعن فيهم برمحه ، حتى قتل منهم جماعة ورجع إلى موقفه .

قال: وصاحت بنو حنيفة بعضها ببعض وحملوا على المسلمين حملة منكرة حتى أزالوهم عن موقفهم ، وقتلوا منهم نيفاً على ثمانين رجلاً . قال: ثم كبر المسلمون وحملوا عليهم وكشفوهم كشفة قبيحة ».

وفي تاريخ خليفة/ ٧٠: « اقتحم فقاتلهم على الحديقة حتى فتحها للمسلمين... وفيه بضع وثمانون جراحة ، من بين رمية بسهم وضربة ».

أقول: قالوا أقام خالد شهراً في اليمامة بعد المعركة ، ينتظر شفاء جراح البراء كما زعموا له ، أو جراح ضرار بن الأزور ، لكنه في هذه المدة تزوج بابنة مجَّاعة ، وأرسل السرايا في قرى بني حنيفة تقبض على رجالهم، حتى قتل منهم سبعة آلاف بعد توقيع الصلح معهم ! فإقامته في اليمامة تشبه إقامته في بُزَّاخَة .

قال الطبري:٢/ ٤٩١ : « فأقام على البُزَّاخَة شهراً يُصَعِّدُ عنها ويُصَوِّبُ ، ويرجع إليها في طلب أولئك . فمنهم من أحرقه ، ومنهم من قَمَّطَه ورضخه بالحجارة ، ومنهم من رمى به من رؤس الجبال».

(٢٨) من الذي قتل مُحَكَّم اليمامة وزير مسيلمة

كثرت ادعاءاتهم فيمن قتل مسيلمة ووزيره محكم اليمامة ، فرووا أن خالداً قتل محكم اليمامة كما في الصحاح، وفي الطبري أن عبد الرحمن بن أبي بكر

رماه بسهم فقتله. **وقال ابن الأعثم (١/ ٢٧)**: «وتقدم محكم بن الطفيل وزير مسيلمة وصاحب أمره ، فتقدم حتى وقف أمام أصحابه شاهراً سيفه ، ثم حمل على المسلمين فقاتل قتالاً شديداً ، وحمل عليه ثابت بن قيس الأنصاري فطعنه في خاصرته طعنة نكسه عن فرسه قتيلاً ».

وروى خليفة/ ٧٠، أن البراء بن مالك بارزه: «فاختلفا ضربتين فضرب محكم اليمامة جحفة كانت مع البراء حتى عض السيف بيده ، وضرب البراء رجله فقطعها ، وأخذ سيفه فذبحه به ».

ونرجح أن البراء قتل المحكم لأن روايته تضمنت خصوصيات لم تذكر في غيرها . ففي الجهاد لابن المبارك/ ١٥٥: «عن أنس بن مالك قال: كان بالمدينة ثلمة فوضع محكم اليمامة رجليه على الثلمة وكان رجلاً عظيماً ، فجعل يرجز ويقول: أنا محكم اليمامة . أنا سداد الخلة . أنا كذا . أنا كذا . فأتاه البراء ، فلما أمكنه من الضرب ضرب البراء واتقاه بحجفته ، وضربه البراء فقطع ساقه فقتله ، ومع المحكم صفيحة عريضة فألقى البراء سيفه وأخذ صفيحة المحكم فضربه بها حتى انكسرت ، وقال: قبح الله مابقي منك ، فطرحها ، ثم جاء إلى سيفه فأخذه » .

وفي الإصابة(١/ ٤١٣) عن البراء قال: «لقيت يوم مسيلمة رجلاً يقال له حمار اليمامة رجلاً جسيماً بيده سيف أبيض، فضربت رجليه فكأنما أخطأته وانقعر فوقع على قفاه ، فأخذت سيفه وأغمدت سيفي ، فما ضربت به ضربة حتى انقطع».

(٢٩) أين كان خالد عندما حمل المسلمون ؟

في مصنف ابن أبي شيبة:٨/ ٤: «عن أنس قال: كنت بين يدي خالد بن الوليد وبين البراء يوم اليمامة ، قال فبعث خالد الخيل فجاؤوا منهزمين ، وجعل البراء يرعد فجعلت ألحده إلى الأرض وهو يقول: طدني (أي إضغط برجلك على فخذي وبدني بقوة) قال: ثم بعث خالد الخيل فجاؤوا منهزمين ، قال:فنظر خالد إلى السماء ثم إلى الأرض، وكان يصنع ذلك إذا أراد الأمر، ثم قال يا براء وحِّد (أي وحد الله واحمل) قال فقال: الآن ؟ قال: فقال: نعم الآن ! قال:فركب البراء فرسه فجعل يضربها بالسوط ، وكأني أنظر إليها تمضغ ثدييها ، فحمد الله وأثنى عليه وقال: يا أهل المدينة ! إنه لا مدينة لكم ، وإنما هو الله وحده والجنة ، ثم حمل وحمل الناس معه ، فانهزم أهل اليمامة حتى أتى حصنهم فلقيه محكم اليمامة فضربه بالسيف فاتقاه البراء بالجحفة فأصاب الجحفة ، ثم ضربه البراء فصرعه، فأخذ سيف محكم اليمامة فضربه به حتى انقطع فقال: قبح الله مابقي منك ، ورمى به وعاد إلى سيفه ».

وفي الإصابة(١/ ٤١٣): «وفي تاريخ السراج..عن أنس أن خالد بن الوليد قال للبراء يوم اليمامة: قم يابراء . قال: فركب فرسه فحمد الله وأثنى عليه تعالى ثم قال: يأهل المدينة لا مدينة لكم اليوم ، وإنما هو الله وحده والجنة . ثم حمل وحمل الناس معه فانهزم أهل اليمامة ، فلقي البراء محكم اليمامة فضربه البراء وصرعه ، فأخذ سيف محكم اليمامة فضربه به حتى انقطع ».

أقول: يريد رواة السلطة بذلك أن يعطوا دوراً قيادياً لخالد بأنه أمر البراء أن يقوم ويحمل ، فأين خالد عن الحملة ؟! بل نشك في أن خالداً كان حاضراً عندما استعاد فرسان الأنصار المبادرة . ويظهر أنه سمع بدخول المسلمين الحديقة وانتصارهم فأراد أن يدخل ، فجاءه فارس حنفي فسبه وصارعه وجرحه ، فخلص نفسه منه بجهد جهيد ، ورجع الى خيمة أم تميم !

قال محبو خالد في وصفه: «واقتحم خالد بن الوليد الحديقة بفرسه ، وبيده سيف لو ضرب به الحجر لقطعه ، قال:فاستقبله رجل من بني حنيفة فقال له: أين تريد يا ابن كذا وكذا ؟ فحمل عليه خالد ، واعتنقه الحنفي فسقطا عن فرسيهما جميعاً إلى الأرض ، فسقط الحنفي تحت خالد فجعل يجرحه بخنجر كان معه، وخالد قد قبض على حلقه والحنفي يجرحه من تحت حتى جرحه سبع جراحات ، فوثب خالد وتركه وإذا فرس خالد قد غار عن الحديقة ، فجعل خالد ظهره إلى باب الحديقة وجعل يقاتل حتى تخلص وهو لما به ». (الفتوح لابن الأعثم:١/ ٣١).

أقول: من الواضح أن خالداً لم يبرز الى أحد ، ولا شارك في حملة ، وأنه بعد أن لاح النصر للمسلمين ذهب ليدخل الحديقة فاعترضه فارس ، فاشتبكا ووقع خالد عليه ولم يستطع أن يقتله ، بل استطاع أن يهرب منه !

ثم عندما انتصر المسلمون أحضر خالد حماية له ودخل الى الحديقة مع مجاعة ، ليعرفه على جثمان مسيلمة ووزيره ، لأنه لم يكن بارزهما ولا رآهما !

قال ابن الأعثم(١/ ٣٢): «وأقبل خالد بن الوليد حتى دخل الحديقـة ، ومعـه جماعة من المسلمين ، فوقف على مسيلمة وهو مقتول ، ونظر إليه...».

(٣٠) عباد بن بشر الأنصاري رضي الله عنه

روى ابن سعد (٣/ ٤٤١)عن أبي سعيد الخدري قال: «سمعت عباد بن بشر يقول: يا أبا سعيد رأيت الليلة كأن السماء قد فرجت لي ثـم أطبقـت علـيَّ ، فهي إن شاء الله الشهادة . قال قلت: خيراً والله رأيت . قال فأنظر إليه يـوم اليمامة وإنه ليصيح بالأنصار إحطموا جفون السيوف وتميزوا من النـاس . وجعل يقول أخلصونا أخلصونا. فأخلصوا أربع مائة رجل من الأنصار ، ما يخالطهم أحد يقدمهم عباد بن بشر وأبو دجانة والبراء بن مالك ، حتـى انتهوا إلى باب الحديقة فقاتلوا أشد القتال ، وقتل عبـاد بـن بشر، فرأيـت بوجهه ضرباً كثيراً ، ما عرفته إلا بعلامة كانت في جسده ».

وقال ابن الأعثم (١/ ٣١): «وأقبل عباد بن بشر الأنصاري حتـى وقـف عـلى باب الحديقة ثم نـادى بـأعلى صـوته:يامعشر الأنصـار! إحطمـوا جفـور سيوفكم واقتحموا الحديقة عليهم فقـاتلوهم أو يقتـل مسـيلمة الكـذاب. قال: ثم كسر عباد بن بشرجفر سيفه ، وكسرت الأنصـار جفـار سـيوفهم واقتحموا الحديقة مائة رجل، فقاتلوا حتى ما بقـي مـنهم إلا أربعـة نفـر ، فإنهم أقبلوا مجروحين لما بهم. قـال: وعظـم الأمـر عـلى الفـريقين جميعـاً ، والتفت بنو حنيفة إلى مسيلمة فقالوا له: يا أبا ثمامة ! ألا ترى إلى مـا نحـن فيه من قتال هؤلاء؟ فقال مسيلمة: بهذا أتاني الوحي أن القـوم يلجـؤوكم

إلى هذه الحديقة ، ويكون قتالكم معهم في جوفها ، فقال له بعضهم: فأين ما وعدتنا من ربك بأنه ينصرنا على عدونا ، وأن هذا الدين الذي نحن فيه هو الدين القيم؟

فقال مسيلمة: أما الدين فلا دين لكم ، ولكن قاتلوا عن أحسابكم ! قال: فعند ذلك علم القوم أنهم كانوا في غرور وضلال من استمساكهم بدين مسيلمة وجعل رجل منهم يرتجز . قال: فاقتحم المسلمون بأجمعهم على مسيلمة وأصحابه فقاتلوهم حتى احمرت الأرض من الدماء » .

(٣١) ثابت بن قيس الأنصاري

قال ابن حجر في الإصابة(١/ ٥١١): «ثابت بن قيس بن شماس بن زهير بن مالك بن امرئ القيس بن مالك بن ثعلبة بن كعب بن الخزرج الأنصاري الخزرجي خطيب الأنصار...خطب ثابت بن قيس مَقْدَمَ رسول الله صلى الله عليه وآله المدينة فقال: نمنعك مما نمنع منه أنفسنا وأولادنا ، فما لنا ؟ قال: الجنة . قالوا: رضينا . وفي الترمذي بإسناد حسن عن أبي هريرة رفعه: نعم الرجل ثابت بن قيس . وفي البخاري مختصراً والطبراني مطولاً عن أنس قال: لما انكشف الناس يوم اليمامة ، قلت لثابت بن قيس: ألا ترى يا عم ، ووجدته يتحنط فقال: ما هكذا كنا نقاتل مع رسول الله صلى الله عليه وآله بئس ما عودتم أقرانكم. اللهم إني أبرأ إليك مما جاء به هؤلاء ومما صنع هؤلاء. ثم قاتل حتى قتل».

وقال ابن حجر في تهذيب التهذيب(٢/ ١١): «ثابت بن قيس... قال النبي صلى الله عليه وآله: نعم الرجل ثابت بن قيس بن شماس وشهد له بالجنة ، في قصة رواها

موسى بن أنس عن أبيه.. وشهد بدراً والمشاهد كلها ودخل عليه النبي صلى الله عليه وآله وهو عليل فقال: أذهب البأس رب الناس،عن ثابت بن قيس بن شماس».

(٣٢) كان ثابت مؤمناً تقياً بشره النبي صلى الله عليه وآله بالجنة

روى الحاكم في المستدرك(٣/ ٢٣٤)وصححه على شرط الشيخين، لما نزل قوله تعالى: **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ**: «أن ثابت بن قيس قال: يا رسول الله لقد خشيت أن أكون قد هلكت! قال رسول الله صلى الله عليه وآله :ولم؟ قال: نهانا الله أن نحب أن نحمد بما لم نفعل وأجدني أحب الحمد . ونهانا عن الخيلاء وأجدني أحب الجمال . ونهانا أن نرفع أصواتنا فوق صوتك وأنا جهير الصوت !

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله :يا ثابت ألا ترضى أن تعيش حميداً ، وتقتل شهيداً ، وتدخل الجنة بسلام . قال: بلى يا رسول الله . قال: فعاش حميداً ، وقتل شهيداً يوم مسيلمة الكذاب » .

وفي رواية ابنته (٣/ ٢٣٥) قالت: «جلس أبي في بيته يبكي ففقده رسول الله صلى الله عليه وآله فسأله عن أمره فقال: إني امرء جهير الصوت وأخاف أن يكون قد حبط عملي ! فقال بل تعيش حميداً وتموت شهيداً ، ويدخلك الله الجنة بسلام».

وفي فضائل الصحابة للنسائي/ ٣٧: «فكنا نراه يمشي بين أظهرنا رجل من أهل الجنة».

ورووا أن ثابت بن قيس كان متزوجاً من جميلة بنت عبد الله بن أبي سلول وكانت تبغضه ويحبها، فأتت رسول الله صلى الله عليه وآله فقالت: يا رسول الله لا يجمع رأسي ورأسه شئ ، والله ما أعيب عليه في دين ولا خلق ، إني لأراه فلولا

مخافة الله عز وجل لبصقت في وجهه! فنزل قوله تعالى: **الطَّلَاقُ مَرَّتَانِ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ وَلا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَاخُذُوا مِمَّا آتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئًا إِلا أَنْ يَخَافَا أَلا يُقِيمَا حُدُودَ الله . فَإِنْ خِفْتُمْ أَلا يُقِيمَا حُدُودَ الله فَلا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ تِلْكَ حُدُودُ الله فَلا تَعْتَدُوهَا وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ الله فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ** .

فقال لها رسول الله ﷺ: أتردين عليه حديقته التي أصدقك؟ قالت: نعم، فردت إليه حديقته وفرق بينهما ، وكان ذلك أول خلع كان في الإسلام.

(مسالك الأفهام:٩/ ٣٦٥ ، والإصابة: ٨ / ٨٢، ومسند أحمد:٤/ ٣).

(٣٣) كان مع الأنصار وعلي عليه السلام ضد أهل السقيفة

روى المفيد في أماليه/ ٤٩: «عن مروان بن عثمان قال: لما بايع الناس أبا بكر دخل علي عليه السلام والمقداد بيت فاطمة عليها السلام وأبوا أن يخرجوا ، فقال عمر بن الخطاب: أضرموا عليهم البيت ناراً ! فخرج الزبير ومعه سيفه فقال أبو بكر: عليكم بالكلب فقصدوا نحوه، فزلت قدمه وسقط إلى الأرض ووقع السيف من يده ، فقال أبو بكر: إضربوا به الحجر ، فضرب بسيفه الحجر حتى انكسر . وخرج علي بن أبي طالب عليه السلام نحو العالية فلقيه ثابت بن قيس بن شماس فقال: ما شأنك يا أبا الحسن؟فقال: أرادوا أن يحرقوا عليَّ بيتي ، وأبو بكر على المنبر يبايع له ولا يدفع عن ذلك ولا ينكره !

فقال له ثابت: ولا تفارق كفي يدك حتى أقتل دونك ، فانطلقا جميعاً حتى عادا إلى المدينة ، وإذا فاطمة عليها السلام واقفة على بابها وقد خلت دارها من أحد من القوم وهي تقول:لاعهد لي بقوم أسوأ محضراً منكم! تركتم رسول الله

جنازة بين أيدينا ، وقطعتم أمركم بينكم لم تستأمرونا ! وصنعتم بنا ما صنعتم ، ولم تروا لنا حقاً ».

أقول: يظهر أن ثابت بن قيس وهو خزرجي ، كان موقفه كسعد بن عبادة زعيم الخزرج ، الذي قال إن يطع القرشيون النبي صلى الله عليه وآله ويولوها علياً فنحن أولى بها . وقد تحركت غيرة ثابت من تهديد أهل السقيفة علياً وأهل البيت عليهم السلام لإجبارهم على بيعة أبي بكر .

وقد روى في شرح النهج (٦/ ٢٤) ردَّه على أقوال القرشيين في حقهم بالخلافة دون الأنصار، قال: « وحضر أبو سفيان بن حرب فقال: يامعشر قريش إنه ليس للأنصار أن يتفضلوا على الناس حتى يقروا بفضلنا عليهم، فإن تفضلوا فحسبنا حيث انتهى بها، وإلا فحسبهم حيث انتهى بهم . وأيم الله لئن بطروا المعيشة وكفروا النعمة ، لنضربنهم على الإسلام كما ضربونا عليه . فأما علي بن أبي طالب فأهل والله أن يسود على قريش وتطيعه الأنصار . فلما بلغ الأنصار قول هؤلاء الرهط (سهيل بن عمرو ، والحارث بن هشام ، وعكرمة بن أبي جهل ، وأبي سفيان ، وكلهم من الطلقاء) قام خطيبهم ثابت بن قيس بن شماس فقال: يا معشر الأنصار ، إنما يكبر عليكم هذا القول لو قاله أهل الدين من قريش ، فأما إذا كان من أهل الدنيا لا سيما من أقوام كلهم موتور ، فلا يكبرن عليكم ، إنما الرأي والقول مع الأخيار المهاجرين ، فإن تكلمت

رجال قريش الذين هم أهل الآخرة مثل كلام هؤلاء ، فعند ذلك قولوا ما أحببتم وإلا فامسكوا . وقال حسان بن ثابت يذكر ذلك:

تنادى سهيل وابن حرب وحارث وعكرمة الشاني لنا ابن أبي جهل

قتلنا أباه وانتزعنا سلاحه فأصبح بالبطحا أذل من النعل

فأما سهيلٌ فاحتواه ابن دخشم أسيراً ذليلاً لا يمر ولا يحلى

وصخر بن حرب قد قتلنا رجاله غداة لوا بدر ، فمرجله يغلى

وراكضنا تحت العجاجة حارثٌ على ظهر جرداء كباسقة النخل

يقبلها طوراً وطوراً يحثها ويعدها بالنفس والمال والأهل

أولئك رهط من قريش تبايعوا على خطة ليست من الخطط الفضل

وأعجب منهم قابلو ذاك منهم كأنا اشتملنا من قريش على ذحل

وكلهم ثانٍ عن الحق عطفه يقول اقتلوا الأنصار يابئس من فعل

نصرنا وآوينا النبي ولم نخف صروف الليالي والبلاء على رجل

بذلنا لهم أنصاف مال أكفنا كقسمة أيسار الجزور من الفضل

ومن بعد ذاك المال أنصاف دورنا وكنا أناساً لا نعير بالبخل

ونحمي ذمار الحي فهر بن مالك ونوقد نار الحرب بالحطب الجزل

فكان جزاء الفضل منا عليهم جهالتهم حمقاً وما ذاك بالعدل

فبلغ شعر حسان قريشاً فغضبوا ، وأمروا ابن أبي عزة شاعرهم أن يجيبه ، فقال:

معشر الأنصار خافوا ربكم ... واستجيروا الله من شر الفتن

إنني أرهب حرباً لاقحاً ... يشرق المرضع فيها باللبن

جرها سعد وسعد فتنة ... ليت سعد بن عباد لم يكن

خلف برهوت خفياً شخصه ... بين بصرى ذي رعين وجدن

ليس ما قدر سعد كائنا ... ما جرى البحر وما دام حضن

ليس بالقاطع منا شعرة ... كيف يرجى خير أمر لم يحن

ليس بالمدرك منها أبداً ... غير أضغاث أماني الوسن .

ويبدو أن قيس بن ثابت رحمه الله كان ناشطاً بعد فتح مكة عندما كثر القرشيون في المدينة ، وكانوا يعملون لأخذ الخلافة وعزل أهل البيت عليهم السلام والأنصار ، ولذلك أرادوا اغتياله فوقاه علي عليه السلام وأنجاهما الله تعالى بكرامة .

ففي مناقب آل أبي طالب:٢/ ١٣٠، عن تفسير الإمام العسكري عليه السلام / ١٠٨ : «قال رسول الله صلى الله عليه وآله : أيكم وقى بنفسه نفس رجلاً مؤمناً البارحة؟ فقال علي عليه السلام : أنا يا رسول الله وقيت بنفسي نفس ثابت بن قيس بن شماس الأنصاري. فقال رسول الله صلى الله عليه وآله : حدث بالقصة إخوانك المؤمنين ، ولا تكشف عن اسم المنافق المكايد لنا ، فقد كفاكما الله شره ، وأخره للتوبة لعله يتذكر أو يخشى . فقال علي عليه السلام : بينا أنا أسير في بني فلان بظاهر المدينة ، وبين يدي بعيداً مني ثابت بن قيس ، إذ بلغ بئراً عادية (قديمة من أيام قوم عاد) عميقة بعيدة القعر ، وهناك رجل من المنافقين فدفعه ليرميه في البئر فتماسك ثابت ، ثم عاد فدفعه والرجل لا يشعر بي حتى وصلت إليه وقد اندفع ثابت في البئر،

فكرهت أن أشتغل بطلب المنافق خوفاً على ثابت ، فوقعت في البئر لعلي آخذه ، فنظرت فإذا أنا قد سبقته إلى قرار البئر.. واستقررت قائماً .. ثم جاء ثابت فانحدر فوقع على يديَّ وقد بسطتهما له.. فما كان إلا كباقة ريحان تناولتها بيدي .

ثم نظرت ، فإذا ذلك المنافق ومعه آخران على شفير البئر وهو يقول لهما: أردنا واحداً فصار اثنين! فجاؤوا بصخرة فيها مقدار مائتي مَنٍّ ، فأرسلوها علينا فخشيت أن تصيب ثابتاً ، فاحتضنته وجعلت رأسه إلى صدري ، وانحنيت عليه فوقعت الصخرة على مؤخر رأسي ، فما كانت إلا كترويحة بمروحة.. ثم جاؤوا بصخرة أخرى فيها قدر ثلاث مائة من فأرسلوها علينا ، فانحنيت على ثابت فأصابت مؤخر رأسي ، فكانت كماء صببته على رأسي..ثم جاؤوا بصخرة ثالثة فيها قدر خمس مائة من يديرونها على الأرض لا يمكنهم أن يقلبوها ، فأرسلوها علينا ، فانحنيت على ثابت فأصابت مؤخر رأسي وظهري فكانت كثوب ناعم صببته على بدني.. ثم سمعتهم يقولون: لو أن لابن أبي طالب وابن قيس مائة ألف روح ما نجت واحدة منها من بلاء هذه الصخور. ثم انصرفوا وقد دفع الله عنا شرهم ، فأذن الله عز وجل لشفير البئر فانحط ، ولقرار البئر فارتفع فاستوى القرار والشفير بعد بالأرض ، فخطونا وخرجنا .

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله :يا أبا الحسن إن الله عز وجل قد أوجب لك بذلك من الفضائل والثواب ، مالا يعرفه غيره..».

(٣٤) ثابت من العارفين بمقام أمير المؤمنين عليه السلام

روى اليعقوبي في تاريخه(٢/ ١٧٩) فرحة الصحابة ببيعة علي عليه السلام، وخُطَبَهم في المسجد النبوي، فقال: «وقام قوم من الأنصار فتكلموا، وكان أول من تكلم ثابت بن قيس بن شماس الأنصاري، وكان خطيب الأنصار، فقال:

والله يا أمير المؤمنين لئن كانوا تقدموك في الولاية فما تقدموك في الدين، ولئن كانوا سبقوك أمس فقد لحقتهم اليوم، ولقد كانوا وكنت لا يخفى موضعك، ولا يجهل مكانك، يحتاجون إليك فيما لا يعلمون، وما احتجت إلى أحد مع علمك.

ثم قام خزيمة بن ثابت الأنصاري وهو ذو الشهادتين، فقال:

يا أمير المؤمنين! ما أصبنا لأمرنا هذا غيرك، ولا كان المنقلب إلا إليك، ولئن صدقنا أنفسنا فيك، فلانت أقدم الناس إيماناً وأعلم الناس بالله، وأولى المؤمنين برسول الله صلى الله عليه وآله، لك ما لهم، وليس لهم ما لك.

وقام صعصعة بن صوحان فقال:

والله، يا أمير المؤمنين، لقد زينت الخلافة وما زانتك، ورفعتها وما رفعتك، ولهي إليك أحوج منك إليها.

ثم قام مالك بن الحارث الأشتر فقال:

أيها الناس، هذا وصي الأوصياء، ووارث علم الأنبياء، العظيم البلاء، الحسن الغناء، الذي شهد له كتاب الله بالإيمان، ورسوله بجنة الرضوان.

من كملت فيه الفضائل ، ولم يشك في سابقته وعلمه وفضله الأواخر ، ولا الأوائل...الخ.».

وأورد السيد الخوئي في المعجم(٤/ ٣٠٤) خطبة ثابت ، وقال: «وهذا يدل على معرفته بمقام أمير المؤمنين عليه السلام ، ولعله لذلك عده العلامة في القسم الأول، بناء على ما استظهرناه من بنائه على أصالة العدالة ».

(٣٥) كان شاهداً على مسيلمة عندما جاء الى النبي صلى الله عليه وآله

وعندما جاء مسيلمة في وفد بني حنيفة الى النبي صلى الله عليه وآله ، وكلمه كان ثابت حاضراً ، ففي البخاري:٥/ ١١٩: «بلغنا أن مسيلمة الكذاب قدم المدينة فنزل في دار بنت الحرث وكان تحته بنت الحرث بن كريز ، وهي أم عبد الله بن عامر ، فأتاه رسول الله صلى الله عليه وآله ومعه ثابت بن قيس بن شماس، وهو الذي يقال له خطيب رسول الله صلى الله عليه وآله وفي يد رسول الله صلى الله عليه وآله قضيب ، فوقف عليه فكلمه فقال له مسيلمة: إن شئت خليت بيننا وبين الأمر ، ثم جعلته لنا بعدك . فقال النبي صلى الله عليه وآله :لو سألتني هذا القضيب ما أعطيتكه وإني لأراك الذي أريت فيه ما أريت! وهذا ثابت بن قيس وسيجيبك عنى، فانصرف النبي صلى الله عليه وآله... إن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: بينا أنا نائم أريت أنه وضع في يدي سواران من ذهب ففظعتهما وكرهتهما ، فأذن لي فنفختهما فطارا ، فأولتهما كذابين يخرجان . فقال عبيد الله: أحدهما العنسي الذي قتله فيروز باليمن ، والآخر مسيلمة الكذاب » .

(٣٦) صاحب لواء الأنصار في معركة اليمامة

روى الجميع أن لواء الأنصار في رد هجوم طليحة على المدينة وحرب طليحة وحرب مسيلمة ، كان في يده .(وكان أمير الأنصار في قتال أهل الردة). (تاريخ الإسلام (٣/ ٦٩) .وقد أبلى بلاء حسناً في قتال طليحة وأتباعه .

وعندما انهزم المسلمون في معركة اليمامة ، ووصل بنو حنيفة الى خيمة خالد فانهزم ، وقف ثابت ونادى في المسلمين فقال: «بئسما عودتم أنفسكم يا معشر المسلمين! اللهم إني أبرأ إليك مما يعبد هؤلاء ، يعنى أهل اليمامة ، وأبرأ إليك مما يصنع هؤلاء يعنى المسلمين »! (الطبري:٢/ ٥١٠)

وفي الطبري:٢/ ٥١٢: «فلما قال مجاعة لبنى حنيفة: ولكن عليكم بالرجال ، إذا فئة من المسلمين قد تذامروا بينهم فتفانوا وتفانى المسلمون كلهم ، وتكلم رجال من أصحاب رسول الله ﷺ وقال زيد بن الخطاب:والله لا أتكلم أو أظفر أو أقتل واصنعوا كما أصنع أنا فحمل وحمل أصحابه .

وقال ثابت بن قيس: بئسما عودتم أنفسكم يا معشر المسلمين ! هكذا عني حتى أريكم الجلاد.. وتكلم ثابت فقال: يا معشر المسلمين أنتم حزب الله ، وهم أحزاب الشيطان ، والعزة لله ولرسوله ولأحزابه ، أروني كما أريكم ، ثم جلد فيهم حتى حازهم » .

وفي فتوح ابن الأعثم:١/ ٢٩: «وتقدم ثابت بن قيس بن شماس الأنصاري خطيب الأنصار وشيخهم ، فتقدم وفي يد راية صفراء ، ثم حمل على القوم فلم يزل يطاعن حتى قتل. قال: فتقدم ابن عم له يقال له بشير بن عبد الله ،

من بني الحارث بن النجار حتى وقف بين الجمعين ، قال: ثم حمل بشير بن عبد الله هذا ، فلم يزل يقاتل حتى قتل ».

وروى الحاكم(٣/ ٢٣٤)عن أنس قال: «لما كان يوم اليمامة جئت إلى ثابت بن قيس بن شماس وهو يتحنط ، فقلت: يا عم ألا ترى ما يلقى الناس ، فلبس أكفانه ثم أقبل وهو يقول: الآن الآن ! وجعل يقول بالحنوط هكذا ، وأومى الأنصاري على ساقه هكذا ، في وجوه القوم يقرع القوم: بئس ما عودتم أقرانكم ، ما هكذا كنا نقاتل مع النبيصلى الله عليه وآله ، فقاتل حتى قتل ».

وروي أنه برز الى رجل على ثلمة فقتله (فتح الباري:٦/ ٤٥٨)وروي أنه حفر هو وسالم مولى حذيفة تحت قدميها الى نصف ساقيها حتى لايفرَّا. (النهاية:٦/ ٣٥٧) فلم يزل يقاتل وهو حاملٌ لواء الأنصار حتى استشهدرحمه الله .

(٣٧) بطولة خالد المزعومة في معركة اليمامة

نسبوا اليه أنه برز الى مسيلمة ، وأنه قتل مسيلمة (الروض الأنف:٤/ ٢٢٦) لكنهم رووا أنه كان في خيمته عندما جاءه خبر قتل مسيلمة !

كما نسبوا اليه أنه قتل مُحكَّم اليمامة (صحاح الجوهري:٥/ ١٩٠٢) لكنهم رووا أن الذي قتله عبد الرحمن بن أبي بكر ، رماه بسهم. (الإستيعاب:٢/ ٨٢٥).

والمرجح كما مرَّ أن ثابتاً قتله ! لأنهم رووا أن خالداً كان في خيمته عندما قتل مسيلمة وانتصر المسلمون ، فأخذ مجاعة ودخل الحديقة وأخذ يكشف عن القتلى ويسأل عنهم مجاعة فكشف له عن المحكم فتصور أنه مسيلمة ،

ثم كشف له عن مسيلمة فتعجب من صغر جثته . ومعناه أن خالداً لم يكن يعرفهما ولا رآهما ولا بارزهما ولا قتلهما ! (الطبري:٢/ ٥١٤).

ومعناه أن خالداً حنث بيمينه عندما هدد وحلف ، ففي فتوح البلاذري:١/ ١٠٧، وتاريخ خليفة/ ٦٧: «كفرت العرب فبعث أبو بكر خالد بن الوليد فلقيهم ، ثم قال: والله لا أنتهى حتى أناطح مسيلمة».

فهل كان يقصد: حتى أناطحه بقرون غيري !

(٣٨) خالد بن الوليد يطلب الصلح من مجّاعة !

روى الطبري في تاريخه:٢/ ٥١٦: «قال مجَّاعة لخالد: فهلم لأصالحك عن قومي ، لرجل قد نهكته الحرب وأصيب معه من أشراف الناس من أصيب فقد رقَّ وأحب الدعة والصلح ، فقال: هلم لأصالحك فصالحه على الصُّفَّراء والبيضاء والحلقة ونصف السبي .

ثم قال: إن آتي القوم فأعرض عليهم ما قد صنعت . قال:فانطلق إليهم فقال للنساء: إلبسن الحديد ثم أشرفن على الحصون ففعلن . ثم رجع إلى خالد وقد رأى خالد الرجال فيما يرى على الحصون عليهم الحديد ، فلما انتهى إلى خالد قال: أبوا ماصالحتك عليه ، ولكن إن شئت صنعت شيئاً فعزمت على القوم . قال: ما هو؟ قال: تأخذ منى ربع السبى وتدع ربعاً . قال خالد: قد فعلت . قال قد صالحتك .

فلما فرغا فُتحت الحصون فإذا ليس فيها إلا النساء والصبيان ، فقال خالد لمجاعة: ويحك خدعتني ! قال: قومي ، ولم أستطع إلا ما صنعت...

فأتاهم مجَّاعة فقال: أما الآن فاقبلوا...فخرج مجاعة سابع سبعة حتى أتى خالداً فقال: بعد شر مارضوا . أكتب كتابك ، فكتب: هذا ما قاضى عليه خالد بن الوليد مجاعة بن مرارة وسلمة بن عمير وفلاناً وفلاناً، قاضاهم على الصُّفَّراء والبيضاء ونصف السبى والحلقة والكراع وحائط من كل قرية ومزرعة ، على أن يسلموا . ثم أنتم آمنون بأمان الله ، ولكم ذمة خالد بن الوليد وذمة أبى بكر خليفة رسول الله ، وذمم المسلمين على الوفاء .

وقد بعث أبو بكر بكتاب إلى خالد مع سلمة بن سلامة بن وقش يأمره إن أظفره الله عز وجل أن يقتل من جرت عليه من المواسي من بنى حنيفة (أي من بلغ الحلم) فقدم فوجده قد صالحهم ، فوفى لهم ، وتم على ما كان منه . وحشرت بنو حنيفة إلى البيعة والبراءة مما كانوا عليه إلى خالد ، وخالد في عسكره ».

وقال اليعقوبي:٢/ ١٣٠: «وأتى مجاعة الحنفي إلى خالد ، فأوهمه أن في الحصن قوماً بعدُ ، وقال: ما أتاك إلا سرعان الناس ، ودعاه إلى الصلح ، فصالحهم خالد على الصُّفَّراء والبيضاء ونصف السبي ، ثم نظروا وليس في الحصن أحد إلا النساء والصبيان ، فألبسهم السلاح ووقفهم على الحصون ، ثم أشار إلى خالد فقال: أبوْا عليَّ ، فتأخذ الربع؟ ففعل ذلك خالد وقبل منهم. فلما فتحت الحصون لم يجد إلا النساء والصبيان ، فقال: أمكراً يا مجاعة؟! قال: إنهم قومي . وأجاز لهم ، وافتتحت اليمامة ».

أقول: أمر أبو بكر خالداً بقتل كل من بلغ منهم ، وأن يستحيي نساءهم سبايا لكن خالداً سبقه بالصلح على سبي ربع نسائهم ، وأخذ ما يملكون من ذهب

وفضة ، والعفو عن رجالهم . وكانت سياسة خالد أقرب الى الإسلام من موقف أبي بكر . لكنه عاد ونفذ أمر أبي بكر ، كما يلي !

(٣٩) بطولة خالد في مجزرة سبعة آلاف مسلم !

عادة خالد في حروبه أن لايشارك في المعركة بنفسه إلا شكلياً، ولهذا كتب له أبو بكر كما تقدم: «فباشرها بنفسك ولاتتكل على غيرك». لكن خالداً لم يغير عادته ، وغابت عنه الشجاعة في معركة اليمامة التي استمرت يومين !

أما بعد انتصار المسلمين فتظهر شجاعة خالد ، كما حدث بعد معركة طليحة الأسدي في بُزَّاخَة: «فأقام على البُزَّاخَة شهراً يُصَعِّدُ عنها ويُصَوِّبُ ، ويرجع إليها في طلب أولئك . فمنهم من أحرقه ، ومنهم من قَمَّطَه ورضخه بالحجارة ، ومنهم من رمى به من رؤس الجبال». (الطبري:٢/ ٤٩١).

وبعد معركة اليمامة بقي خالد شهراً وقالوا إنه كان ينتظر شفاء وزيره ضرار بن الأزور ، أو البطل البراء بن مالك ، لكنه في هذه المدة تزوج بنت مجاعة ، ومارس هوايته بأن يقبض على العزل ويكتفهم ، ثم يضرب أعناقهم صبراً ، فرادى وجماعات ! فقد نص المؤرخون على أنه قتل نحو سبعة آلاف رجل في الشهر الذي بقيه في اليمامة بعد المعركة !

قال الطبري:٢/ ٥١٦، وغيره: « وقتل من بنى حنيفة في الفضاء بعقرباء سبعة آلاف ، وفى حديقة الموت سبعة آلاف ، وفى الطلب نحوٌ منها »

ولم تذكر الروايات أن خالداً ذهب الى قرى بني حنيفة المتناثرة ، إلا ما ذكر أنه زار مع مجاعة بعض الحصون القريبة من مكان المعركة في جبيلة ، فأطل

عليه فرسان من أعلى الحصن فلم يدخله ، وكانوا نساء أمرهن مجاعة أن يلبسن السلاح ، ليفرض على خالد الصلح بربع السبايا بدل النصف !

فالسبعة آلاف الذين قتلهم في الطلب ، كان يرسل لهم الخيالة الى قرى نجد ، فيُكتِّفُون من وجدوه ويأتونه بهم فيضرب أعناقهم ، أويأمر قائد السرية بقتل من وجده من الرجال ، في قراهم !

ومما يدلك على أن القتل كان عاماً لكل من قبض عليه خالد من بني حنيفة ! **ما رواه ابن حجر في الإصابة (٣/ ١٠٥)** عن ضيف قبض عليه خالد في غاراته وأراد أن يقتله ، وهو سفيان بن أبي عزة الجذامي:« كان نازلاً في بني حنيفة ولم يرتدَّ ، ذكر ذلك وثيمة (في كتابه) وذكر أن خالد بن الوليد أخذه فيمن ظفر به من أهل اليمامة فأراد قتله ، فقال له سفيان:يا خالد إن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: ما من عبد يقتل عبداً إلا قعد له يوم القيامة على الصراط ! فخلى سبيله ».

(٤٠) كيف برر خالد مجزرته في النجديين !

روى الطبري (٢/ ٥١٨) عن يربوع أبي الضحاك قال: «صالح خالد بنى حنيفة جميعاً ، إلا ماكان بالعرض والقرية ، فإنهم سبوا عند انبثاث الغارة ، فبعث إلى أبى بكر ممن جرى عليه القسم بالعرض والقرية من بنى حنيفة ، أو قيس بن ثعلبة ، أو يشكر خمس مائة رأس » .

ومعناه تفريغ الصلح من محتواه كلياً تقريباً ! لأن العِرض هو أكبر وادٍ خصب في اليمامة ، والقُرَيَّة هي أكبر بلدة فيها !

قال البكري في معجم ما استعجم (٣/ ٩٣٢): «العِرْض بكسر أوله وإسكان ثانيه: وادي اليمامة . قال الأعشى:

ألم تر أن العِرض أصبح بطنه نخيلاً وزرعاً نابتاً وفصافصا»

والفصافص: القتُّ أو الجت ويزرع للحيوانات ، ويشمل الأبَّ الذي ينبت وحده .

أما القَرْية فقال الحموي في معجم البلدان:٤/ ٣٤٠: «قرية بني سدوس بن شيبان بن ذهل ، وفيها منبر وقصر، يقال إن سليمان بن داودﷺبناه من حجر واحد من أوله إلى آخره ، وهي أخصب قرى اليمامة ، لها رمان موصوف . وربما قيل لها القُرَيَّة . وقال محبوب بن أبي العشنط النهشلي:

لروضةٌ من رياض الحَزْن أو طرفٌ من القُرَيَّة جَرد غير محروث

يفوح منه إذا مَجَّ الندى أرجٌ يشفي الصداع وينقي كل ممغوث

أشهى وأحلى لعيني إن مررت به من كرخ بغداد ذي الرمان والتوث).

يريد هذا الراوي الذي ضعفوه (ميزان الإعتدال:٢/ ٣٢٧) أن صلح خالد مع مجاعة كان عن جزء قليل جداً من بني حنيفة ، وبقي أكثرهم في القرية ووادي اليمامة بكل قراه ، وهم الذين قتل منهم خالد سبعة آلاف صبراً .

وهذا حيلة لتفريغ الصلح من محتواه ! على أنه لو صح لكان إسلام هؤلاء يعصم دماءهم وأموالهم ، فكيف جاز له قتلهم .

إنه لاتفسير لقتل خالد سبعة آلاف من بني حنيفة بعد المعركة ، إلا تنفيذ أمر أبي بكر بقتل كل من بلغ الحلم من رجالهم حتى لو أعلنوا إسلامهم ! فنفذ خالد

أمره رغم أنه صالحهم على ما عندهم من ذهب وفضة وربع السبي والعفو عن رجالهم !

(بعث رجلاً من الأنصار إلى خالد يأمره أن يقتل من أنبت من بني حنيفة).

(وتاريخ الطبري:٢/ ٥١٧، وخليفة/ ٧٢، وابن خلدون:٢ق٢/ ٧٦ ، والكامل:٢/ ٣٦٥، وفي الإصابة:٧/ ٣٤٢. أنه أرسل له مع رجلين: سلمة بن وقش ، وأبي نهيك).

وقالت رواية الطبري وغيره إن خالداً وفى لهم ولم يعمل بأمر أبي بكر: « فوفى لهم وتم على ما كان منه . وحشرت (جئ بهم) بنو حنيفة إلى البيعة والبراءة مما كانوا عليه إلى خالد ، وخالد في عسكره ».

ومعناه أنهم جاؤوا وأعلنوا إسلامهم وبايعوا خالداً لأبي بكر ، فكيف قتل منهم بعد ذلك سبعة آلاف أو نحوها ؟!

لا يقال: إن الذين قتلهم خالد قتلوا مسلمين ، فذلك لم يحدث في اليمامة لأنهم أجمعوا على اتباع مسيلمة ، وغادرهم ثمامة بن أثال وقليل معه سالمين ، والتحقوا بجيش المسلمين . والروايات التي ذكرت وقوع معارك بين ثمامة ومسيلمة ، ذكرت بضعة قتلى من جيش مسيلمة ولم تذكر قتلى من المسلمين .

فلا بد أن يكون الآلاف الذين قتلهم ممن جاؤوه وأعلنوا إسلامهم ، أو بقوا في قراهم وقبلوا بالإسلام كما نص عليه الصلح ، وشملهم العفو .

ولا تعجب من الأوامر السرية من أبي بكر لخالد ، فعندما هرب طليحة وانتصر المسلمون ، دعا خالد جيشه الى البطاح لقتال بني يربوع ورئيسهم مالك بن نويرة: «وقد ترددت الأنصار على خالد وتخلفت عنه وقالوا: ماهذا بعهد الخليفة إلينا ، إن الخليفة عهد إلينا إن نحن فرغنا من البُزَّاخَة واستبرأنا بلاد القوم أن

نقيم حتى يكتب إلينا . فقال خالد: إن يك عهد إليكم هذا ، فقد عهد إلى أن أمضي وأنا الأمير ، وإليَّ تنتهي الأخبار». (الطبري:٢/ ٥٠١).

وتقدم من مصادرنا أن أبا بكر أمر خالداً بأن يقتل مالك بن نويرة حتى لايفتق عليه فتقاً ! فقد يكون أمره هنا بقتل كل بالغ من بني حنيفة لتخويف الآخرين ، لأنه لايوجد أي موجب لقتلهم بعد الصلح !

(٤١) خالد يتزوج مَيَّة بنت مجاعة الحنفي !

قال الطبري:٢/ ٥١٩: «ثم إن خالداً قال لمجاعة زوجني ابنتك . فقال له مجاعة: مهلاً إنك قاطع ظهري وظهرك معي عند صاحبك»! (أي يغضب علينا أبو بكر) قال: أيها الرجل زوجني . فزوجه فبلغ ذلك أبا بكر فكتب إليه كتاباً يقطر الدم: لعمري يا ابن أم خالد إنك لفارغ تنكح النساء ، وبفناء بيتك دم ألف ومائتي رجل من المسلمين لم تجف بعد ! قال: فلما نظر خالد في الكتاب جعل يقول: هذا عمل الأعيسر ، يعني عمر بن الخطاب »!

وقال ابن الأعثم (١/ ٣٦):« فزوجها إياه ، ودخل خالد بها هناك بأرض اليمامة ، فكان إذا جاءه المهاجرون والأنصار فسلموا عليه يرد عليهم السلام ويأمرهم بالجلوس ، فيجلس الرجل منهم حيثما لحق .

وإذا جاء أعمام هذه الجارية التي قد تزوجها يرفع مجالسهم ويقضي حوائجهم ! قال: فغضب المسلمون لذلك واشتد عليهم ما يفعله بهم خالد، فكتب حسان بن ثابت إلى أبي بكر أبياتاً..

قال: فلما وردت هذه الأبيات إلى أبي بكر غضب لذلك ثم أقبل على عمر بن الخطاب فقال: يا أبا حفص! ما ترى إلى خالد بن الوليد وحرصه على الزواج وقلة اكتراثه بمن قتل من المسلمين ! فقال عمر: أما والله لايزال يأتينا من قبل خالد في كل حين ما تضيق به الصدور!

قال: ثم كتب إليه أبو بكر: أما بعد يا ابن الوليد فإنك فارغ القلب ، حسن العزاء عن المسلمين ، إذ قد اعتكفت على النساء ، وبفناء بيتك دماء ألف ومائتا رجل من المسلمين، منهم سبع مائة رجل من حملة القرآن. إن لم يخدعك مجاعة بن مرارة عن رأيك أن صالحك صلح مكر ، وقد أمكن الله منهم، أما والله ياخالد ما هي منكر ينكر ، وإنها لشبيهة بفعلك الأول بمالك بن نويرة ، فسوأةً لك ولأفعالك هذه القبيحة ، التي شانتك في بني مخزوم . والسلام .

قال: فلما وصل كتاب أبي بكر إلى خالد بن الوليد وقرأه تبسم ضاحكاً ، ثم قال: يرحم الله أبا بكر ! والله ما أعرف في هذا الكتاب من كلامه شيئاً ! ولا هذا إلا من كلام عمر بن الخطاب ، وقد كان الذي كان ».

أقول: مكان أبيات حسان في نسخة ابن الأعثم بياض ، وقد رواها الواقدي في كتابه الردة ، وابن زيد في الإشتقاق:١/ ٥٠ ، قال: (وكان خالدٌ لما فَتح اليمامَة تزوَّج ابنه مُجَّاعة ابن مُرَارةَ الحنفيّ ، وتنكَّرَ للأنْصار غايةَ التَنكرُّ ، فكتَبَ حسّانٌ إلى أبي بكر الصديق :

مَنْ مبلغُ الصِّدِّيقِ قولاً كأنّه ... إذا قُصَّ بين المسلِمين المَبَاردُ

أتــرضَى بأنَّــا لم تجِــفَّ دماؤُنــا وهــذا عــروسٌ باليمامــة خالــد
يَبِيــتُ يُنــاغِي عرسَــه ويضــمُّها وهــامٌ لنــا مطروحــة وســواعدُ
إذا نحنُ جئنــا صَــدَّ عنَّــا بوجهــهِ ويُلقَى لأعمام العَروس الوسـائدُ
وما كانَ في صِــهر اليمامــيِّ رغبــةٌ ولو لم يُصَبْ إلاَّ من الناس واحدُ
فكيف بـألفٍ قـد أصـيبوا كـأنَّما دماؤهمُ بـينَ السُّيوف المَجاسـدُ
فإنْ ترض هذا فالرِّضا ما رضيتَه وإلاَّ فغــيِّرْ إنّ أمــرك راشــدُ

فأخذ عمر الصحيفةَ فدخل بها على أبي بكر فقرأها عليه ، فعزله أبو بكـر عـن اليمامة . ثم ولاَّه الشام ، فلما مات أبو بكر عزلَه عمر ، فصعِد المنبَر فقـال: عُمَـرُ أقرَّني على الشام وهو له مُهِمٌّ،فلما ألقى الشَّأْمُ بَوَانِيَه وصار بَثَنِيَّةً وعَسَلاً عَزَلني)!

والصحيح أن أبا بكر لم يعزله بل ولاه العراق ، ثم لما طلب من أبو عبيدة المـدد أرسله الى الشام ، حتى إذا تولى عمر كان أول ما عمله أن عزل خالداً .

وفي توضيح المشتبه لابن ناصر الدين(٨/ ٤١): «مَيَّةُ بنت مجاعة بن مرارة الحنفي تزوجها خالد بن الوليد حين قتل مسيلمة، فكتب إليه أبـو بكـر الصـديق: جاءني كتابك يا ابن أم خالد، إنك لتوثب على النساء ودماء المسلمين عنـد أطناب بيتك لم تجف،فإن تعد لمثلها تستوعر موطئك، وتعلم أنك لسـت لي بصاحب».

فانظر الى شخصية خالد ، الذي كبَّره رواة السلطة ، ونسبوا اليه البطولات !

(٤٢) أبعد خالد ثمامة عن شؤون اليمامة

نلاحظ أن خالداً غيَّب ثمامة بن أثال عن الصلح وإدارة الأمور نهائياً ، مع أنه كان عامل النبيﷺ على بني حنيفة واليمامة ، وقد خاض المعركة مع مسيلمة من عهد النبيﷺ . ولما طغت موجة مسيلمة على بني حنيفة بعد وفاة النبيﷺ واتبعوا مسيلمة ، ثبت قليل منهم مع ثمامة وتعرضوا للخطر، ثم التحقوا بجيش المسلمين عندما اقترب خالد من جبيلة ، وشاركوا في قتال قومهم مع إخوانهم المسلمين . (الإصابة:٦/ ٢٤٢).

ثم التحق ثمامة وأصحابه بالعلاء الحضرمي ، فقاتل معه المرتدين من أهل البحرين ، ولما ظفروا وهب لثمامة حلة الحطمة رئيس المرتدين، فرآها عليه بنو قيس بن ثعلبة فظنوه الذي قتله وسلبه ، فقتلوه رحمه الله .(الإصابة:١/ ٥٢٦).

(٤٣)الفعل للقادة الميدانيين والإسم للقائدالسياسي

أنت في حرب اليمامة أمام نصوص واضحة في حادثة محددة ، فقد قصد جيش المسلمين الى مسيلمة الكذاب في بلده، فاشتبكوا معهم فانهزم المسلمون وقائدهم ، ولاحت هزيمتهم النهائية .

فتقدم خمسة أبطال واستعادوا المبادرة وضحوا بأنفسهم وحمسوا المسلمين ، حتى غيروا الهزيمة الى صمود ، ثم حولوا الصمود الى نصر.

فهؤلاء هم القادة الحقيقيون الذين قطفوا النصر ، وليس القائد الرسمي خالد بن الوليد ، الجالس في فسطاطه على سرير في آخر الجيش ، والذي

وصلت الهزيمة الى خيمته ، فانهزم تاركاً زوجته ! ثم عندما استعاد جيشه المبادرة ، لم يحمل مع أبطالهم ، ولا بارز شجاعاً ولا جباناً من العدو !

قال الطبري (٢/ ٥١٠):« قال خالد بن الوليد وهو جالس على سريره ».

وكل ما فعله خالد أنه قصد الحديقة بعد أن انتصر المسلمون أو ظهرت علامات نصرهم ، ففاجأه فارس حنفي وسب أمه ، واشتبك معه ووقعا عن فرسيهما، وكان أقصى بطولة خالد أنه تخلص من الذي تحته ، فوجد فرسه قد هرب أو سرق ، فاستعان بالمسلمين حتى رجع الى خيمته ، لا سالماً ولا غانماً ؟!

إن معركة اليمامة نموذج لمعارك الفتوحات التي أوكلت الخلافة قيادتها الى خالد وأمثاله ، وأوكلت إدارة أراضيها المفتوحة الى معاوية وأمثاله ممن تنقصهم الشجاعة والفروسية والأمانة الشرعية .

وهنا يأتي دور علي عليه السلام في تطعيم جبهات الفتوح بأبطال من تلاميذه ، الذين هم القادة الميدانيون الذين يبادرون ويضحون احتساباً لله تعالى، ويتحملون من قادتهم الرسميين النكران وسرقة جهودهم وتضحياتهم!

۞ ۞

الفصل الخامس:

متهمون بالردة بسبب تشيعهم !

قبائل من بني تميم وكندة رفضت خلافة أبي بكر !

اغتنمت السلطة القرشية وجود مرتدين عن الإسلام بعد النبيﷺ فوصفت من رفض خلافة أبي بكر ، أو امتنع عن تسليم الزكاة اليه بأنهم مرتدون ، وقاتلتهم !

ومن أمثلتهم قبيلة بني يربوع وكانت مساكنهم في العراق والحجاز .

ومن أمثلتهم قبائل كندة وكانت عاصمتهم حضرموت ، فقد اتهمتهم بأنهم ارتدوا عن الإسلام ، وأخفت السبب الحقيقي وهو أنهم كشفوا مؤامرة قريش على أهل بيت النبيﷺ، ورفضوا طاعة أبا بكر ، الذي سموه «أبا الفصيل» .

الصحابي مالك بن نويرة وقومه التميميون !

أمر أبو بكر خالد بن الوليد أن يقتل الصحابي الجليل مالك بن نويرة التميمي، فاحتال عليه فألقى سلاحه هو وأصحابه ، فقتله ونزا على زوجته في تلك الليلة! ولما رجع الى المدينة ثار في وجهه عمر فقال لأبي بكر: «عدوّ الله ، عدا على امرئ مسلم فقتله ثمّ نزا على امرأته ». (تاريخ الطبري:٢/ ٥٠٤).

لكن أبا بكر «سامحه» وقال اجتهد فأخطأ ! وهذه خلاصة القصة:

بعد أن قضى خالد شهراً في بُزَّاخَة ، وحرَّق ومثَّل بمن طالته خيله وكتفوه له ، أعلن أنه سيتحرك الى البطاح ، وهي ديار بني يربوع من بني تميم ، وتبعد عن بُزَّاخَة كثيراً باتجاه العراق ، فاعترض عليه الأنصار بأن أبا بكر أمرك أن تقاتل طليحة ثم تنتظر أمره ، فقال إن أبا بكر أمره سراً بالمسير الى مالك بن نويرة ! ووصلوا الى البطاح وهو مجمع بني يربوع ، فلم يجدوا أحداً ، لأن رئيسهم مالك أمرهم بالتفرق حتى لاينضم أحد منهم الى طليحة أو سجاح أو مسيلمة !

فأرسل خالد سرية قيل إنها بقيادة ضرار بن الأزور ، والصحيح أن ضراراً قتل في حرب اليمامة ، الى حي مالك بن نويرة فوجدوه مع اثني عشر رجلاً: «وفي خبر آخر أن السرية التي بعث بها خالد لما غشيت القوم تحت الليل راعوهم فأخذ القوم السلاح ! قال فقلنا: إنا المسلمون ، فقالوا: ونحن المسلمون . قلنا: فما بال السلاح معكم! قلنا فضعوا السلاح ، فلما وضعوا السلاح رُبطوا أسارى ، فأتوا بهم خالداً !

فحدث أبو قتادة خالد بن الوليد أن القوم نادوا بالإسلام وأن لهم أماناً ، فلم يلتفت خالد إلى قولهم وأمر بقتلهم وقسم سبيهم !

وحلف أبو قتادة ألا يسير تحت لواء خالد في جيش أبداً ، وركب فرسه راجعاً إلى أبي بكر فأخبره الخبر ، وقال له: إني نهيتُ خالداً عن قتله فلم يقبل قولي ، وأخذ بشهادة الأعراب الذين غرضهم الغنائم !

وإن عمر لما سمع ذلك تكلم فيه عند أبي بكر فأكثر ، وقال: إن القصاص قد وجب على خالد !

ويظهر أن خالداً أمر رئيس سريته أن يأتيه بمالك وزوجته أم تميم بنت المنهال ، التي قيل فيها إنها كانت أجمل نساء العرب ولم يُرَ أجمل من عينيها ولا ساقيها ، فكانت مع زوجها وسمعت جداله مع خالد، فقال له: إني قاتلك. قال له مالك: أوَبذلك أمرك صاحبك أبو بكر؟ قال: والله لأقتلك! فقال مالك:يا خالد إبعثنا إلى أبي بكر ، فيكون هو الذي يحكم فينا، فقد بعثت إليه غيرنا ممن جرمه أكبر من جرمنا ! وألحَّ عبد الله بن عمر وأبو قتادة على خالد بأن يبعثهم إلى أبي بكرفأبى عليهم وقال:لا أقالني الله إن لم أقتله . وأمر بضرب عنقه ، فألقت زوجته نفسها عليه وقال لها مالك: أعزُبي عني فما قتلني غيرك ! وقال لخالد: هذه التي قتلتني !

فقال له خالد: بل الله قتلك برجوعك عن الإسلام. فقال له: إني على الإسلام . فقال خالد: ياضرار إضرب عنقه فضرب عنقه وقبض خالد على زوجته ، فبنى بها في تلك الليلة ! وفي ذلك يقول أبو زهير السعدي:

ألا قل لحيٍّ أوطئوا بالسنابكِ — تطاول هذا الليل من بعد مالك

قضى خالد بغياً عليه لعرسهِ — وكان له فيها هوى قبل ذلك

فأمضى هواه خالد غير عاطف — عنان الهوى عنها ولا متمالك

وأصبح ذا أهل وأصبح مالك — على غير شئ هالكاً في الهوالك

فمن لليتامى والأرامل بعده — ومن للرجال المعدمين الصعالك

أصـيبت تمـيم غثهـا وسـمينها بفارسها المرجو سحب الحوالك).

أما سبب أمر أبي بكر بقتله ، فهـو أن مالكـاً جـاء بعـد وفـاة النبـيﷺ :
«فدخل يوم الجمعة وأبو بكر على المنبر يخطب بالنـاس، فنظـر إليـه وقـال: أخـو تَـيْم؟! قـالوا: نعـم. قـال: فـما فعـل وصي رسـول الله الـذي أمـرني بموالاته؟ قالوا: يا أعرابي الأمر يحدث بعده الأمر! قال: بالله ما حدث شئ ، وإنكم قد خنتم الله ورسولهﷺ! ثم تقدم إلى أبي بكر وقال: مـن أرقـاك هذ المنبر ووصي رسول الله جالس؟فقال أبو بكر: أخرجوا الأعرابي البوال على عقبيه من مسجد رسول الله! فقام إليه قنفذ بن عمير وخالد بن الوليد، فلم يزالا يلكزان عنقه حتى أخرجاه..فلما استتم الأمر لأبي بكر وجه خالد بن الوليد وقال له:قد علمت ما قاله مالك على رؤس الأشهاد ولست آمن أن يفتق علينا فتقاً لايلتئم، فاقتله »!

فاحتال عليه خالد ليلقي سلاحه وأعطاه الأمان ، ثم قتلـه وأعـرس بامرأتـه في ليلته ! وجعل رأسه تحت قدر فيها لحم جزور لوليمة عرسه !

قال الطبري:٢/ ٥٠٣: «لما غشوا القوم راعوهم تحت الليـل ، فأخـذ القـوم السلاح قال فقلنا إنا لَمسـلمون ! فقـالوا ونحـن مسـلمون! قلنـا: فـما بـال السلاح معكم؟ قالوا لنا: فما بـال السـلاح معكـم؟ قلنـا: فـإن كنـتم كـما تقولون فضعوا السلاح، قال فوضعوه ثم صلينا وصلوا »!

وقال اليعقوبي:٢/ ١٣١:«وكتب إلى خالد بن الوليد أن ينكفئ إلى مالك بن نويرة اليربوعي فسار إليهم..فأتاه مالك بن نويرة يناظره واتبعته امرأته ، فلما رآها خالد أعجبته فقال:والله لا نلت ما في مثابتك حتى أقتلك »!

وقال الزهري كما في الإصابة:٥/ ٥٦١: «إن مالك بن نويرة كان كثير شعر الرأس، فلما قتل أمر خالد برأسه فنصب إثفية لقدر، فنضج ما فيه قبل أن يخلص الناس إلى شؤون رأسه.. واسم امرأة مالك أم تميم بنت المنهال، وروى ثابت بن قاسم في الدلائل أن خالداً رأى امرأة مالك وكانت فائقة في الجمال، فقال مالك بعد ذلك لامرأته: قتلتني، يعني سأقتل من أجلك ! وهذا قاله ظناً فوافق أنه قتل ، ولم يكن قتله من أجل المرأة كما ظن ».

وفي البحار:٣٠/ ٤٩٠: «ومر المنهال على أشلاء مالك بن نويرة ، هو ورجل من قومه حين قتله خالد ، فأخرج من خريطته ثوباً فكفنه فيه».

وقد أرودنا قصة الصحابي المظلوم مالك بن نويرة رضي الله عنه في كتابنا ألف سؤال وإشكال: ٣/ مسألة٢٨٩، واستوفاها السيد شرف الدين قدس سره في كتابه: النص والإجتهاد/ ١١٦ – المورد/ ١٣.

وروينا أنه كان صحابياً جليلاً شهد له النبي صلى الله عليه وآله بأنه من أهل الجنة ، وأن أبا بكر أمر خالداً بقتله لاعتراضه عليه،فوافق ذلك هوى خالد في زوجته!

أقول: هذه شخصية خالد ، الذي جعلته السلطة بطل الإسلام ، مع أنه لم يبرز الى شخص أبداً ، ولم يشارك بنفسه في معركة ولو مرة واحدة . وسموه سيف الله المسلول ، مع أنه سيف نفسه ، وسيف أبيه الوليد بن المغيرة .

وقد ارتكب أعمالاً من التقتيل والإعتداء على أعراض الناس ، لايمكن لمسلم أن يدافع عنه بسببها ، وسنستوفي ترجمته في الفتوحات .

بنو كندة كشفوا مؤامرة قريش على أهل البيت عليهم السلام

وفد ملوك كندة على النبي صلى الله عليه وآله ، وكان بنو آكل المرار ملوكاً لقبائل العرب .

قال الطبري:٢/ ٣٩٤: «قدم وفد كندة رأسهم الأشعث بن قيس الكندي.. فدخلوا على رسول الله صلى الله عليه وآله مسجده ، وقد رجَّلوا جممهم(شعر رؤوسهم) وتكحلوا عليهم جبب الحبرة ، قد كففوها بالحرير. فلما دخلوا على رسول الله صلى الله عليه وآله قال: ألم تسلموا؟ قالوا: بلى . قال: فما بال هذا الحرير في أعناقكم؟ قال:فشقوه منها فألقوه ، ثم قال الأشعث: يا رسول الله نحنِ بنو آكل المرار وأنت ابن آكل المرار فتبسم رسول الله، ثم قال: ناسبوا بهذا النسب العباس بن عبد المطلب وربيعة بن الحارث . قال وكان ربيعة والعباس تاجرين فكانا إذا ساحا في أرض العرب فسئلا من هما قالا: نحن بنو آكل المرار ، يتعزران بذلك ! ذلك أن كندة كانت ملوكاً .

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله : نحن بنو النضر بن كنانة لا نقفو أمنا ، ولا ننتفي من أبينا . فقال الأشعث بن قيس: هل عرفتم يا معشر كندة ، والله لا أسمع رجلاً قالها بعد اليوم إلا ضربته حده ثمانين ».

وأرسل النبي صلى الله عليه وآله والياً عليهم زياد بن لبيد البياضي الأنصاري ، وعندما توفي النبي صلى الله عليه وآله أخبرهم الوالي بوفاته وأن المسلمين اختاروا أبا بكر خليفة ، ودعاهم الى طاعته ، فناقشوه بأن النبي صلى الله عليه وآله أوصى لعترته عليهم السلام ، وأفحموه وطردوه !

قال ابن الأعثم في الفتوح:١/ ٤٨: «إن زياد بن لبيد رأى أن من الرأي أن لايعجل بالمسير إلى أبي بكر ، فوجه بما عنده من إبل الصدقة إلى المدينة مع ثقة ، وأمره أن لا يخبر أبا بكر بشئ من أمره وأمر القوم . قال: ثم إنه سار إلى حي من أحياء كندة يقال لهم بنو ذهل بن معاوية ، فخبرهم بما كان من.. إليه ودعاهم إلى السمع والطاعة ، فأقبل إليه رجل من سادات بني تميم يقال له الحارث بن معاوية فقال لزياد: إنك لتدعو إلى طاعة رجل لم يعهد إلينا ولا إليكم فيه عهد . فقال له زياد بن لبيد: يا هذا صدقت ، فإنه لم يعهد إلينا ولا إليكم فيه عهد ، ولكنا اخترناه لهذا الأمر .

فقال له الحارث: أخبرني لم نَحَّيْتُم عنها أهل بيته صلى الله عليه وآله وهم أحق الناس بها لأن الله عز وجل يقول: **وَأُوْلُواْ الأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللهِ.** فقال له زياد بن لبيد: إن المهاجرين والأنصار أَنْظَرُ لأنفسهم منك ، فقال له الحارث بن معاوية: لا والله ! ما أزلتموها عن أهلها إلا حسداً منكم لهم ، وما يستقر في قلبي أن رسول الله صلى الله عليه وآله خرج من الدنيا ولم ينصب للناس علماً يتبعونه ! فارحل عنا أيها الرجل فإنك تدعو إلى غير رضا ، ثم أنشأ الحارث بن معاوية يقول:

كان الرسول هو المطاع فقد مضى ... صلى عليه الله لم يستخلف!

قال: فوثب عرفجة بن عبد الله الذهلي فقال: صدق والله الحارث بن معاوية ! أخرجوا هذا الرجل عنكم ، فما صاحبه بأهل للخلافة ولا يستحقها بوجه من الوجوه ، وما المهاجرون والأنصار بأنظر لهذه الأمة من نبيها محمدﷺ. قال: ثم وثب رجل من كندة يقال له عدي بن عوف فقال: يا قوم ! لا تسمعوا قول عرفجة بن عبد الله ولا تطيعوا أمره ، فإنه يدعوكم إلى الكفر ويصدكم عن الحق ، أقبلوا من زياد بن لبيد ما يدعوكم إليه ، وارضوا بما رضي به المهاجرون والأنصار ، فإنهم أنظر لأنفسهم منكم ، قال: ثم أنشأ يقول في ذلك:

يا قوم إني ناصح لا ترجعوا   في الكفر واتبعوا مقال الناصح

قال: فوثب إليه نفر من بني عمه فضربوه حتى أدموه وشتموه أقبح الشتم ، ثم وثبوا إلى زياد بن لبيد فأخرجوه من ديارهم وهموا بقتله !

قال: فجعل زياد لا يأتي قبيلة من قبائل كندة فيدعوهم إلى الطاعة إلا ردوا عليه ما يكره، فلما رأى ذلك سار إلى المدينة إلى أبي بكر ، فخبره بما كان من القوم ».

أقول: لقد أدرك هؤلاء الكنديون بصفاء فطرتهم مقولة أهل البيتعليهم السلام وشيعتهم ، فكان سبب رفضهم لخلافة أبي بكر التشيع وليس الردة كما زعموا .

والذي واجه مبعوث أبي بكر بذلك سيدهم الحارث بن معاوية بن زمعة ، ولم أجد له ترجمة وافية ، وقد شك ابن حجر في أنه صحابي . (الإصابة:١/ ٦٩٢) .

وذكروا أنه: «أول من صاد بالصقر من العرب الحارث بن معاوية بن ثور الكندي ، ثم اشتهر الصيد به». (عمدة القاري:١٧/ ٩٨).

ويظهر أنه سكن الشام وكان يجاهد . (سنن البيهقي:٩/ ٢١وشعب الإيمان:٧/ ٤٢).

وقد روى عن عبادة بن الصامت ، وأبي الدرداء . (تاريخ بخاري:٢/ ٢٨١).

هنا دخل الأشعث بن قيس على الخط ، لأنه من أسرة ملوك كندة ، الذين كانوا ملوكاً لأكثر قبائل العرب . فقال لزياد بن لبيد كما في فتوح ابن الأعثم:١/ ٤٥: «يا هذا ! إنا قد سمعنا كلامك ودعاءك إلى هذا الرجل، فإذا اجتمع الناس إليه اجتمعنا . قال له زياد بن لبيد: يا هذا ، إنه قد اجتمع المهاجرون والأنصار . فقال له الأشعث: إنك لا تدري كيف يكون الأمر بعد ذلك . قال: فسكت زياد بن لبيد ولم يقل شيئاً .

ثم قام إلى الأشعث بن قيس ابن عم له يقال له امرؤ القيس بن عابس ، من كندة فقال له: يا أشعث ! أنشدك بالله وبإيمانك وبقدومك إلى رسول الله صلى الله عليه وآله إن نكصت أو رجعت عن دين الإسلام ، فإنك إن تقدمت تقدم الناس معك ، وإن هذا الأمر لابد له من قائم يقوم به فيَقْتُل من خالف عليه ، فاتق الله في نفسك ، فقد علمت ما نزل بمن خالف أبا بكر ومنعه الزكاة . فقال له الأشعث بن قيس: إن محمداً صلى الله عليه وآله قد مضى لسبيله ، وإن العرب قد رجعت إلى ما كانت تعبده . فقال له: نحن أقصى العرب داراً

فيبعث إلينا أبو بكر جيشاً كما بعث إلى غيرنا ، وأخرى فإن زياد بن لبيد بين أظهرنا وهو عامل علينا ، ولا يدعك أن ترجع إلى الكفر بعد الإيمان.

قال: فضحك الأشعث ثم قال: أو لا يرضى زياد أن نجيره فيكون بين أظهرنا ! قال: فقال له امرؤ القيس: يا أشعث ! أنظر ما يكون بعد هذا..».

ثم وقع الوالي في خطأ كبير وفتح معهم حرباً ، بسبب ناقة !

قال المقريزي في الإمتاع: ١٤/ ٢٥٤: «إن زيادة بن لبيد كان على صدقات بني معاوية ، فوسم ناقة لرجل لم تكن عليه صدقة ، فأتاه أخوه فقال: خذ مكان الناقة جملاً ، فلا صدقة على أخي ، فرأى زياد أنه اعتلال واتهمه بالكفر ، فقال: قد وُسِمَتْ ولا تُرد ، فنادى صاحب الناقة أبا الرياض أقام الدليل من أكل في داره . فأتى حارثة بن سراقة فقال: أطلق بكرة الفتي وخذ بعيراً مكانها فأبى ، فأطلق حارثة عقالها فأمر به زياد بن لبيد فأخذ ، وكُتِّفَ هو وأصحابه فغضب بنو حارثة ، وغضب السكون وحضرموت لزياد ، وعسكر فوافاهم زياد ، وخلى عن حارثة وأصحابه فلما رجعوا دمروهم ، ثم خرج بنو عمرو بن معاوية خصوصاً إلى المحاجر ، وهي أحماء حموها فنزل جمد ومخوص ومشرح وأبضعة والعمردة ، والمحاجر ونزل الأشعث بن قيس الكندي محجراً ، فارتدوا إلا شرحبيل بن السمط وابنه ، فبيتهم زياد بن لبيد ، فقتل مشرحاً ومخوصاً وجمداً وأبضعة والعمردة أختهم ، وأدركتهم اللعنة(زعموا أن النبي ﷺ لعنهم) وأخذ زياد بالسبي والأموال على عسكر الأشعث بن قيس ، فاستغاثوه فتقدمهم ، وعلم أن زياد بن لبيد لا يقلع عنه ، فنجا الأشعث إلى النجير بعد أن هزم ، فأتى المهاجر بن أبي أمية

وزياد بن لبيد وعكرمة بن أبي جهل، فاستأمن لنفسه ولتسعة من قبل أن يفتح الباب ، فكتب التسعة ونسي نفسه، وفتح الباب فقتلت المقاتلة وسرح من كان في الكتاب .

وقال المهاجر بن أبي أمية للأشعث: أخطأك نوءك يا عدو الله ، قد كنت أشتهي أن تُخزى ! وأوثقه وبعثه إلى أبي بكر فكان يلعنه المسلمون والسبي وسموه «عرف النار» وهو إسم الغادر ، ولما وصل إلى أبي بكر أراد قتله » .

وقال ابن الأعثم:١/ ٤٦: «غضبت أحياء كندة لذلك غضباً شديداً ، فأتت الأشعث بن قيس ، فقال: خبروني عنكم يا معشر كندة إذا كنتم بايعتم على منع الزكاة وحرب أبي بكر ، فهلا قتلتم زياد بن لبيد ، فكان يكون الأمر في ذلك واحداً كائناً ما كان ، ولكنكم أمسكتم عنه حتى أخذ زكاة أموالكم ، ثم رحل عنكم إلى صاحبه ، وكتب إليكم يهددكم بالقتل!

فقال له رجل من بني عمه: صدقت والله يا أشعث! ما كان الرأي إلا قتل زياد بن لبيد وارتجاع ما دفع إليه من إبل الصدقة ، والله ما نحن إلا كعبيد لقريش ! مرة يوجهون إلينا أمية فيأخذون من أموالنا ما يريدون ، ومرة يولون علينا مثل زياد بن لبيد فيأخذ من أموالنا ويهددنا بالقتل ، والله لاطمعت قريش في أموالنا أبداً ..ثم تكلم الأشعث بن قيس فقال:

يا معشر كندة ! إن كنتم على ما أرى فلتكن كلمتكم واحدة وألزموا بلادكم ، وحوطوا حريمكم ، وامنعوا زكاة أموالكم ، فإني أعلم أن العرب لا تقر بطاعة بني تيم بن مرة وتدع سادات البطحاء من بني هاشم إلى

غيرهم ، فإنها لنا أجود ونحن لها أجرى وأصلح من غيرنا ، لأنا ملوك من قبل أن يكون على وجه الأرض قريشي ولا أبطحي».

أقول: أرسل أبو بكر زياد بن لبيد بجيش من ثلاثة آلاف ، ثم أمده بالمهاجر بن أبي أمية المخزومي بألف ، ثم بعكرمة بن أبي جهل في خمس مئة فاجتاحوا عدداً من قبائل كندة ، وقتلوا منهم أعداداً ونهبوهم وسبوهم !

ثم حاربهم الأشعث وانتصر عليهم أول الأمر ثم انهزم ، فلجأ معمن يسمون ملوك كندة الى حصن نجير قرب حضرموت ، فحاصرهم جيش أبي بكر ، فأخذ الأشعث الأمان لنفسه وعشرة معه ، فحملوهم الى أبي بكر وقتلوا الباقين وكانوا سبع مئة أو ثمان مئة ، ونهبوا الأموال وسبوا النساء والذرية ! وعندما وصل الأشعث الى أبي بكر كلمه فأطلقه ، وزوجه أخته ، وصار من المقربين .

قال ابن الجوزي في المنتظم:٤/ ٨٦: « وتحصنت ملوك كندة ومن بقي معهم في النجير وأغلقوا عليهم ، فجثم عليهم زياد والمهاجر وعكرمة ، وكان في الحصن الأشعث بن قيس ، فلما طال الحصار قال الأشعث: أنا أفتح لكم باب الحصن وأمكنكم ممن فيه على أن تؤمنوا لي عشرة ، فأعطوه ذلك ، ففتح باب الحصن.. فجادلهم وجادلوه فقالوا: نرد أمرك إلى أبي بكر فيرى فيك رأيه، وأمر زياد بكل من في الحصن أن يقتلوا فقتلوا وكانوا سبع مائة، وسبى نساءهم وذراريهم! وحمل الأشعث إلى أبي بكر فزعم أنه قد تاب ودخل في الإسلام وقال: مُنَّ عليَّ وزوجنيأختك فإني قد أسلمت ، فزوجه أبو بكر أم فروة بنت أبي قحافة ، فولدت له محمداً وإسحاق وإسماعيل ، فأقام بالمدينة ، ثم خرج إلى الشام في خلافة عمر ».

فقد رأيت أن أصل خلافهم مع عامل النبي صلى الله عليه وآله زياد بن لبيد ، أنهم ناقشوه في خلافة أبي بكر وأبوا طاعته ، ثم كان السبب الأقوى الذي أشعل الحرب بينهم إصرار زياد الوالي على خطئه في الناقة وعناده ! وكلا الأمرين لايعتبران ردة ، وإن كانوا مهيئين لها كأكثر العرب ، إذا دفعوا اليها بتصرف الوالي وعناده. لذا لا يصح وصف من خالف هذا الوالي الأحمق بأنه مرتد عن الإسلام !

وينبغي الإلفات الى أن الأشعث بن قيس كان منافقاً ولم يكن شيعياً ولا سنياً ، وأنه استغل منطق التشيع الذي احتج به الحارث بن معاوية على زياد والي أبي بكر ، لما سمعه من النبي صلى الله عليه وآله ، فأراد الأشعث المتاجرة بقبائل كندة ليفرض رئاسته عليهم ، وقد حقق ذلك ، فكان مقرباً من أبي بكر وعمر .

وشارك الأشعث مع علي عليه السلام في صفين ، لكن معاوية اشتراه ، فقاد حركة التثبيط عن علي عليه السلام وساهم في حركة الخوارج ، وكان رأساً في النفاق وشرك مع ابن ملجم في مؤامرة قتل علي عليه السلام ، كما قامت ابنته جعدة بسم زوجها الإمام الحسن عليه السلام ، كما كان ابنه محمد من قادة جيش يزيد لقتل الإمام الحسين عليه السلام .

قال في شرح النهج:١/ ٢٩١: «ومن كلام له عليه السلام قاله للأشعث بن قيس، وهو على منبر الكوفة يخطب ، فمضى في بعض كلامه شئ اعترضه الأشعث فيه، فقال: يا أمير المؤمنين ، هذه عليك لا لك ، فخفض إليه بصره ثم قال: ما يدريك ما عليَّ مما لي، عليك لعنة الله ولعنة اللاعنين! حائك ابن حائك منافق ابن كافر . والله لقد أسرك الكفر مرة والإسلام أخرى ، فما فداك من واحدة منهما مالك ولا حسبك . وإن امرأً دل على قومه السيف وساق إليهم الحتف ، لحريٌّ أن يمقته الأقرب ، ولا يأمنه الأبعد !

وقال عن محاصرة المسلمين للأشعث وملوك كندة: «ولجأ الأشعث والباقون إلى الحصن المعروف بالنجير، فحاصرهم المسلمون حصاراً شديداً حتى ضعفوا ونزل الأشعث ليلاً إلى المهاجر وزياد، فسألهما الأمان على نفسه، حتى يقدما به على أبي بكر فيرى فيه رأيه، على أن يفتح لهم الحصن ويسلم إليهم من فيه. وقيل: بل كان في الأمان عشرة من أهل الأشعث، فأمَّناه وأمضيا شرطه ففتح لهم الحصن، فدخلوه واستنزلوا كل من فيه وأخذوا أسلحتهم، وقالوا للأشعث: إعزل العشرة فعزلهم، فتركوهم وقتلوا الباقين وكانوا ثمان مائة، وقطعوا أيدي النساء اللواتي شمتن برسول الله صلى الله عليه وآله، وحملوا الأشعث إلى أبي بكر موثقاً في الحديد هو والعشرة فعفا عنه وعنهم، وزوجه أخته أم فروة بنت أبي قحافة، وكانت عمياء، فولدت للأشعث محمداً وإسماعيل وإسحاق. وخرج الأشعث يوم البناء عليها إلى سوق المدينة، فما مر بذات أربع إلا عقرها، وقال للناس: هذه وليمة البناء وثمن كل عقيرة في مالي فدفع أثمانها إلى أربابها. قال أبو جعفر محمد بن جرير في التاريخ: وكان المسلمون يلعنون الأشعث ويلعنه الكافرون أيضاً وسبايا قومه، وسماه نساء قومه عُرْف النار، وهو إسم للغادر عندهم».

وفي مناقب آل أبي طالب: ٢/ ٩٩، أن أمير المؤمنين عليه السلام كان يسميه عنق النار، فسئل عن ذلك فقال: إن الأشعث إذا حضرته الوفاة دخل عليه عنق من النار ممدودة من السماء، فتحرقه، فلا يدفن إلا وهو فحمة سوداء!

فلما توفي نظر ساير من حضر إلى النار وقد دخلت عليه كالعنق الممدود، حتى أحرقته، وهو يصيح ويدعو بالويل والثبور»!

فهرس الموضوعات

الفصل الثالث: عدي بن حاتم نبيلٌ في الجاهلية قائد في الإسلام !

الفصل الرابع: حرب اليمامة نموذجا لتحريف التاريخ

الفصل الخامس: متهمون بالردة بسبب تشيعهم !

(تم الكتاب)